٥٢١
C.11
٢٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الأردنية
كلية الدراسات العليا

الإيقاع في القرآن الكريم
السور المكية

إعداد الطالب
عبد الله محمد ياسين الشمايلة

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالة
التوقيع ..... التاريخ ٩٩/٥/٢٠

إشراف الدكتور
عبد الله عنبر

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات نيل درجة الماجستير
في تخصص اللغة العربية وآدابها من كلية الدراسات العليا
في الجامعة الأردنية

ذو الحجة ١٤١٩هـ
نيسان ١٩٩٩م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ ١٢/٤/١٩٩٩م

أعضاء اللجنة	التوقيع
١. الدكتور عبد الله عنبر، رئيساً أستاذ مشارك، اللغة والنحو.	.....
٢. الدكتور محمد بركات أبو علي، عضواً أستاذ البلاغة العربية.	.....
٣. الدكتور إبراهيم خليل، عضواً أستاذ مشارك، اللغويات.	.....
٤. الدكتور علي الحمد، عضواً أستاذ مشارك، النحو العربي.	.....

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ اللهُ نـزّلَ أَحْسَنَ الحَديثِ كِتَابـاً مُتَشابِهاً
مَثانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلودُ الّذينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ
ثُمَّ تَلـينُ جُلودُهـمْ وَقُلـوبُهُمْ إِلى ذِكْـرِ اللهِ
ذلِـكَ هُـدى اللهِ يَهْـدي بِـهِ مَـنْ يَشـاء
وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَما لَهُ مِنْ هاد ﴾ الزمر ٢٣

صدق الله العظيم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول ا لله ﷺ
يقـول: " ما أَذِنَ ا لله لِشَيْءٍ ما أَذِنَ لِنَبِيٍ
حَسَنِ الصَّوْت يَتَغَنّى بِالقُرْآن يَجْهَرُ بِه "

رواه البخاري ومسلم

عن أبي لبابة بشير بن عبد المنذر رضي الله عنه
أن النبي ﷺ قال:
" مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالقُرْآن فَلَيْسَ مِنّا"

رواه أبو داود

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إهـــــداء

إلـى الجيـل القرآنـي الواعـد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكـــر

أتقدم بجميل الشكر وخالص العرفان إلى مشرف رسالتي الدكتـور عبـد الله عنـبر علـى توجيهاتـه الحكيمـة، وتشـجيعه المسـتمر لإعطـاء الأفضـل، ولأمـي الحبيبـة الدعـاء الموصول على سؤالها الدائم ودعائها المتقبل،وكذلك أشكر زوجتي العزيزة على وقوفها إلى جانبي، ومشاركتي مراحل الكتابة باباً باباً، وفصـلاً فصـلاً ، وأولادي الأحبـة الـذي كانوا يُدخلون البهجة علـى القلـب، ويروحـون بطفولتهـم البريئـة عـن أب شـغله العلـم عنهم.

كما وأشكر قسم التزويد بمكتبة الجامعة الأردنية على المساعدات التي قدموها لي في أثناء استقصاء المراجع، ولا أنسـى الفضـل الكبير لمجمـع اللغـة العربيـة بدمشـق علـى مبادرتهم بتزويدي بما أحتاج إليه من مصورات، وكلية الآداب بجامعة تونس الأولى علـى تعاونهم الكبير بتلبية ما رجوناه منهم.

والشكر الموصول لكل من أشار أو نصح أو تابع من الإخوة والأصحاب، الذيـن كانوا يرفعون دوماً من همة الطلب، وسعة التحصيل.

والله ولي التوفيق،،،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهـــرس الموضـــوعات

الموضـــــوع	رقم الصفحة
قرار اللجنة المناقشـــة	ب
آية من كتاب الله تعالى	جـ
من الحديث الشريـــف	د
إهـــــــــداء	هـ
شكـــــــــر	و
فهرس الموضـوعات	ز
ملخص باللغة العربية.....	ك
التمهيـــد	
المبحث الأول :الجهود السابقة	٢
المبحث الثاني خطة البحـــث	٤
المبحث الثالث : أهمية البحث	
المطلب الأول : القرآن الكريم واللغة الشاعرة	٦
المطلب الثاني : القرآن الكريم نسيج وحده	٩
المطلب الثالث : القرآن الكريم والأداء الصوتي الخاص	١٤
البـــاب الأول	
الإيقـــاع والإعجاز القرآني	
الفصل الأول : مدخل إلى الإعجاز القرآني	١٩
المطلب الأول : الآية المعجزة	١٩
المطلب الثاني : القرآن الكريم والتحـدي	٢١
المطلب الثالث : الإعجاز عند القدمـــاء	٢٤
المطلب الرابع : الإعجاز عند المحدثين	٢٨
الفصل الثاني : القرآن المكـــي	
المطلب الأول : سمات القرآن المكـي	٣١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثاني : أجواء العهد المكـي ٣٥
المطلب الثالث : بيانات عن القرآن المكي..... ٣٧
المطلب الرابع : مراحل العهد المكي..... ٤٢

الفصل الثالث : الإيقاع عند القدمـــاء
المنحى الأول : الإيقاع في اللغة ٤٦
المنحى الثاني : أيقاع الموسيقى والغناء..... ٤٧
المنحى الثالث : الإيقاع الشعري ٥٠
المنحى الرابع : الإيقاع النثري ٥١
الفصل الرابع : الإيقاع عند المحدثين
المنحى الأول : الإيقاع الجمالي ٥٥
المنحى الثاني : الإيقاع الشعري ٥٩
المنحى الثالث : الإيقاع النثري ٦١
المنحى الرابع : الإيقاع القرآني ٦٣

الباب الثاني
مظاهر الإيقاع في القرآن الكريم

مقدمـــــة ٧٠
الفصل الأول : إيقاع الحروف ٧١
صفات الحروف ومخارجها ٧٢
ترداد الحروف – إحصائية ٧٤
الفصل الثاني : إيقاع المقاطع ٨٠
تعريف المقاطع الصوتية..... ٨١
تحليل مقطعي لبعض النصوص القرآنية ٨٣

الفصل الثالث : إيقاع النبر .....٥٠٨٣١٧..... ٩٨
تحليل نبري لبعض النصوص القرآنية ١٠٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الرابع : إيقاع التجويد ١٠٤
تحليل أدائي لبعض النصوص القرآنية ١٠٥
الفصل الخامس : إيقاع الكلمات ١١٢
المحور الأول : ترداد الألفاظ بأعيانها ١١٣
المحور الثاني : ترداد مادة الجذر ١٢٣
المحور الثالث : ترداد الوزن الصرفي..... ١٢٦
الفصل السادس : إيقاع الفاصلة ١٢٩
المحور الأول : إيقاع قرار الفاصلة ١٣١
المحور الثاني : إيقاع المقطع الصوتي الأخير في الفاصلة ... ١٣٦
المحور الثالث : إيقاع الفاصلة نفسها ١٣٩
الفصل السابع : إيقاع التراكيب ١٤٣
المحور الأول : ترداد التركيب ذاته ١٤٣
المحور الثاني : ترداد نوع التركيب ١٤٨
المحور الثالث : ترداد طول التركيب ١٥٠
المحور الرابع : التدرج في طول التركيب ١٥٣
الفصل الثامن : إيقاع السياق ١٥٧
المحور الأول : إيقاع الموضوع في السورة الواحدة ١٥٧
المحور الثاني : إيقاع القصص في السورة الواحدة ١٦١
المحور الثالث : إيقاع الموضوع في غير سورة ١٦٤
المحور الرابع : إيقاع القصص في غير سورة ١٦٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الباب الثالث
وظائف الإيقاع في القرآن الكريم

مقدمـــــــــة : ١٧١
الفصل الأول : توحيد النسيج القرآني ١٧٣
الفصل الثاني : الترنم والإحساس بجمال النص القرآني ١٧٧
الفصل الثالث : تيسيـــر الحفـــظ ١٨٢
الفصل الرابع : تكوين الجو العام للسورة ١٨٦
الفصل الخامس : تنويـــع المعنـــى ١٩٠
الفصل السادس : التأكيـــــد ١٩٤
الفصل السابع : إيجاد التقابـــــل ١٩٣
الفصل الثامن : إيجاد التوقـــــع ٢٠٨
ثبت المراجـع والمصـــــادر ٢١٤
ملخص باللغة الإنجليزيـــــة ٢٢٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملخص

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملخـــص

الإيقاع في القرآن الكريم: السور المكية

إعـــداد الطالب : عبد الله محمد ياسين الشمايلة

إشراف الدكتور : عبد الله عنبـــــــــــــر

يمثل القرآن الكريم الصورة النموذجية لنص عربي بليغ، وقد بهر العرب بما احتوى من نظم عالٍ، واتساق عجيب، فلم يقدروا على معارضته رغم قوة عارضتهم، وشدة عداوتهم، وذلك لأنه نص رباني معجز.

وقد نزل القرآن الكريم منجماً في العهدين المكي والمدني، وتسمى السور التي نزلت قبل الهجرة بالسور المكية، وهي تشغل حوالي ٦١٪ من مساحة القرآن الكريم. وأهم سمات السور المكية:

١- قصر الآيات والسور.
٢- كثرة السجع، وتماثل الفواصل.
٣- القسم والتشبيه والأمثال.
٤- غنية بالتخييل الحسي والتجسيم.
٥- التركيز على أصول الإيمان بالله واليوم الآخر.
٦- وصف الجنة والنار.
٧- كثرة الدعوة إلى التمسك بالأخلاق الكريمة.
٨- مجادلة المشركين وتسفيه أحلامهم.

وقد بحث القدماء والمحدثون في مظاهر إعجاز النص القرآني، فكان حديث القدماء في إطار الدرس البلاغي الذي عهدوه. لكن المحدثين تقدموا خطوة هامة في الحديث عن الإعجاز الصوتي والأسلوبي في القرآن الكريم، مستفيدين من تطور الدراسات الأدبية والنقدية. فبرزت بحوث ومؤلفات عن الإيقاع في القرآن الكريم، بوصفه من أجلّ مظاهر الإعجاز الصوتي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأهم مظاهر الإيقاع في السور المكية:

أولا : إيقاع الحروف

استخدم القرآن الكريم الحروف العربية بنسب متفاوتة، فحروف العلة (الصوائت) تشغل حوالي ٤٢٪ من القرآن المكي، وفي مقدمتها الفتحة، أما أكثر الصوامت تردداً فهي " اللام، والميم، والنون، والهمزة" ويتكثف نمط الحروف في بعض المواضع ليلائم فكرة السياق.

ثانيا: إيقاع المقاطع

والمقطع هو ما يقع من السلسلة الكلامية بين وقفتين، وتمثل المقاطع النسيج الفعلي للغة، وهناك ستة أنواع من المقاطع، تختلف نسب ورودها، وقيود توزيعها في الكلمات، لكن أكثرها وروداً: القصير المفتوح، والقصير المغلق، والطويل المفتوح. وتتتابع المقاطع المتنوعة بصورة مريحة في النطق والسماع.

ثالثاً : إيقاع النبر

والنبر هو إبراز أحد مقاطع الكلام، وتختلف مواضع النبر حسب عدد مقاطع الكلمة ونوعها، والإيقاع النبري ينشأ من تواتر المسافات الصوتية بين نبر وآخر، إلى حد التشابه لا التطابق، مما يمنح الأذن إحساساً بالإيقاع، ويكون الفارق الصوتي بين نبر وآخر مقطعاً صوتياً أو اثنين أو ثلاثة.

رابعاً : إيقاع التجويد

للقرآن الكريم أداء خاص ميزه من كل النصوص الأخرى، حيث يحقق القارئ على مخارج، الحروف، ويعطيها صفتها، لكن أهم مظهرين لإيقاع التجويد هما: المدّ والغنّة، إذ يقعان على أكثر من نصف المقاطع الصوتية .

خامساً : إيقاع الكلمات :

الكلمة وحدة البناء في الجملة، ويظهر إيقاعها من خلال :

١ ـ ترداد الألفاظ بأعيانها .

٢ ـ ترداد مادة الجذر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣ . ترداد وزن الكلمة .

ويقع هذا الترداد في الآية الواحدة، وفي السورة الواحدة، وبين السور المتعددة .

سادساً : إيقاع الفاصلة :

الفاصلة هي الكلمة الأخيرة في الآية، ولها أثر في نسق الكلام من خلال :

١ . إيقاع قرار الفاصلة (حرفها الأخير) .

٢ . إيقاع مقطعها الصوتي الأخير .

٣ . إيقاع الفاصلة نفسها .

سابعاً : إيقاع التراكيب :

التركيب يعرف عادة بالجملة، وهو مجموعة من الكلمات ارتبطت بنسق نحوي لتعطي معنى مستقلاً، وأهم مظاهر إيقاع التراكيب :

١ . ترداد التركيب ذاته .

٢ . ترداد نوع التركيب .

٣ . ترداد طول التركيب .

ثامناً : إيقاع السياق :

السياق هو تتابع مجموعة من التراكيب لتؤدي فكرة كبيرة، والسياقات متعددة، فمنها القصصي، وسياق الفكرة، وسياق الاستهلال، وسياق عرض النعيم والجحيم، وهكذا .

ويظهر إيقاع السياق من خلال :

١ . إيقاع الموضوع في السورة الواحدة .

٢ . إيقاع القصص في السورة الواحدة .

٣ . إيقاع الموضوع في أكثر من سورة .

٤ . إيقاع القصص في أكثر من سورة .

ويؤدي الإيقاع في القرآن الكريم وظائف، أهمها :

أولاً – إبراز وحدة النسيج القرآني: حيث يشترك القرآن كله في إيقاع عام، يبرز سمت القرآن وطبيعة تشكيله.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانياً – اللذة والترنم: فلقد احتفى القرآن الكريم بالجمال الصوتي في نظمة حتى يشبع الرغبة الفطرية بالتغني، والارتياح للإيقاع .

ثالثاً – تيسير الحفظ: فالإنسان يميل لحفظ النصوص الإيقاعية، وقد جاء القرآن الكريم متميزاً إيقاعه الدقيق، وازدواج آياته، فسهل حفظه على الكبار والصغار .

رابعاً – رسم الجو العام للسورة: إذ لكل سورة شخصيتها المتميزة، من خلال موضوعها وإيقاعها السائد، وهذا ما يعرف " بوحدة السورة ".

خامساً :تنويع المعنى، لكل فكرة إيقاع يناسبها، من حيث طبيعة الفكرة وطريقة العرض، فيؤدي الإيقاع دوره في التأثير على نفسية المتلقي، وعندما تتغير الفكرة يتغير إيقاعها.

سادساً – التأكيد، من سمات القرآن الكريم التثنية وإعادة الأخبار، فيُحدث من خلال هذا التكرار حثاً وتذكيراً، لأن الإنسان يتصف بالنسيان، وفتور الهمة.

سابعاً – التقابل، المرء أقدر على تمييز الأشياء، ومعرفة حدودها حينما تعرض بإزاء أضدادها، وهذا الإيقاع التقابلي بين النقيضين مَعْلم من معالم أسلوب القرآن الكريم.

ثامناً – التوقع، يؤدي الإيقاع إلى رسم انتظام في التلقي، وينشأ عن هذا حالة من الترقب والتوقع للآتي، وحينما يتحقق التوقع ترتاح النفس، وقد يلجأ القرآن الكريم إلى كسر التوقع لإبراز فكرة مهمة.

هـذا وبالله التوفيـق،،،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التمهيد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التمهيد

. المبحث الأول : الجهود السابقة

لم يتطرق القدماء لموضوع الإيقاع في القرآن الكريم، ذلك أن هذا المصطلح، وهذه النظرية الفنية الخاصة بأسلوب القرآن الكريم لم تكن قد تكونت، وإنما بحثوا مواضيع تتعلق بالإيقاع، كالتكرار والسجع والانسجام كما سيبينه الباحث في الباب الأول.

ومع بدء نضج مفهوم الإيقاع فنياً في هذا العصر، بدأ الحديث في القرن العشرين عن الإيقاع القرآني، حيث ظهرت دراسات معدودة تتحدث عن هذا الموضوع، لكنها لم تجمع الأمر من أنحائه، ولم يفرد للإيقاع كتاب مستقل – في حدود علم الباحث – يعالج هذه القضية معالجة متكاملة، ويجلي ما خفي من سر تأثير النص القرآني في نفس من يسمعه من العرب ومن غير العرب، من فهمه ومن لم يفهمه.

وأشير هنا إلى عدد من تلك الدراسات:

- تحدث الدكتور تمام حسان في كتابه "البيان في روائع القرآن: دراسة لغوية أسلوبية للنص القرآني"، عن قضايا متعددة في بنية النص القرآني، وتعرض للقضايا التالية:
  - أ– النمط التركيبي القرآني.
  - ب– قرينة السياق في التركيب القرآني.
  - جـ– دراسات أسلوبية : القيم الصوتية في القرآن الكريم وأثرها في المعنى: (١) الإيقاع (٢) الفاصلة (٣) الحكاية (٤) المناسبة الصوتية (٥) حسن التأليف.
  - د– من المقاصد الأسلوبية للقرآن الكريم.

  وتميزت هذه الدراسة بكثرة الشواهد وتعدد النماذج وسعة النظرة وشمولية البحث.
- وفي كتابه " دراسات قرآنية في جزء عم "، أفرد الدكتور محمود أحمد نحلة الفصل الثاني من الكتاب للمستوى الصوتي، وتعرض فيه إلى قضايا عدة كان الإيقاع من أهمها، فبين بعض أنواع الإيقاع وأشكاله، وأثره في المتلقي، وإسهامه في رسم الصورة.
- وأفرد الدكتور محمد الحسناوي فصلا ضخماً من كتابه " الفاصلة في القرآن " للحديث عن الإيقاع، وهو بحق من أبدع من تكلم في هذا الموضوع من الناحية الفنية التحليلية الدقيقة، إذ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعرض للتعريف النظري المجرد للإيقاع، ولقوانين الإيقاع، كالتوازي، والتوازن، والتكرار، والتغير، ثم طبق هذه القوانين الإيقاعية على النص القرآني، وكانت له إشارات بديعة حول بعض المظاهر الجمالية في أسلوب القرآن، كما تحدث عن مجهود القدماء والمحدثين، وعن التأكيد، والترنم الموسيقي، وهو بحث مميز بلا شك.

- وهنالك بحث مهم للدكتور محمد السيد سليمان العبد، نشره في المجلة العربية للعلوم الإنسانية ضمن العدد السادس والثلاثين تحت عنوان : " من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم"، وركز فيه الحديث على المظاهر التالية:

أ – التلاؤم الصوتي.

ب – المحاكاة الصوتية والمعنى.

جـ– الإيقاع القرآني وعلاقته بالمعنى.

د – الإعجاز الصوتي في الفواصل.

وفيه إشارة إلى علاقة الإيقاع المستخدم بنوع السياق والمعنى المتوخى من استخدامه.

- كما كان لمصطفى صادق الرافعي في الجزء الثاني من " تاريخ آداب العرب " –إعجاز القرآن– بحوث وافرة في الإعجاز الصوتي، وموسيقى القرآن، وائتلاف حروفه وكلماته وجمله وآيه وسوره، على نحو ترتاح له النفس، وتأنس له الأذن، وتقر به العين، لكنه لم يتعامل مع مصطلح الإيقاع القرآني بالمفهوم العلمي المحدد الذي استقر عليه فيما بعد.
- وكان لسيد قطب بحث أدبي قيم حول الإيقاع القرآني في كتابه " التصوير الفني في القرآن"، وإشارات كثيرة جليلة في تفسيره القيم " في ظلال القرآن"، لكن حديثه عن الإيقاع كان ياتي دوماً في سياق أدبي جمالي، وليس في إطار تحليلي أكاديمي.
- وكتب نعيم اليافي ثلاثة أبحاث قيمة في مجلة التراث العربي التي تصدر عن اتحاد الكتاب بدمشق، بحث فيها خصائص موسيقى القرآن وإيقاعاته، ودور النص والأداء والمتلقي في تحقيق جمالية النص القرآني، وهذه الأبحاث هي:

أ – قواعد تشكل النغم في موسيقى القرآن، العددان الخامس عشر والسادس عشر.

ب – ثلاث قضايا حول موسيقى القرآن،العدد السابع عشر.

جـ – عودة إلى موسيقى القرآن، العددان الخامس والعشرون والسادس والعشرون.

كما نشر بحثاً في مجلة الفيصل، العدد الثاني بعد المئة بعنوان: " حروف القرآن: دراسة دلالية في علمي الأصوات والنغمات".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- وكتب كمال بو خريص رسالة جامعية تحت عنوان " خصائص الإيقاع في القرآن – جزء عم"، بين فيها أهم سمات اللغة المستخدمة في جزء عم – وهو من القرآن المكي –، ثم تعرض لقضية الوزن وعلاقتها بالإيقاع الفني وأنواع المقاطع وترتيبها، كما تعرض للفاصلة وأنواعها ودورها، ثم بين أهمية الترديد وبعض أشكاله في جزء عم وأثر الاشتقاق في ذلك، وأخيراً بين أنماط الإيقاعات القرآنية ودور الإيقاع في فهم النص من ناحية، كما عرض له مظهراً من مظاهر الإعجاز من ناحية أخرى.

أما دراستي لموضوع "الإيقاع في القرآن الكريم–السور المكية" فهي محاولة لنظرة شاملة إلى موضوع الإيقاع في القرآن الكريم، إذ لم يجد الباحث مؤلّفاً فيما سبق أحاط فيه صاحبه بالموضوع من نواحيه جميعاً، فجاء هذا البحث سيحاول تجلية مظاهر الإيقاع على نحو أشمل، يستغرق مظاهر التواترات الصوتية والأسلوبية التي تظهر جلية أو بصورة دقيقة تحتاج إلى مزيد من العناية والتبصر، وهذا أهم ما ينفرد به البحث من الدراسات السابقة.

المبحث الثاني : خطة البحث

قسم هذا البحث إلى ثلاثة أبواب، يبحث الباب الأول موضوع الإيقاع والإعجاز القرآني من خلال فصوله الأربعة.

حيث تعرض الفصل الأول للحديث عن موضوع الإعجاز القرآني، مبيناً أهم النظريات التي قيلت في الإعجاز في القديم والحديث، ذلك أن الباحث يعد الإيقاع من مظاهر الإعجاز الصوتي والأسلوبي.

أما الفصل الثاني فخصص للحديث عن القرآن المكي، تعريفه وخصائصه وتحديد السور المكية مجال البحث، وأهم سمات الفترة المكية.

وبين الفصل الثالث نظرات القدماء والمحدثين إلى الإيقاع من الناحية اللغوية والأدبية والموسيقية، والمباحث التي تحدثت عن مقتضيات الإيقاع بطريقة غير مباشرة.

أما الفصل الرابع فقد تم الحديث فيه عن الإيقاع القرآني ومفهومه عند المحدثين، وكيف تطور مفهوم الإيقاع النظري والتطبيقي عندهم، كيف تناولهم لموضوع الإيقاع القرآني مستفيدين من نظريات علم الجمال والأسلوبية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الباب الثاني وهو جوهر الرسالة فقد أفرد للحديث عن مظاهر الإيقاع المتنوعة الكثيرة، على مستوى الحروف، والمقاطع، والنبر، والترتيل، والكلمات، والفاصلة، والتراكيب، والسياق، واعتمد الباحث النظرات النقدية الحديثة والقديمة، مستأنساً بعلم البلاغة العربية، الذي أرسى قواعده نفر من الأفذاذ أهل العلم والنظر في العربية، ممن تذوقوا حلاوة النص القرآني وعاشوا به وله، وكتبوا في أوجه الإعجاز القرآني وصنفوا المصنفات الرائعة في نظم القرآن الكريم وعلو مرتبته بين أضرب الكلام، وفصلوا الحديث في بيان تفرد النص القرآني في انسجام الأصوات، وتناسب الآيات والسور، ووضعوا من الحجج والبراهين ما يكشف تفوق النص القرآني.

كما اعتمد الباحث على علم النقد الحديث، وعلم الأسلوبية الذي أضفى لوناً جديداً على الدراسات الأدبية، وساهم فيه لغويون غربيون وعرب، وأخذ من هذه الدراسات ما يناسب موضوع البحث، وينسجم مع روح النص القرآني.

أما الباب الثالث وعنوانه : وظائف الإيقاع في القرآن الكريم فقد خصصت فصوله الثمانية لبيان وظائف الإيقاع في القرآن الكريم: وحدة النسيج القرآني؛ اللذة والترنم؛ تسهيل الحفظ؛ رسم الجو العام للسورة؛ تنويع المعنى؛ التأكيد؛ التقابل؛ والتوقع.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

. المبحث الثالث : أهمية البحث

. المطلب الأول: القرآن الكريم واللغة الشاعرة.

يمثل القرآن الكريم القمة في بلاغة اللغة العربية، وهو نص معجز، نابض بالقوة والتحدي، بالغ الذروة في مبناه ومعناه، وهو حقيق بتكرار النظر فيه لتلمس مواطن الإعجاز في الأسلوب وفي الفحوي، قال تعالى : ﴿ *الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير* ﴾ هود ١، وقال تعالى : ﴿ *قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً* ﴾ الإسراء ٨٨.

وقد بحث القدماء والمحدثون في مظاهر إعجاز النص القرآني، من حيث جماليات الأسلوب، والافتنان في العرض، والتميز في النظم، وركز آخرون على المعاني الكلية في الكتاب الكريم، وما حوى من دستور للأخلاق والتربية، والعلم وسلامة المنهج. ولما كانت العلاقة وثيقة بين المبنى والمعنى، فإن أحدهما يغذي الآخر ويتأثر به.

ويتخذ النظم القرآني مظاهر عدة، كالتقديم والتأخير، والحذف والذكر، والإيجاز والإطناب، والتلميح والتصريح، والسؤال والجواب، والمدح والذم، والتشبيه والاستعارة، والإثبات والنفي ... إلى غير ذلك من لطائف الأساليب، وكذلك مراعاة جماليات الصوت وتراكيبه، من حيث الانسجام وتوقيع الأحرف والمقاطع والكلمات والجمل وفواصل الآي، لإحداث التأثير المطلوب في نفس المتلقي.

ومن هنا تتشكل مجموعة أسئلة تسهم في بيان التصور المنهجي الذي يصدر عنه هذا البحث وقد جاءت على النحو الآتي:

هل يوجد حقاً إيقاع في القرآن الكريم؟ وهل يليق بالقرآن الكريم أن نسمي توافقاته الصوتية والأسلوبية إيقاعاً؟ وما الإيقاع في حقيقته؟ ما مظاهره وأنماطه؟ وما وظائفه التي يؤديها؟

إن الباحث سيحاول في بحثه هذا تلمس مظاهر الإيقاع في القرآن الكريم، وأن يبين مدى توافق هذا الإيقاع مع الإيقاعات التي تعرض لنا في الإنتاج الأدبي، وهل يغاير القرآن غيره في إيقاعه، كما علمنا من إعجازه وتفرده.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد نزل القرآن الكريم بلغة العرب، قال تعالى : ﴿*إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون*﴾ يوسف ٢، وهذا لحكمة أرادها الله -تعالى- "فقال -عز وجل- : ﴿*الله أعلم حيث يجعل رسالته*﴾ الأنعام ١٢٤، فهل كانت العربية في علم - سبحانه- من أسباب إنزال آخر الكتب السماوية بها لما تختص به من الموسيقى في أصواتها وصيغها ألفاظاً وعبارات، ولما كان تهيأ لها من ذلك من وافر حظ، حتى كانت سمة أهلها من دون كل شيء غيرها" [١] وهذا الكلام يحتاج إلى الدليل والدراسة العلمية للوقوف عليه. هذا وقد نزل القرآن الكريم على قوم فصحاء، صنعتهم الشعر والخطابة. والتفنن في القول، " وبلغ العرب في الجاهلية مرتبة رفيعة من البلاغة والبيان، وقد صور الذكر الحكيم ذلك في غير موضع منه، مثل : ﴿*وإن يقولوا تسمع لقولهم*﴾ المنافقون٤، ﴿*ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا*﴾ البقرة ٢٠٤، كما صور شدة عارضتهم وقوتهم في الحجاج والجدل بمثل قوله تعالى: ﴿*فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد*﴾ الأحزاب١٩، وقوله تعالى : ﴿*ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون*﴾ الزخرف ٥٨ ، ومن أكبر الدلالة على ما حذقوه من حسن البيان أن كانت معجزة الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم- وحجته القاطعة لهم أن دعا أقصاهم وأدناهم إلى معارضة القرآن في بلاغته الباهرة، وهي دعوة تدل في وضوح على ما أوتوه من اللسن والفصاحة والقدرة على حوك الكلام"[٢] .

ويرى فقهاء اللغة العربية أن اللغة العربية لغة شاعرية، وأنها من أكثر لغات العالم انسجاماً مع الشعر والفن، وتلبية للأحاسيس الإنسانية، وتوافقاً مع مقاييس الجمال.

ويظهر الفن والجمال والشاعرية في مظاهر ثلاثة:

أولاً: أصوات الحروف، فشاعرية اللغة التي تظهر في تقسيم حروفها، تتجلى في حسن استخدامها لجهاز النطق الحسي، الذي أدى إلى الافتنان في الإيقاع الموسيقي.

ثانيا: الشاعرية في المفردات، تظهر الموسيقية في المفردات من جهتين، من جهة التركيب الفني لحروف الكلمة، ومن جهة المعاني التي تدل عليها. أما الموسيقية في التركيب الفني للفظ، فيلاحظ أن (الوزن) هو قوام التفرقة بين أقسام الكلام في العربية (ينظر، ناظر، منظور، نظير، نظائر، .." وتظهر الموسيقية في الارتباط المتناسق بين الألفاظ وبين معانيها التي تدل عليها، حيث يلتقي جرس حروفها مع إيحاء مدلولها في العديد من الألفاظ. وهذا مذهب القائلين بالأصل الطبيعي للغة.

---

(١) محيي الدين رمضان، وجوه من الإعجاز الموسيقي في القرآن، ٣٦.

(٢) شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثالثاً: تركيب العبارات، وتستمد العبارة دلالتها في العمل الأدبي من مفردات الدلالات اللغوية للألفاظ، ومن الدلالة المعنوية الناشئة عن اجتماع الألفاظ وترتيبها في نسق معين، ثم من الإيقاع الموسيقي الناشيء من مجموعة إيقاعات الألفاظ، متناغماً بعضها مع بعض [1]. وإذا اتسعت رؤيتنا للجمال في الكون حولنا أدركنا كنه الجمال اللغوي، حيث تتأثر اللغة بهذا الكون الذي تصفه وتعبر عنه.

" إن الموضوعيين فيما يرونه من إدراك سر الجمال يقولون: إن منشأ الجمال هو الاتساق والانسجام في الألوان، والأشكال، والأساليب، والنغمات، سواء أكان ذلك الانسجام طبيعياً أم كان صناعياً، وأساس الانسجام هو الوحدة مع التعدد، أي اجتماع عناصر مختلفة وائتلافها بحيث تكون وحدة مترابطة الأجزاء، متناسقة العناصر" [2] ويعقد نورثروب مقارنة بين الأدب، وهو فن القول، وبين الموسيقى والفنون التشكيلية، حيث تعتمد الموسيقى على الأذن وتعتمد الفنون التشكيلية على العين " إن الأدب يخاطب الأذن، ولذا فإنه يشارك الموسيقى شيئاً من طبيعتها، لكن الموسيقى فن من فنون الأذن، والإدراك الإبداعي للزمن أشد تركيزاً من الأدب بكثير. كذلك يخاطب الأدب العين الداخلية على الأقل، ولذا فإنه يشارك الفنون التشكيلية شيئاً من طبيعتها، ولكن الفنون التشكيلية، والرسم منها بخاصة، أكثر تركيزاً على العين وعلى عالم المكان" [3].

والنثر كالشعر من فنون القول، ولكل سمته وقدراته واستخدامه، لكن ظهور الموسيقى اللغوية أكبر في الشعر، " وتعني موسيقى الشعر مراعاة التناسب في أبيات القصيدة بين الإيقاع والوزن، بحيث تتساوى الأبيات في عدد المتحركات والسواكن المتوالية، فمساواة تحقق في القصيدة ما عرف بوحدة النغم. وهذه الموسيقى اتخذت معايير متعددة منها ما يتصل بعروض الشعر وميزانه، ومنها ما يتصل بقافيته ورويه، وهذا يحقق إيقاع الشعر وموسيقاه" [4].

ولكن هل يعني هذا أن النثر لا يتضمن جمالاً إيقاعياً، لعدم التزامه بالوزن، تجيب عن هذا الدكتورة ابتسام أحمد حمدان فتقول: " إن العلاقات البلاغية داخل السياق اللغوي تحمل في ذاتها جانباً إيقاعياً، فلا لغة أدبية دون إيقاع مهما قلّت درجة ظهوره فيها، أي أن مصطلحاً مثل : [البلاغة الإيقاعية] ليس تعبيراً دقيقاً، إذ لا يوجد بلاغة إيقاعية وبلاغة غير إيقاعية، بينما نجد أن مصطلحاً مثل [الإيقاع البلاغي] يخصص اللغة الأدبية بإيقاع خاص يتميز عن إيقاع الكلام العادي،

---

(1) صلاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، ص ١٧-٢١.

(2) صلاح الدين عبد التواب، الصورة الأدبية في القرآن الكريم، ١٣.

(3) نورثروب فراي، تشريح النقد ، ترجمة محمد عصفور، ٣١٤.

(4) الموسوعة العربية العالمية ، مؤسسة أعمال الموسوعة، ١٧٥/١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أو إيقاع الكلام العلمي، أو إيقاع الأسلوب الشعبي في بيئة معينة، أو عند أصحاب حرفة ما " [1] .
إن الإيقاع متداخل في جسم النص الأدبي، إذ هو أحد مظاهر النص الأساسية، " ويتأكد الدور الفني الهام للإيقاع البلاغي كأداة كشف للآفاق الكامنة وراء الظاهرة من التشكيلات والمعاني، ولا يمكن لأي تذوق فني أو تحليل أدبي أن يتجاهل حركته المتواصلة والممتدة على كامل النص" [2] .
ويشير سيد قطب إلى نسق القرآن الكريم، وهو نثر خاص له سماته وخصائصه فيقول: "إن النسق القرآني قد جمع بين مزايا النثر والشعر جميعاً. فقد أعفى التعبير من قيود القافية الموحدة والتفعيلات التامة، فنال بذلك حرية التعبير الكاملة عن جميع أغراضه العامة. وأخذ في الوقت ذاته من الشعر الموسيقى الداخلية، والفواصل المتقاربة في الوزن التي تغني عن التفاعيل، والتقفية المتقاربة التي تغني عن القوافي" [3] .

وجاء في القرآن الكريم ﴿ *وما علمناه الشعر وما ينبغي له، إن هو إلا ذكر وقرآن مبين* ﴾ يس ٦٩، وجاء في حكايته عن كفار العرب ﴿ *بل افتراه، بل هو شاعر*﴾ الأنبياء ٥، وصدق القرآن الكريم، فليس هذا النسق شعراً. ولكن العرب كذلك لم يكونوا جاهلين بخصائص الشعر يوم قالوا عن هذا النسق العالي: إنه شعر.

" لقد راع خيالهم بما فيه من تصوير بارع، وسحر وجدانهم بما فيه من منطق ساحر، وأخذ أسماعهم بما فيه من إيقاع جميل. وتلك خصائص الشعر الأساسية. إذا نحن أغفلنا القافية والتفاعيل" [4] .

إن الباحث يرى أن القرآن الكريم وإن كان من مادة هذه اللغة الشاعرة الموسيقية، إلا أنّ نظمه الباهر ونسقه العالي جاء على غير المألوف من كلام العرب، وإنّ هذا البحث محاولة لكشف سر هذه الخصائص الصوتية والأسلوبية الكامنه في النص الكريم.

. المطلب الثاني: القرآن الكريم نسيجُ وحدِه

لقد بُهر العرب عندما سمعوا القرآن الكريم، إذ وجدوا فيه نمطاً فريداً من اللغة التي يألفون، وحاروا في تصنيفه وماذا يعدونه في الشعر ام في الخطابه أم في السحر والكهانة، ولم يقم له

---

(1) ابتسام أحمد حمدان، الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي الأول، ٢.
(2) المرجع السابق، ٨.
(3) سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ١٠٢.
(4) المرجع السابق، ١٠٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

معارض يعتد به رغم شدة التحدي. و " الفنون التعبيرية عند العرب لا تعدو أن تكون نظماً أو نثراً، وللنظم أعاريض وأوزان محددة معروفة، وللنثر طرائق من السجع والإرسال وغيرها مبينة معروفة. والقرآن الكريم ليس له أعاريض الشعر في رَجَزه ولا قصيده، وليس على سَنَن النثر المعروف في إرساله ولا تسجيعه، إذ هو لا يلتزم الأوزان المعهودة في هذا ولا ذاك، ولكننا نقرأ بضع آيات منه فنشعر بتوقيع موزون من تتابع آياته، بل يسري في صياغته وتآلف كلماته، ونجد في تركيب حروفه تناسقاً عجيباً، بين الرخو منها والشديد، والمجهور والمهموس، والممدود والمقطوع، بحيث يؤلف اجتماعها لحناً توقيعياً في توزيع حركاته وسكناته ومداته وغناته، وهذا الإيقاع يفرض نفسه على صوت القارئ العربي كيفما قرأ، طالما كانت قراءته صحيحه" [1]. إذن فالقرآن نموذج خاص وفريد في نظمه ونسق خطابه وجمال مظهره الصوتي.

ونتناول في هذا المطلب " ما يتجلى في القرآن الكريم للمتدبر من توافق مترابط ومن اتساق منسجم. وهذه حقيقة مكشوفة لكل ذي لب متبصر، ولكل ذي نباهة مدكر يتلو كلام الله في وعي واستيعاب وتذكر، حقيقة تستبين لأولي المذاق الموهوب من الذين يقرأون الكتاب في ترديد متكرر، وتأخذ قلوبهم وأسماعهم روعة الكلام المتسق وحلاوة التعبير المتشاذ الذي يتلو بعضه بعضاً، في غاية الجمال والعذوبة، وفي غاية التماسك والارتباط" [2]. وهنا مظهر من مظاهر الإعجاز القرآني، إذ إن القرآن الكريم في قمة الجمال الصوتي من حيث مظهره الصوتي الخارجي، وهو في الوقت ذاته في نهاية الإعجاز من حيث مضامينه الفكرية والإنسانية والأخلاقية، وليس بمقدور أحد من البشر أن يجمع هذا على الإطلاق.

ويقول المرحوم فضيلة الشيخ الزرقاني في موضوع خصائص أسلوب القرآن: (للقرآن الكريم مسحة خلابة عجيبة، تتجلى في نظامه الصوتي، وجماله اللغوي ...، ونريد بنظام القرآن الصوتي : اتساق القرآن وائتلافه في حركاته وسكناته، ومداته وغناته، واتصالاته وسكناته، اتساقاً عجيباً، وائتلافاً رائعاً، يسترعي الأسماع ويستهوي النفوس بطريقة لا يمكن أن يصل إليها أي كلام آخر منظوم أو منثور" [3]. ولا يغيب عن الذهن القصة المشهورة، لما سمع الوليد بن المغيرة القرآن الكريم، فقال مخاطباً قريشاً أهل الفصاحة واللسن: (والله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني، لا برجزه، ولا بقصيده، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه هذا الذي يقول شيئاً من هذا، ووالله إن لقوله

---

(1) محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، ١١٤.

(2) أمير عبد العزيز، دراسات في علوم القرآن، ٢٣٣.

(3) محمد علي الصابوني، التبيان في علوم القرآن، ١٠٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو وما يعلى عليه ..." رواه البيهقي في دلائل النبوة [1] . ولا أدلّ على تأثير القرآن وروعة وقعه من ذاك الذي حدث مع النبي -صلى الله عليه وسلم- حين كان يتلو القرآن الكريم على مسمع من الجن فبانّ الجن دهشوا وتملكهم العجب عندما سمعوا هذا الكلام العجيب، ﴿*قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً*﴾ الجن ١. "وقد خلد القرآن الكريم إيحاءات خاصة، ودلالات صائبة، وظلالاً لطيفة وارفة، ولطائف غالية نافعة، وتقوم هذه النصوص باطلاق هذه الإيحاءات وإلقاء هذه الظلال، والدعوة إلى تلك اللطائف ، ولكن لا يفهمها كل من نظر في القرآن أو قرأ فيه، لأن الجميع لا يملكون المؤهلات لإدراكها، والمفاتيح للتعامل معها. إن هذا القرآن يحتاج إلى قارئ حي بصير، يتبوأ الإيمان أولاً، ثم يتفاعل مع القرآن الكريم بكل كيانه، ثم يفهم عنه ما يوحي به من إيحاءات" [2] ويشير سيد قطب إلى العنصر الخاص الذي يجعل قارئ القرآن يحس بدفء القرآن وجاذبيته، ويذهب المتلقي يبحث عنه في ثنايا النص الجميل. "إن في هذا القرآن سراً خاصاً، يشعر به كل من يواجه نصوصه ابتداءً، قبل أن يبحث عن مواضع الإعجاز فيها، إنه يشعر أن هنالك عنصراً ما ينسكب في الحس بمجرد الاستماع لهذا القرآن، يصعب تحديد مصدره:

أهو العبارة ذاتها؟

أهو المعنى الكامن فيها؟

أهو الصور والظلال التي تشعها؟

أهو الإيقاع القرآني الخاص المتميز من إيقاع سائر القول المصوغ من اللغة؟

أهي هذه العناصر كلها مجتمعة؟

أم إنها هي وشيء آخر وراءها غير محدود؟!

ذلك سر مودع في كل نص قرآني، يشعر به كل من يواجه نصوص هذا القرآن ابتداءً"[3] .

إن تفرد القرآن الكريم بهذا الأسلوب الخاص، هو الذي جعله مبايناً للمعهود في كلام العرب، إذ إن المعاني الجليلة كان يعبر عنها بأساليب ساحرة جاذبة، فلم يطغ المبنى على المعنى أو العكس.

---

(1) محمد علي الصابوني، التبيان في علوم القرآن،١٠٢ .

(2) صلاح الخالدي، مفاتيح للتعامل مع القرآن، ٩٦.

(3) سيد قطب، في ظلال القرآن، ٣٣٩٩/٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"وهذا القرآن الكريم في كل سورة منه وآية، وفي كل مقطع منه وفقرة، وفي كل مشهد منه وقصة، وفي كل مطلع منه وختام يمتاز بأسلوب إيقاعي، غني بالموسيقى، مملوء نغماً" [1] . إن أسلوب القرآن الكريم يهز العقل والوجدان، إذ إن من أهم ميزات هذا الكتاب الكريم أنه يجمع بين مخاطبة العقل والقلب. " ومن ذا الذي يقرأ سورة كاملة من سور القرآن الكريم، طويلة أو قصيرة، مكية أو مدنية، ثم لا يوقظ نسقها الرائع قلبه، ويهز إيقاعها العجيب مشاعره.

إن المرء ليحار إذا قرأ مثلاً سورة ﴿ *الرحمن* ﴾ فيتساءل : هل انبعث إيقاعها الجميل المنساب من مطلعها أم من ختامها أم من خلال آياتها؟ وإذا هو يقطع بأن النغم يسري فيها كلها: في فواصلها ومقاطعها، وفي ألفاظها وحروفها، وفي انسياقها وانسيابها، حتى لو انتقى مقطعاً واحداً من مقاطعها، أو موضوعاً واحداً من موضوعاتها الجزئية، والتمس في أجزائه النغم والإيقاع لكان في كل جزء منه نغمة وفي كل حرف منه لحن من ألحان السماء" [2] وقد راح الباحثون ينظرون في الأسباب التي جعلت من القرآن الكريم نظماً غير معهود، وألقت عليه حلل العظمة والجمال، فنجد أحمد بدوي يجتهد في الأمر فيقول " ويتسم أسلوب القرآن الكريم بالأمور الثلاثة التالية:

١- الرفعة.

٢- التصوير.

٣- الانسجام الموسيقي، الذي تؤلف فيه العبارة من كلمات منسقة، ذات حركات وسكنات، يشعر المرء عند تلاوتها بما يكمن وراء هذا النظام من موسيقى واتساق، وإن هذه الموسيقى التي تكمن وراء هذا النظم هي التي مكنت المرتلين من تلاوته بهذه الأنغام الموسيقية" [3] ويتابع أحمد بدوي التركيز على موسيقية النص القرآني فيركز اهتمامه على بعض مقاطع النظم القرآني التي جاءت موزونة بما يشبه بحور الشعر. " وإن شدة هذا الانسجام يصل في بعض الأحيان إلى أن تتفق الآية ووزن بحر من بحور الشعر، كما نرى ذلك في قوله تعالى : ﴿ *وجفان كالجواب وقدور راسيات* ﴾ سبأ ١٣، فهي تتفق مع بحر الرمل، وقوله تعالى: ﴿ *من تزكى فإنما يتزكى لنفسه* ﴾ فاطر ١٨، مما يتزن على مجزوء البحر الخفيف، وقوله تعالى : ﴿ *هيهات هيهات لما توعدون* ﴾ المؤمنون ٣٦ ، مما يوافق شطراً من البحر السريع، وقوله تعالى : ﴿ *ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب* ﴾ الطلاق ٢-٣، مما يوافق البحر المتقارب، وقوله سبحانه في سورة الإنسان: ﴿ *وذللت قطوفها تذليلاً* ﴾ الإنسان ١٤، يوافق شطر البحر الرجز، وقوله تعالى:

---

[1] صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ٣٣٤.

[2] المرجع السابق، ٣٣٧.

[3] أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، ٢٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

﴿ يخزهم، وينصركم عليهم ، ويشف صدور قوم مؤمنين ﴾ التوبة ١٤، على بحر الوافر، وقوله تعالى: ﴿ والعاديات ضبحاً ۞ فالموريات قدحاً ﴾ العاديات ١-٢، وعلى شاكلته، مما يوزن على البحر الرجز" [١] . ويشير سيد قطب إلى الموسيقى الداخلية في النص القرآني ويربطها بالحركة والسكون ورهافة حس المتلقي. "وهكذا تتبدى تلك الموسيقى الداخلية في بناء التعبير القرآني، موزونة بميزان شديد الحساسية، تمليه أخف الحركات والاهتزازات، ولو لم يكن شعراً، ولو لم يتقيد بقيود الشعر الكثيرة، التي تحد من الحرية الكاملة في التعبير الدقيق عن القصد المطلوب".[٢] . ولحازم القرطاجني [٣] نظرة في أسباب جمالية النص القرآني، حيث يقول: " ولما كان الأسلوب في المعاني يازاء النظم في الألفاظ وجب أن يلاحظ فيه من حسن الاطراد والتناسب والتلطف في الانتقال عن جهة إلى جهة والصيرورة من مقصد إلى مقصد ما يلاحظ في النظم من حسن الاطراد من بعض العبارات إلى بعض ومراعاة المناسبة ولطف النقلة" [٤] .

مما تقدم نلحظ التميز العجيب الذي استأثر به القرآن، والحلة البهية التي أضفت على معانيه المهابة، وعلى أسلوبه الرفعة والتفرد، مما جعله حقيقاً بإنعام النظر فيه لتحديد مظاهر الرفعة والتفرد والمهابة.

" وإذا كانت آيات الله البينات يقرؤها القارئ، أو يسمعها السامع، وهي تؤدي غرضها ليعرف الإنسان خالقه، ويدرك خيره في معاشه ومعاده، فإن الآيات نفسها مع ذلك نراها وقد عرضت في أطر بديعة منسقة، منسابة في جو يشيع منه الجمال والجلال: أما الجمال ففي العرض، وقوة الأداء، وإيقاع العبارة، وإيحاء الإشارة، على نحو لا شبيه له ولا مثيل.

وأما الجلال: فلو أن الجبال الرواسي قرعت بشيء لتسير عن أماكنها، أو الأرض الصلبة صدعت بشيء حتى تغيرت معالمها، أو أن الموتى في قبورهم خوطبوا بشيء فقاموا من مضاجعهم لكان هذا الشيء هو القرآن العظيم، وصدق الله قائله: ﴿ ولو أن قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى، بل لله الأمر جميعاً ﴾ الرعد ٣١ "[٥] .

---

(١) أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، ٢٤٥.

(٢) سيد قطب، التصوير الفني، ١١٢.

(٣) أبو الحسن حازم بن محمد (٦٠٨-٦٨٤ هـ) أديب من العلماء وله شعر، من أهل قرطاجنة شرقي الأندلس (معجم الأعلام: ١٨٣).

(٤) حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن خوجة، ٣٦٤.

(٥) صلاح الدين عبد التواب، الصورة الأدبية في القرآن الكريم، ٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يكن ليقتصر هذا التأثير السمعي للقرآن في بني البشر وبعض المخلوقات التي لها ما للإنسان من أجهزة خَلْقية وخصائصها كالسمع والبصر، بل تجاوزه إلى ما هو جماد لا حس له كالحجارة والتراب، قال تعالى : ﴿ *لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله، وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون* ﴾ الحشر ٢١.

" ولهذا الأثر الخطير قاوم المشركون الاستماع إليه، وتناهوا عن ذلك، قال عز وجل: ﴿ *وقال الذين كفروا لا تَسْمَعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون* ﴾ فصلت ٢٦.

وقد اتخذوا السبب الموسيقي، وهم ينطقون بشي يلفقونه للتأثير في المستمعين واستمالتهم، قال عز وجل ﴿ *وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب، ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون* ﴾ آل عمران ٧٨.

ولما كان نص القرآن الكريم يتلى على نحو معلوم ألفنا أن نسمعه في محافلنا ومنازلنا، ومن المذياع، فقد أمرنا المولى العظيم بالاستماع والإنصات للرحمة التي تلزم من الاستماع فقال سبحانه: ﴿ *وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون* ﴾ الأعراف ٢٠٤ "[1]

وهكذا نرى القرآن الكريم نسيجَ وحدِه، مبايناً لما عهده البشر من أساليب البيان، قائداً للبلاغه وهادياً لأولي القول واللسن، يغرقون من عبابه، ويركبون موجه، علّ الحيناة تنبض في نتاجهم، ويكون الخلود حليف نثرهم وشعرهم.

ـ المطلب الثالث : القرآن الكريم والأداء الصوتي الخاص

تميز القرآن الكريم منذ نزوله بطريقة خاصة في التلاوة والأداء، لم تكن معروفة على هذا النحو عند العرب، حيث اعتمد تعلمه على التلقي والمشافهة، والتلفظ به مع الحرص على أداء أحكام نطقه من غنات ومدود وإمالات وتسهيلات وغير ذلك، وجاء الأمر بهذا من الله – جل وعلا – قال تعالى : ﴿ *فإذا قرأناه فاتبع قرآنه* ﴾ القيامة ١٨، ﴿ *الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به* ﴾ البقرة ١٢١، ﴿ *ورتل القرآن ترتيلاً* ﴾ المزمل ٤.

---

[1] محيي الدين رمضان، وجوه من الإعجاز الموسيقى في القرآن، ٢٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما جاء الحض من النبي –صلى الله عليه وسلم– على التغني بالقرآن وتحسين الصوت به، فعن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول: " ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به" رواه البخاري ومسلم [1] .

وقد أعجب النبي –صلى الله عليه وسلم– كثيراً بقراءة أبي موسى الأشعري –رضي الله عنه– فقال له : " لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود" رواه البخاري ومسلم [2] .

وكان النبي –صلى الله عليه وسلم– متميزاً في قراءته للقرآن الكريم، من حق أداء، وجمالية صوت، فعن البراء بن عازب –رضي الله عنهما– قال: "سمعت النبي –صلى الله عليه وسلم– قرأ في العشاء بالتين والزيتون، فما سمعت أحداً أحسن صوتاً منه" رواه البخاري ومسلم [3] .

كما رغّب –عليه الصلاة والسلام– في التغني بالقرآن فقال: " من لم يتغن بالقرآن فليس منا"رواه أبو داوود [4] .

حتى بلغ الأمر بالنبي –صلى الله عليه وسلم– أنه أحب أن يسمع القرآن من غيره، ليشعر بلذة السماع، فعن ابن مسعود –رضي الله عنه– قال: " قال لي النبي –صلى الله عليه وسلم : "اقرأ عليّ القرآن"، قلت : يا رسول الله، أقرأ عليك وعليك أنزل؟! قال: "إني أحب أن أسمعه من غيري" .. الحديث رواه البخاري ومسلم [5] .

وقد تناقل العلماء وأهل القرآن المهرة به علم التجويد وأصوله من لدن النبي – صلى الله عليه وسلم – بالتواتر والضبط، فقعدت أصوله، وبيّنت دقائقه، وألفت المؤلفات ونظمت المنظومات للتعريف بعلم التجويد. ومن ألطف ما نظم في ذلك وأغزره علماً طيبة النشر في القراءات العشر للإمام محمد بن الجزري[6] ، حيث قال في مقدمة الطيبة:

---

(1) أخرجه البخاري في فضائل القرآن (٦٨/٩) رقم ٥٠٢٤، ومسلم في صلاة المسافرين (٥٤٥/١) رقم ٧٩٢.

(2) أخرجه البخاري في فضائل القرآن (٩٢/٩) رقم ٥٠٤٨، ومسلم في صلاة المسافرين (٥٤٦/١) رقم ٧٩٣.

(3) أخرجه البخاري في الأذان (٥٥١/٢) رقم ٧٦٩، ومسلم في الصلاة (٣٣٩/١) رقم ٤٦٤.

(4) أخرجه البخاري في التوحيد (٥٠١/١٣) رقم ٧٥٢٧، وأبو داود في استحباب الترتيل (٧٤/٢) من حديث سعد .

(5) أخرجه البخاري في فضائل القرآن (٩٨/٩) رقم ٥٠٥٦، ومسلم في صلاة المسافرين (٥٥١/١) رقم ٨٠٠ .

(6) محمد بن محمد بن الجزري الدمشقي (٧٥١-٨٣٣ هـ) شيخ الإقراء في زمانه.(معجم الأعلام : ٧٨٣).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويُقرأ القرآنُ بالتحقيق مـــــع ... حذْر وتدوير وكـــلّ متّبَـــــع

مع حسن صوت بلحون العرب ... مرتـــــلاً مجـوداً بالعربـــــي

والأخذ بالتجويـد حتـــــم لازم ... من لم يجـــــود القرآن آثـــم

لأنه بـه الإلـــــه أنـــــــزلا ... وهكـــــذا عنه إلينـا وصـــــلا

مكملاً مـــن غير ما تكلـــفِ ... باللطف في النطـــق بلا تعســـفِ [1]

وذكر الإمام الحافظ أبو عبد الله الترمذي الحكيم [2] في نوادر الأصول من حديث حذيفـة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها، وإياكم ولحـون أهل الفسق ولحون أهل الكتابين [3] ،وسيجيء بعدي قوم يرجّعون بالقرآن ترجيع الغنـاء والنـوح لا يجاوز حناجرهم مفتونة قلوبهم، وقلوب من يعجبهم شأنهم" [4] .

واللحون: جمع لحن، وهو التطريب وترجيع الصـوت وتحسينه بـالقراءة والشـعر والغنـاء. والمعنى: احذروا يا معشر القراء من أن تكون لحونكم وقراءتكم كلحون أهل الفسق والكبائر، وهم الذين يرجّعون القرآن ترجيع الغناء، فيقرأونه حسب النزوات ونغمات الأصوات من غـير مراعـاة لأحكام التجويد، ولا تفكرٍ في قول الله جل شأنه، قال تعالى: ﴿*كذلك لنثبت بـه فـؤادك، ورتلنـاه ترتيلاً*﴾ الفرقان ٣٢ "[5] . ويشير مصطفى صادق الرافعي إلى الخصائص الموسيقية للنص القرآنـي، إذ يرى أنها تنبعث من صفات حروفه وطريقة تتابعها " فإعجاز النظـم بخصائصـه الموسيقية، وتسـاوق هذه الحروف على أصول مضبوطة من بلاغة النغم، بالهمس والجهر والقلقلة والصفـير والمـد والغنـة ونحوها، ثم اختلاف ذلك في الآيات بسطاً وإيجازاً، وابتداءاً ورداً، وإفراداً وتكريـراً "[6] . والقـرآن الكريم وإنْ كان يتسم بالنغم المريح للنفس وتتابع أصواته بطريقـة طبيعيـة سـهلة المأخذ فهـو ليـس شعراً وليس موسيقى. " وكل الذين يدركون أسرار الموسيقى وفلسفتها النفسـية، لا يـرون في الفـن العربي بجملته شيئاً يعـدل هذا التناسب الذي هو طبيعي في كلمات القـرآن وأصـوات حروفه،

---

(١) محمد بن الجزري، طيبة النشر في القرآن العشر، تحقيق محمد تميم الزعبي، ٣٦.

(٢) محمد بن الحسن الترمذي (... – نحو ٣٢٠ هـ) باحث، صوفي عالم بالحديث وأصول الدين.(معجم الأعلام:٧٥١).

(٣) اليهود والنصارى.

(٤) إبراهيم علي عمر، القرآن الكريم: تاريخه وآدابه، ١٩٨. والحديث أخرجه أبو عبيد القاسم ابن سلام في فضائل القرآن ص٨٠ ، رقم (١٨/١٦) . والطبراني في الأوسط (مجمع الزوائد : ١٦٩/٧) .

(٥) المرجع السابق، ١٩٨.

(٦) مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب (الهامش)، ٢١٤/٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومـــا منهم من يستطيع أن يغتمز في ذلك حرفاً واحداً، ويعلو القرآن على الموسيقى أنه مـع هـذه الخاصة العجيبة ليس من الموسيقى" [1] . ويرى أهـل الأدب أن لأداء النص وسمته الموسـيقى دوراً مهماً في التأثير في المتلقي. "والخيال ليس العنصر الوحيد في تكوين الصـورة الأدبيـة، فهنـاك العبـارة الموسيقية، حيث لا ينكر دورها في مجال التصوير الأدبي" [2] .

إن النـص القرآنـي منـذ أنـزل، كـانت لـه طريقتـه الخاصـة في الأداء، وأسـلوبه المتمـيز في الخصائص، وقد نزل القرآن بحزَن، لـذا يُحسن مـن قـرأه بذلـك الحـزَن، وعلـى مـا ضبطـه علمـاء التجويد والأداء، وهذا ما ميز القرآن من الشعر أو الخطابة أو غير ذلك من فنـون العربيـة، وذلـك لتهيئة القلب والعقل للاستماع والانفعال مع مراد النص.

---

(1) مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب (الهامش)، ١٩٨.

(2) صلاح الدين عبد التواب، الصورة الأدبية في القرآن الكريم، ٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الباب الأول

الإيقاع والإعجاز القرآني

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

مدخل إلى الإعجاز القرآني

. المطلب الأول : الآية المعجزة

الإعجاز: إثبات العجز، والعجز في التعارف : اسم للقصور عن فعل الشيء، وهو ضد القوة[1]. والإعجاز من المعجزة، وهي الخروج عن المألوف في سنن الحياة والكون، مع الاقتران بالتحدي للبشر، وعدم المعارضة من أحد [2]. وإذا ثبت الإعجاز ظهرت قدرة المعجز والمراد بالإعجاز هنا: إظهار صدق النبي –صلى الله عليه وسلم– في دعوى الرسالة، بإظهار عجز العرب عن معارضته في معجزته الخالدة وهي القرآن الكريم، وعجز الأجيال بعدهم [3].

وعندنا فعلان: ثلاثي مجرد ثلاثي مزيد.

الثلاثي المجرد: عجز يعجز، فهو عاجز. وهذا للضعيف المهزوم العاجز عن التحدي والمواجهة. ومصدر الفعل هو العجز.

أما الثلاثي المزيد فهو: أعجز يعجز. فهو معجز. وهذا للمنتصر القوي الذي غلب خصمه وأعجزه، ومصدر الفعل هو الإعجاز [4].

ولقد شاء الله سبحانه وتعالى أن تكون المعجزة الأولى والكبرى للرسول عليه الصلاة والسلام عقلية معنوية بيانية، قال تعالى : ﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك، إذاً لارتاب المبطلون ۞ بل هو آيات بينات في صدور الذي أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون ۞ وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه، قل إنما الآيات عند الله، وإنما أنا نذير مبين ۞ أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم، إنّ في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون﴾ العنكبوت ٤٨-٥١.

---

(1) مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ٢٥٨.

(2) أمير عبد العزيز، دراسات في علوم القرآن، ١١٦.

(3) مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ٢٥٨.

(4) صلاح الخالدي، البيان في إعجاز القرآن، ٢٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد أفصح رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن الحكمة من ذلك، فقد روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر. وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحى الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة" [1].

والحقيقة أن القرآن معجز بكل ما يحتمله هذا اللفظ من معنى: فهو معجز في ألفاظه وأسلوبه، والحرف الواحد منه في موضعه من الإعجاز الذي لا يغني عنه غيره في تماسك الكلمة، والكلمة في موضعها من الإعجاز في تماسك الجملة، والجملة في موضعها من الإعجاز في تماسك الآية.

وهو معجز في نظمه وبيانه، يجد فيه القارئ صورة حية للحياة والكون والإنسان... وهو معجز بعلومه ومعارفه التي أثبت العلم الحديث كثيراً من حقائقها المغيبة. وهو معجز في تشريعه وصيانته لحقوق الإنسان، والقرآن أولاً وآخراً هو الذي صير العرب رعاة الشاة والغنم، ساسة شعوب وقادة أمم، وهذا وحده إعجاز [2]. ويشير أمير عبد العزيز لمجموعة من الحقائق الموضوعية التي تكشف عن طبيعة الإعجاز في هذا الكتاب الحكيم:

الحقيقة الأولى: وهي أن أجناس الكلام مختلفة، وأن مراتبه من حيث البيان متفاوته، بمعنى أن من درجات الكلام ما هو بليغ رصين وجزل ومنها ما هو فصيح وواضح، ومنها ما يتسم بالإطلاق والإرسال وغير ذلك من أوجه البلاغه في إطارها الشامل.

الحقيقة الثانية: خروج القرآن من جنس كلام العرب من النظم والنثر والشعر والخطابة والرسالة والسجع، مع أن حروفه في كلام العرب، ومعانيه في خطابهم، وألفاظه من جنس كلماتهم.

الحقيقة الثالثة: الإيجاز الذي يرد في غاية الرصانة والبلاغة والجمال. وهو إيجاز عظيم وبالغ، لكنه كريم وعذب ومرغوب.

والحقيقة الرابعة: أن القرآن لا يمل منه قارئ ولا سامع. وكل كلام غيره يعاف من الترديد، ويمج مع كثرة التكرار. (وفي الحديث "ولا يخلق على كثرة الرد"، أخرجه الدارمي في فضائل القرآن (٤٣٥/٢) من حديث علي مرفوعاً) .

---

(١) صلاح الخالدي، البيان في إعجاز القرآن، ٥٧. والحديث أخرجه احمد في مسند (٣٤١/٢) من حديث أبي هريرة مرفوعاً.

(٢) مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ٢٦٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحقيقة الخامسة: وهي روعة القرآن التي تلحق قلوب السامعين، فتشدها شداً، وتغمرها بالبهر والإعجاب.

الحقيقة السادسة: الإنباء عن الماضي من أخبار القرون السالفة.

الحقيقة السابعة : الإنباء عن المستقبل.

الحقيقة الثامنة : التوافق وعدم الاختلاف، بمعنى أنّ القرآن يوافق بعضه بعضاً.

الحقيقة التاسعة : هذه النماذج البشرية العظيمة التي تولدت عقيب نزول القرآن.

الحقيقة العاشرة : هذه اللفتات العلمية التي ذكرها القرآن[1].

لقد مثل هذا الكتاب الكريم نقلة هائلة في اللغة العربية والواقع العربي، فعلى المستوى الذهني واللغوي كان آية معجزة تحدى أصحاب اللغة أنفسهم أن يعارضوه، ورسم لهم معالم جديدة في البلاغة وحسن البيان، وعلى المستوى الاجتماعي والتاريخي غير أوضاع العرب وأثار طاقاتهم الكامنة ووجهها نحو الخير والفلاح.

ـ المطلب الثاني: القرآن الكريم والتحدي

يتميز القرآن الكريم بسمة العزة والقوة، إذ يطلق حقائقه وأحكامه دون أن يهاب أحداً، او يحابي أحداً، وهذا فرق جوهري بين كلام الله تعالى وكلام البشر، فالكلام صفة المتكلم، والكلام يستمد عزته وقوته من هيبة قائله وعظمته، فلا غرو أن يحس قارئ القرآن هذا النفس العزيز في الكتاب العزيز.

ولعل التعريف السليم الشامل للقرآن الكريم الذي يرد على نحو جامع ومانع هو: " كلام الله المعجز المنزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، المكتوب في المصاحف المنقول بالتواتر المتعبد بتلاوته.وفي تقديرنا ان هذا التعريف يتسم بالدقة والشمول بحيث يتناول كل حقيقة لمفهوم الكتاب الحكيم. ومن خلال هذا التعريف يتبين أن القرآن كلام الله، فهو معجز بذلك، يعز على الناس والملائكة والجن أن يأتوا بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً فهو في مستواه اللغوي والمعنوي، وفي روعته التي تأخذ الأسماع والقلوب، كان غير ما عرفه البشر من كلام" [2].

---

(1) أمير عبد العزيز، دراسات في علوم القرآن، ١١٦-١٣٦.

(2) المرجع السابق، ١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولقد وقع التحدي بالقرآن كله: ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾ الإسراء ٨٨.

ثم تنزل معهم في التحدي وجاء بصورة أهون وأخف حدّة، وتحداهم بأن يأتوا بعشر سور مثله، قال جل شأنه: ﴿*أم يقولون افتراه، قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات*﴾ هود ١٣.

ثم جاء القرآن بعد ذلك بطلب أسهل وهو أن يأتوا بسورة مثله، فقال جل شأنه: ﴿*أم يقولون افتراه، قل فأتوا بسورة مثله، وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين*﴾ يونس٣٨.

ولما عجزوا عن ذلك كله تحداهم بأسهل مما تقدم، فطلب منهم أن يأتوا بسورة من مثله، فقال تعالى : ﴿ *وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله، وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين* ۞ *فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين* ﴾ البقرة ٢٣-٢٤.

" ونحن لا نرى الإعجاز في قدر معين لأننا نجده في أصوات حروفه ووقع كلماته، كما نجده في الآية والسورة، فالقرآن كلام الله وكفى " [١] .

ومن وسائل إدراك الإعجاز :

١- البلاغة والبيان: بأن يتمكن البليغ منها، ويتقنها ويمارسها، ويفهم أساليبها وفنونها، ويلاحظ توفر تلك الأساليب والفنون في نصوص القرآن المعجزة.

٢- الذوق: الذوق قوة يقدر بها العمل الفني، وهو استعداد فطري، يقدر به صاحبه على تقدير الجمال والاستمتاع به. وهو مزيج من العقل والعاطفة والحس والشعور.

٣- الفهم الأدبي: وذلك بأن يتزود الناظر في الإعجاز بثقافة عالية، يمارس فيها فن التفكير، وفن القول، وفن التعبير، ويطلع على نتاج وأعمال المفكرين والكاتبين من البشر، ويرى تفاوتها في مستوياتها، ثم يطلع على القرآن [٢] .

ويزداد إدراك الإنسان لجمال القرآن، وسر إعجازه كلما أخلص في التوجه لفهم هذا الكتاب، وتقرب إلى الله بتلاوة كتابه: ﴿*إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور* ﴾ فاطر ٢٩..

---

[١] مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ٢٦٤.

وانظر صابر غانم المنكوت، لطائف البيان في أحكام وعلوم القرآن، ٢٨-٢٩.

[٢] صلاح الخالدي، البيان في إعجاز القرآن، ٩٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا وقد "بهر القرآن العرب بموارده ومصادره، وألفاظه ومعانيه، وأسلوبه السهل الممتنع، وهذا الأسلوب إنما هو مادة الإعجاز العربي في كلام العرب كله، ليس من ذلك شيء إلا وهو معجز، وليس من هذا شيء يمكن أن يكون معجزاً، وكما يقول الباقلاني: هو الذي قطع العرب دون المعارضة، واعتقلهم عن الكلام فيها، وضربهم بالحجة من أنفسهم وتركهم على ذلك يتلكأون" [1] ولا يفهم من هذا أن الرافعي يقول بالصَرفة، والصرفة وجه من الإعجاز ذهب إليه المعتزلة ومفاده أن الله جل وعلا صرف العرب عن معارضة القرآن، رغم قدرتهم على المعارضة. ويضيف الرافعي "إن العرب لما ورد عليهم أسلوب القرآن رأوا ألفاظهم بأعيانها متساوقة فيما ألفوه من طرق الخطاب والوان المنطق، ليس في ذلك إعنات ولا معاياة، غير أنهم ورد عليهم من طرق نظمه، ووجوه تركيبه، ونسق حروفه في كلماتها، وكلماته في جملها، ونسق هذه الجمل في جملته، ما أذهلهم عن أنفسهم، من هيبة رائعة، وروعة مخوفة، وخوف تقشعر منه الجلود، حتى أحسوا بضعف الفطرة القوية، وتخلف الملكة المستحكمة" [2]. ومن إشارات القدماء إلى إعجاز النظم القرآني ما قاله القاضي أبو بكر الباقلاني "[3] والذي يشتمل عليه بديع نظمه المتضمن للإعجاز وجوه : منها ما يرجع إلى الجملة، وذلك أن نظم القرآن على تصرف وجوهه واختلاف مذاهبه خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختص به ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد، وذلك أن الطرق التي يتقيد بها الكلام البديع المنظوم تنقسم إلى أعاريض الشعر على اختلاف أنواعه، ثم إلى أنواع الكلام الموزون غير المقفى، ثم إلى أصناف الكلام المعدل المسجع، ثم إلى المعاني المعترضة على وجه بديع، وترتيب لطيف، وإن لم يكن معتدلاً وزنه، وذلك شبيه بجملة الكلام الذي لا يتعمل، أو يتصنع له، وقد علمنا أن القرآن خارج عن هذه الوجوه، ومباين لهذه الطرق، فليس من باب السجع، وليس من قبيل الشعر وتبين بخروجه عن أصناف كلامهم، وأساليب خطابهم، أنه خارج عن العادة وأنه معجز، وهذه خصوصية ترجع إلى جملة القرآن، وتميز حاصل في جميعه" [4]. وفي النص اقتباس واضح عن الباقلاني.

وهذا القرآن الكريم مكون من أربع عشرة سورة ومائة سورة، والسورة مقسمة إلى عدد من الآيات، "والسورة في الأصل: هي كل منزلة من البناء. والسورة من القرآن المنزلة بعد المنزلة

---

(1) مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، ١٨٨/٢.

(2) المرجع السابق، ١٨٩/٢.

(3) أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (٣٣٨-٤٠٣ هـ) قاض، انتهت إليه الرياسة في مذهب الأشاعرة.(معجم الأعلام:٧٢٣).

(4) مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ٢٦٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبينهما انفصال. وتجمع على سور أو سورات. وقد سميت بذلك لشرفها وارتفاع منزلتها فهي كالسور، ذلك البناء المرتفع البارز المستبين" [1].

أما الآية فهي لغة العلامة، وجمعها آي وآيات وآياي والآية من القرآن هي جماعة من الفاظ أو حروف [2]. ومن هذه الحروف تتكون كلمات الآية، وقد تطول الآية وقد تقصر، والسورة مجموعة من الآيات، وسور القرآن مكية أو مدنية. وسنعرض في الفصل اللاحق لموضوع القرآن المكي، وأوجه تمايزه من القرآن بعامة.

. المطلب الثالث : الإعجاز عند القدماء

كان السلف الأول يعظّم القرآن الكريم سجيّة دون تكلف أو تفصيل أو أبحاث كلامية، لكن مع انتشار الإسلام في الأرجاء، ودخول كثير من الأفكار الغريبة إلى الساحة الإسلامية، أصبح القرآن الكريم مثار جدل وسؤال حول ماهية نسقه، وطبيعة نسيجه، ومصدر تفرده، كما حاك البعض قضايا جديدة في البحث عن بلاغة التعابير القرآنية، والتشبيهات الواردة فيه، وغير ذلك. كل هذا حدا بأهل العلم أن ينهضوا للدفاع عن الكتاب الكريم، وليبينوا على نحو مقنع إعجاز القرآن، ويردوا الشبهة التي يطلقها أصحاب الأهواء، فكتب أبو عبيدة[3] كتابه " مجاز القرآن"، وتلت ذلك إشارات في كتب اللغة والأدب.

ولكن تناول الإعجاز القرآني بالبحث والدرس لم يبدأ مستقلاً في القرن الثالث، ولعل الجاحظ [4] اول من تكلم على بعض المباحث المتعلقة بالإعجاز في كتابه " نظم القرآن " وهو كتاب لم يصل إلينا، ولا يبعد أن يكون محمد بن زيد الواسطي [5] قد استفاد من كتاب الجاحظ وبنى عليه حين صنف كتابه " إعجاز القرآن " الذي لم يصل إلينا كذلك" [6].

---

(1) أمير عبد العزيز، دراسات في علوم القرآن، ٦٨.

(2) الرازي، مختار الصحاح، ٦٩.

(3) معمر بن المثنى (١١٠-٢٠٩هـ) من أئمة العلم باللغة والأدب. (الأعلام: ٢٧٢/٧).

(4) أبو عثمان عمرو بن بحر (١٦٣-٢٥٥هـ) كبير أئمة الأدب، رئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة. (معجم الأعلام: ٥٥٧).

(5) أبو عبد الله محمد بن زيد (٠٠٠-٣٠٧ هـ) من كبار علماء الإسلام، معتزلي. (معجم الأعلام : ٧٠٩).

(6) صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ٧٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ورأى الجاحظ أن الوجه الذي كان به القرآن معجزاً هو النظم [1] ، وقال بالصرفة بعد أن أعياه الوقوع على الضوابط الدقيقة التي يضبط بها وجه الإعجاز في القرآن، ويكشف عن أسرار هذا الإعجاز [2] .

وعالجت هذا الموضوع بعد الجاحظ جماعة من العلماء كان من أهمهم:

أبو سليمان محمد بن إبراهيم الخطابي [3] وخلاصة رأيه: "إنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم، وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة.. [4].

أما القاضي أبو بكر بن الطيب الباقلاني، فهو يجد القرآن بديع النظم عجيب التأليف، متناهياً في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه .. فنظم القرآن خارج في تصرف وجوهه واختلاف مذاهبه عن المعهود من جميع كلام العرب [5] .

أما الرماني[6] فتعد رسالته " النكت في إعجاز القرآن" من أمهات رسائل البلاغة وإعجاز القرآن الكريم، ووجوه الإعجاز تظهر له من سبع جهات: ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة، والتحدي للكافة، والصرفة، والبلاغة، والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة، ونقض العادة، وقياسه بكل معجزة [7] .

وكان للقاضي أبي الحسن عبد الجبار [8] وهو من كبار المعتزلة رأي في الإعجاز، فعنده ان الفصاحة التي انفرد بها القرآن تقوم على جزالة اللفظ، وحسن المعنى، ثم يأتي هذا كله في نظم فريد لم يسبق إليه، فيكون ثوباً جديداً من أثواب الحسن يزداد الكلام الفصيح بها فصاحة وبلاغة [9] .

---

(1) عبد الكريم الخطيب، الإعجاز في دراسات السابقين، ١٦٤.

(2) المرجع السابق، ١٧٧.

(3) أبو سليمان حمد بن محمد (٣١٩-٣٨٨هـ) فقيه محدث من بلاد كابل، وهو من نسل زيد بن الخطاب. (معجم الأعلام: ٢٢٥).

(4) الخطابي، بيان إعجاز القرآن، ٦٤.

(5) المرجع السابق، ١٧.

(6) أبو الحسن علي بن عيسى (٢٩٦-٣٨٤ هـ) باحث معتزلي، مفسر، من كبار النحاة. (معجم الأعلام: ٥٢٧).

(7) بدوي طبانة، البيان العربي، ٤٩.

(8) أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد (٠٠٠ - ٤١٥هـ)، قاضٍ، أصولي. (معجم الأعلام: ٣٨٦).

(9) مصطفى الدباغ، وجوه من الإعجاز القرآني، ١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهكذا رأينا أن النقد والبلاغة كانا لدى المتحدثين عن الإعجاز في القرن الرابع مركبتين اتخذوهما للوصول إلى " منطقة" الإعجاز، ولكن عبد القاهر الجرجاني [1] سلك طريقاً معاكسة حين جعل منطلقه فكرة الإعجاز نفسها [2].

وفلسفة عبد القاهر البيانية تنهض على أساس فكرة النظم، ومعنى النظم عنده تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض.

والواقع أن هذه الفكرة لم يكن عبد القاهر مخترعاً لها، وإن كان هو الذي بسط فيها القول، وأقام على أساسها فلسفة كتابة " دلائل الإعجاز"، فقد سبقه إليها أبو عبد الله محمد بن زيد الواسطي المتكلم، الذي ألف كتاباً سماه "إعجاز القرآن في نظمه "[3].

وهو يرى أن ما أعجز العرب في القرآن الكريم مزايا نظمه وخصائص في سياق لفظه، وبدائع راعتهم من مبادئ آية ومقاطعها ومجاري ألفاظه ومواقعها .. ثم يقرر مذهبه في الإعجاز فيجعل اللفظ والمعنى كياناً واحداً للصورة الكلامية فليس عنده في الكلام لفظ ومعنى، وإنما صورة بيانية تؤلف بين الاثنين [4].

ولعل نظرية النظم القرآني، أو هذه الفكرة العميقة، التي تتابع على تجليتها وإعطائها هذا البعد أو المعنى الناصع غير واحد من العلماء حتى استوت على سوقها عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، لعلها أبرز ما قدمه العلماء من دراسات حول إعجاز القرآن [5].

إن عبد القاهر رفض أن يكون الإعجاز في الكلم المفردة بعيداً عن مسألة النظم هذه، رفض كذلك أن يكون في الفواصل والمقاطع، أو في الاستعارة والمجاز، وبعبارة أخرى إن عبد القاهر يحاول أن يجعل هذه الأبواب جزءاً من مقتضيات النظم ذاته [6].

وانتقد الأستاذ محمد البيومي عدم احتفاء عبد القاهر الجرجاني بدور اللفظة والفاصلة في جمال النظم فقال: " فأنت تراه [عبد القاهر] قد قدّر مكان الاستعارة القرآنية، وما هو بسبيلها من الصور الأدبية من دلائل الإعجاز ... ولكنه أغفل إغفالاً تاماً مكانة اللفظ ومكان المقطع والفاصلة مدّعياً أن شيئاً من ذلك لا قيمة له ما لم يراع النظام النحوي في تركيبه، وفي ذلك بعض

---

(1) أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن (٠٠٠-٤٧١هـ) واضع أصول البلاغة كان من أئمة اللغة. (معجم الأعلام:٤٢٧).

(2) إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ٣١٩.

(3) بدوي طبانة، البيان العربي، ١٦٤-١٦٥.

(4) مصطفى الدباغ، وجوه من الإعجاز القرآني، ١٩.

(5) عدنان محمد زرزور، علوم القرآن، ٢٣٣.

(6) المرجع السابق، ٢٣٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الغلو ... وإن شئت فانظر مثلاً إلى قول الله – عز وجل –: ﴿ *ذرني ومن خلقت وحيداً ۞ وجعلت له مالاً ممدوداً ۞ وبنين شهوداً ۞ ومهدت له تمهيداً ۞ ثم يطمع أن أزيد*﴾ المدثر ١١-١٥ وحاول أن تقرأه على هذه الصورة: ذرني ومن خلقت وحيداً، وجعلت له مالاً مبسوطاً، وبنين حاضرين، ومهدت له تمهيداً، ثم يطمع أن أكثر. فإنك إذا فعلت ذلك لم تخرج عن قضية النظم النحوي كما عناه عبد القاهر، ولكنك تغفل عن أثر المقطع والفاصلة، فتهبط بالكلام من مستوى إلى مستوى، وذلك ما كان ينبغي أن يلتفت إليه هذا الدارس الخصيف، وما أحراه أن يدخل اختيار اللفظ وجمال المقطع في ترتيب النظم بحيلة فكرية، كما أدخل الاستعارة من قبل" [١].

ومن مقولات هذا المجتهد في كتابه دلائل الإعجاز : " وأما نظم الكلم .. فيقتفي آثار المعاني ويرتب على حسب ترتيبها في النفس، فهو إذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، ولا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك "[٢]. وقال عبد القاهر حول نظرته إلى دور الفواصل والمقاطع في الإعجاز والتحدي: " إن زعم زاعم أن الوصف الذي تُحدوا إليه هو أن يأتوا بكلام يجعلون له مقاطع وفواصل كالذي تراه في القرآن ليس بأكثر من التعويل على مراعاة وزن، وإنما الفواصل في الآي كالقوافي في الشعر، وقد علمنا اقتدارهم على القوافي كيف هو، فلو لم يكن التحدي إلا إلى فصول من الكلام يكون لها أواخر أشباه القوافي لم يعوزهم ذلك ولم يتعذر عليهم" [٣]. ثم يلخص نظريته في نظم القرآن بقوله: " ليس النظم شيئاً إلا توخي معاني النحو وأحكامه ووجوهه وفروقه فيما بين معاني الكلم"[٤]. ونلاحظ هنا تركيز عبد القاهر على دور العلائق النحوية في استواء النظم.

ثم جاء بعده الزمخشري [٥] ، ولم يبحث إعجاز القرآن بحثاً علمياً موضوعياً بل جعل القرآن كله آيات معجزة، تطلع من كل حرف من حروفه، ومن كل كلمة من كلمة، وفي كل آية من آياته (في الكشاف).

ورأى القاضي عياض [٦] أن وجوه الإعجاز هي:

١- حسن تأليفه

---

[١] عدنان محمد زرزور، علوم القرآن، ٢٤٠.

[٢] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ٤٠-٤٤.

[٣] المرجع السابق، ٢٩٦.

[٤] المرجع السابق، ٤٠٣.

[٥] أبو القاسم محمود بن عمر (٤٦٧-٥٣٨ هـ) من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب. (معجم الأعلام:٧٦٢).

[٦] أبو الفضل عياض بن موسى (٤٧٦- ٥٤٤ هـ) من المغرب، وإمام أهل الحديث في زمانه. (معجم الأعلام:٥٦٩).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- صورة نظمه العجيب

٣- ما انطوى عليه القرآن من الإخبار بالمغيبات

٤- ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة [١] .

وتحدث ابن عطية[٢] في مقدمة تفسيره عن الإعجاز، وهو يرى أن إعجاز القرآن بنظمه وصحة معانية [٣] .

إن نظم القرآن وحسن تأليفه هو السبب المشترك بين كل القدماء في تعليل ظاهرة الإعجاز، فبعضهم وقف عنده في تعليل الإعجاز، والبعض الآخر حاول ايجاد بواعث أخرى للإعجاز.

وكما تقول الدكتورة عائشة عبد الرحمن: " اختلفت مذاهب السلف من علماء الإسلام في بيان الإعجاز، وتعددت أقوالهم في وجوهه، لكن إعجازه البلاغي لم يكن قط موضع خلاف، وإنما كان الجدل بين الفرق الإسلامية في اعتباره الوجه في الإعجاز، أو القول بوجوه أخرى معه"[٤] .

. المطلب الرابع : الإعجاز عند المحدثين

كان لمنهج القدماء في بحث الإعجاز أثر واضح في مساهمات المحدثين في موضوع الإعجاز، وإن كان التناول عند الفريق الثاني قد أخذ مظاهر جديدة، لم يكن قد وقف عندها الفريق الأول وقفة تأمل أو دراسة شاملة، ذلك أن تطور البحث البلاغي والأسلوبي في العصر الحديث، أدى إلى تجديد النظرة في بلاغة القرآن وأسلوبه، مما أغنى وجه الإعجاز البياني والتصويري في القرآن فقد ردّ الرافعي الإعجاز إلى أمرين:

١- ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة.

٢- استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه [٥] .

وخلاصة رأيه في الإعجاز أن فصاحة القرآن هي آية إعجازه [٦] .

---

(١) عبد الكريم الخطيب، الإعجاز في دراسات السابقين، ٣١٨.

(٢) أبو محمد عبد الحق بن غالب الغرناطي (٤٨١ - ٥٤٢هـ) مفسر، فقيه .

(٣) المرجع السابق، ٣١٩.

(٤) عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني للقرآن، ٧٦.

(٥) الرافعي،تاريخ آداب العرب، ١٩٥/٢ .

(٦) عبد الكريم الخطيب، الإعجاز في دراسات السابقين، ٣٣٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد أجاد الرافعي وهو يصف القرآن الكريم بيانه وفصاحته، فكان مما قال: "ومن أعجب ما رأيناه في إعجاز القرآن الكريم وإحكام نظمه، أنك تحسب ألفاظه هي التي تنقاد لمعانيه، ثم تتعرف ذلك وتتغلغل فيه فتنتهي إلى أن معانيه منقادة لألفاظه، ثم تحسب العكس، وتتعرفه مثبتاً فتصير منه إلى عكس ما حسبت، وما إن تزال متردداً على منازعة الجهتين كلتيهما، حتى ترده إلى الله الذي خلق في العرب فطرة اللغة، ثم أخرج من هذه اللغه ما أعجز تلك الفطرة"[1].

ويشير الدكتور محمد عبد الله دراز إلى أنه " لما سبقت كلمة الله أن يصون علينا نفائس العلوم التي أودعها هذا الكتاب الكريم، قضت حكمته أن يختار لها صواناً (وعاءً) يحببها إلى الناس بعذوبته، ويغريهم عليها بطلاوته، ويكون بمنزلة " الحدّاء" يستحث النفوس على السير إليها" [2].

وإلى قريب مما تقدم يشير الدكتور حامد صادق قنيبي إلى حقيقة الإعجاز وجوهرة: " وهذا الإيقاع الموسيقي، والجمال الصوتي، والتناسق المتكامل هو أول شيء أحسته الأذن العربية يوم نزل القرآن وتلاه الرسول –صلى الله عليه وسلم– ولم تكن من قبل عهدت مثله في منثور الكلام ومنظومه... فموسيقى القرآن داخلية تتخلل الكلام كله، وتنتظم جميع أجزائه، كلماته وحروفه، مع مراعاة التناسب بين نوع النغمة وصفاتها، والفكرة أو الموضوع أو المشهد الذي تعبر عنه الآيات"[3].

لكن سيد قطب كان له رأي مختلف في الإعجاز القرآني، إذ تأثر بدراساته للأدب والنقد الحديث، فإعجاز القرآن عنده، وكما أكده في كتاب "التصوير الفني في القرآن" يتمثل في بيانه وتعبيره، يتمثل في طريقة التصوير الفني التي عرض بها موضوعاته التي من أجلها كان له سحره الخاص، وتأثيره الخاص، وجاذبيته الخاصة، وقد تساوى في الإقرار بها المؤمنون والكافرون على السواء في القديم والحديث[4].

لقد نظر سيد قطب في أول ما نزل من الآيات والسور، التي أحدثت فيهم هذا الأثر، فوجدها تخلو – تقريباً – من الوجوه التي فسر بها إعجاز القرآن بعد ذلك، ولكنها تشتمل على البيان الساحر، والنسق الفني والتصوير المعجز، فأدرك أن الإعجاز يكمن في بيان القرآن، ونسقه، وتصويره، وفنه [5].

---

(1) الرافعي، تاريخ آداب العرب، ٤٨/٢.

(2) صلاح الخالدي، البيان في إعجاز القرآن، ١٤٤.

(3) حامد صادق قنيبي ، المشاهد في القرآن الكريم، ٢٧٣.

(4) سيد قطب، التصوير الفني في القرآن ، ٣٦ .

(5) صلاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب،٢٨٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونختم إيجازنا هـذا عـن رأي المحدثين في الإعجـاز القرآنـي، بمـا أورده الشـيخ محمـد علـي الصابوني من وجوه للإعجاز، تتضمن مجمل الآراء التي قيلت عند القدماء والمحدثين:

أولاً : النظم البديع المختلف لكل نظم معهود في لسان العرب.

ثانيـاً : الأسلوب العجيب المخالف لجميع الأساليب العربية.

ثالثـاً : الجزالة التي لا يمكن لمخلوق أن يأتي بمثلها.

رابعاً : التشريع الدقيق الكامل، الذي يبرز كل تشريع وضعي.

خامساً : الإخبار عن المغيبات التي لا تعرف إلا بالوحي.

سادساً : عدم التعارض مع العلوم الكونية المقطوع بصحتها.

سابعـاً : الوفاء بكل ما أخبر عنه القرآن الكريم من وعد ووعيد.

ثامنـاً : العلوم والمعارف التي اشتمل عليها (العلوم الشرعية والكونية).

تاسعـاً : وفاؤه بحاجات البشر.

عاشراً : تأثيره في قلوب الأتباع والأعداء [1].

---

[1] الصابوني، التبيان في علوم القرآن، ١٠١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

القــرآن المكــي

. المطلب الأول : مدخل : سمات القرآن المكي

على الرغم من نزول القرآن الكريم منجماً في مدى ثلاثة وعشرين عاماً، إلا أنــه عجيـب في إحكام بنائه، وتناسب سوره وآيه، ذلك أنه كلما نزل نجم من القرآن الكريم، كان النبي صلـى الله عليه وسلم يأمر أصحابه أن يلحقوه بآية كذا من سورة كذا.

" وعدد سور القرآن الكريم أربع عشرة ومائة سورة بإجمـاع مـن يعتـد بـه، وقيـل ثـلاث عشرة ومائة، بجعل الأنفال وبراءة سورة واحدة، ويردّه تسمية النبي صلـى الله عليـه وسـلم كـلاً منهما"[1]. هذا وقد جرى العرف بين أهل القرآن على تسمية أقسام القرآن بأسمـاء معينـة للدلالـة عليها والتعريف بها." فتسمى السور السبع بعـد الفاتحـة السبع الطوال، وأولها البقـرة وآخرهـا التوبة، وتسمى السور التي تليها المئين، وهي التي تزيد على مائة أو تقاربهـا، وتسـمى السـور الـتي تليها المثاني، سميت بذلك لأنها ثنتها فهي لها ثوان والمئـون لهـا أوائـل، وتسـمى السـور الـتي تليهـا المفصل، وهي قصار السور، سميت بذلك لكثرة الفصول التي بين السور بالبسملة "[2].

ومع يقيننا بتماسك النظم القرآني أجمع، وتشابه أجزائه في السمات والخصـائص، إلا أننـا ولغايات الدراسة العلمية سنوجه عنايتنا للقرآن المكـي على وجـه الخصـوص، تسـهيلاً للدراسـة، ولبروز سمات أكثر تميزاً له من القرآن المدني.

"والآيات والسور المكية من حيث الكثرة والعدد أكثر منها فيما هو مدني وذلـك بـالنظر للفرق في المدة الزمنية لفترة النبوة، فهي في مكة أطول منها في المدينة، ذلك من جهـة، ومـن جهـة أخرى فإن الحاجـة كـانت تقتضـي مـن مقارعـة الشـرك، والتنديـد بالأوثـان، ومحاربـة الأعـراف والعادات المشينة الفاسدة ما هو كثير"[3].

أما الكيفية التي يمكن بها التمييز بين كل من المكي والمدني فإن للعلمـاء في ذلـك ثلاثـة اصطلاحات نبينها على الوجه التالي:

---

(1) عبد المتعال الصعيدي، النظم الفني في القرآن، ٨.

(2) المرجع السابق، ١٦.

(3) أمير عبد العزيز، دراسات في علوم القرآن، ٥٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاصطلاح الأول: وهو يعتمد على الناحية الزمنية، فالمكي: ما كان نزوله قبل الهجرة، والمدني ما كان نزوله بعد الهجرة، سواء كان النزول في مكة أو المدينة.

الاصطلاح الثاني: وهو يعتمد على الناحية المكانية، فالمكي ما كان نزوله بمكة ولو كان ذلك بعد الهجرة، أما المدني فهو ما نزل بالمدينة.

الاصطلاح الثالث: والمعتبر فيه المخاطبون، فما كان خطاباً لأهل مكة فهو مكي، وما كان خطاباً لأهل المدينة فهو مدني، وذلك بغض النظر عن الزمان أو المكان اللذين وقع فيهما النزول[1].

والذي سيعتمده الباحث هو التعريف الأول الذي يعتمد على الناحية الزمنية للأسباب التالية:

١- تمايز القرآن الذي نزل قبل الهجرة عن الذي نزل بعدها بخصائص بارزة من حيث طول الآيات، وإيقاعها، وأساليب العرض الواردة فيها.

٢- خلو القرآن الذي نزل قبل الهجرة من الأحكام الشرعية والتكاليف المختلفة أو ندرتها فيه، كالأمر بالقتال وإقامة الحدود وغير ذلك.

٣- لو كان الاعتماد على المكان في التسمية لاضطرنا هذا إلى تسمية أجزاء القرآن بأسماء الأمكنة التي نزل فيها مما يصعّب الأمر، بينما القسمة حسب التعريف الأول سهلة ميسورة.

ولا يقصد بوصف السورة بأنها مكية أو مدنية أنها بأجمعها كذلك، فقد يكون في المكية بعض آيات مدنية، وفي المدنية بعض آيات مكية، ولكنه وصف يعتد بالغالب من آيات السورة ومن أمثلة الآيات المكية في السور المدنية " سورة الأنفال " مدنية، واستثنى منها كثير من العلماء قوله تعالى ﴿ *وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك، ويمكرون ويمكر الله، والله خير الماكرين*﴾ الأنفال آية ٣٠.

ومن أمثلة الآيات المدنية في السور المكية: " سورة الأنعام" قال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت بمكة جملة واحدة. فهي مكية إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة: ﴿ *قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ...*﴾ إلى تمام الآيات الثلاث الأنعام، ١٥١-١٥٣، وسورة الحج مكية سوى أربع آيات نزلت بالمدينة ، من أول قوله تعالى :"﴿ *هذان خصمان اختصموا في ربهم ...*﴾ الحج ١٩-٢٢.[2]

---

(١) انظر أمير عبد العزيز، دراسات في علوم القرآن ، ٥٧ .
وكذلك السيوطي، الاتقان، ٩/١.

(٢) مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ٥٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن السمات العامة للسور المكية:

١- قصر الآيات والسور وإيجازها وحرارة تعبيرها وتجانسها الصوتي البارز الذي يظهر للسامع من الوهلة الأولى، قال تعالى ﴿ *يا أيها المدثر ۞ قم فانذر ۞ وربك فكبر ۞ وثيابك فطهر ۞ والرجز فاهجر ۞ ولا تمنن تستكثر ۞ ولربك فاصبر* ﴾ المدثر ١-٧.

٢- كثرة السجع والفواصل القرآنية، وكذلك قصر الآيات وتجددها بما يتناسب مع الصور والمواقف المعروضة في كل سور من السور قال تعالى: ﴿ *وجوه يومئذ ناعمة ۞ لسعيها راضية ۞ في جنة عالية ۞ لا تسمع فيها لاغية ۞ فيها عين جارية ۞ فيها سرر مرفوعة ۞ وأكواب موضوعة ۞ ونمارق مصفوفة ۞ وزرابي مبثوثة* ﴾ الغاشية ٨-١٦.

٣- كثرة القسم والتشبيه والأمثال، إذا ما قوربت بالآيات المدنية، وكذلك تكرار بعض الجمل، وأسلوب التأكيد بصفة عامة، قال تعالى: ﴿ *والليل إذا يغشى ۞ والنهار إذا تجلى ۞ وما خلق الذكر والأنثى ۞ إن سعيكم لشتى* ﴾ الليل ١-٤.

٤- الآيات المكية غنية بالتخييل الحسي والتجسيم، ، وخلع الحركة والحياة والحوار على الأشياء، ولا سيما حين تتحدث عن يوم القيامة وأحداثه وما يتبعه من حوار بين أصحاب الجنة وأصحاب السعير[1] قال تعالى: ﴿ *أذلك خير نزلاً أم شجرة الزقوم ۞ إنا جعلناها فتنة للظالمين ۞ إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم ۞ طلعها كأنه رؤوس الشياطين ۞ فإنهم لآكلون منها فمالئون منها البطون ۞ ثم إن لهم عليها لشوباً من حميم ۞ ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم* ﴾ الصافات ٦٢-٦٨.

٥- الدعوة إلى أصول الإيمان با لله واليوم الآخر، وتصوير الجنة والنار، كقوله تعالى: ﴿ *الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً ۞ قيماً لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً ۞ ماكثين فيه أبداً ۞ وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً* ﴾ الكهف ١-٤.

٦- الدعوة إلى التمسك بالأخلاق الكريمة والاستقامة على الخير، قال تعالى: ﴿ *قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً، ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصكم به لعلكم تعقلون ۞ ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ اشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط، لا نكلف نفساً إلا وسعها وإذا قلتم*

---

(١) عدنان زرزور، علوم القرآن، ١٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا، ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون ﴾

الأنعام ١٥١-١٥٢.

٧- مجادلة المشركين وتسفيه أحلامهم [١]، قال تعالى: ﴿ *أفنجعل المسلمين كالمجرمين ۞ ما لكم كيف تحكمون ۞ أم لكم كتاب فيه تدرسون ۞ إن لكم فيه لما تخيرون ۞ أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة إن لكم لما تحكمون* ﴾ القلم ٣٥-٣٩.

ولكن على الرغم من وجود السمات المذكورة آنفاً في القرآن المكي إلا أن التوازن الإيقاعي يمثل السمة الهامة له، "إذ تتمايز السور المدنية من السور المكية في هذه الناحية، فالتوازن الإيقاعي على هيئة حسن التقسيم يبرز في السور المكية، بوجه عام، ويزيد عنه في السور المدنية، وتسهم الفواصل القرآنية – كما سنرى – في ازدياد قوة هذا النمط من التوازن.

ويغلب القصر على الجملة في السّور المكية، بينما تميل الجملة في السور المدنية إلى الطول والتعقيد. ولذلك يسهل علينا ملاحظة هذا التوازن في السّور المكية، حيث تتواتر الفواصل على مسافات ضيقة، فيبرز الإيقاع، لأن هذا التواتر الضيق يعني اختزال المدى الزمني الذي تتردد فيه اصوات النهايات (الفواصل). ويقودنا الكلام السابق إلى ضرورة الإشارة إلى تميز السور المكية على وجه العموم بالإيقاع السّريع إذا قورن بالإيقاع في السور المدنية" [٢].

لقد أضحى واضحاً دور الإيقاع في تميز القرآن المكي من القرآن المدني، ويضاف إلى ذلك السمة الموسيقية للقرآن المكي، فتتميز السور المكية، بوجه عام، ببنائها على الفواصل القصيرة أو المتوسطة، لتتابعها وبروز موسيقاها. أما السور المدنية، فغالباً ما تطول فيها قرائن الفواصل طولاً ملحوظاً. وفي ذلك سر من أسرار الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، وهو مناسبة الخطاب اللغوي في السور المكية لطبيعة المكيين، فقد كانوا قوماً جبابرة تسود بينهم المنكرات والعادات السيئة والأخلاق الفاسدة، وذلك كله يقتضي خطابهم بلغة سريعة مؤثرة، غير مسترسلة، وقول حاد، حاسم، محذر، تقصر معه الجمل ويبرز التجانس الصوتي وتعلو الموسيقى. وترتبط هذه السمات الصوتية للخطاب المكي بحرارة التعبير على المستوى الأسلوبي، إذ يكثر في السور المكية أسلوب القسم، وأسلوب الاستفهام الانكاري والتحذير والوعيد وضرب الأمثال للإفهام. أما الخطاب اللغوي في السور المدنية، فقد كان مسترسلاً منساباً، ينزع إلى التفصيل والتوضيح. ويتناسب مع وضع التشريعات والتعاليم الدينية وشرح حدود العقيدة بعد أن توطدت

---

(١) د. صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ١٨٣.

(٢) محمد السيد سليمان، من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، ٨٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دعائم الدين الجديد. وكل ذلك يشهد على تلون الخطاب القرآني مع تغير الأحوال والمقتضيات وطبيعة المخطابين [1].

ويرى عبد الفتاح لاشين أن القرآن المكي كان يقصد إلى خطاب الوجدان أكثر من خطاب المنطق، لما كان عليه المشركون من جلافة في الطبع، وشدة في العداوة، وتعصب للعادات:

" والسور المكية نزلت في بدء الدعوة، ولما كان المشركون متعصبين لأديانهم وعاداتهم وتقاليدهم، وفي اخلاقهم جفوة، وفي ألسنتهم خصومة، اتجهت السور المكية في خطابهم إلى الوجدان والمشاعر، تقسو عليهم بالزجر والتسفيه، والوعيد والتهديد، والترغيب والترهيب، والتبشير والإنذار، في أسلوب شديد الأسر، حاد قوي، متتابع الفواصل الرنانة المدوية القصيرة"[2].

المطلب الثاني: أجواء العهد المكي

تميز العهد المكي بالصراع المرير بين العقيدة النازلة من السماء، وبين العقائد الشركية المستقرة في جزيرة العرب عموماً وفي مكة خاصة، واتخذ هذا الصراع أشكالاً وصوراً متعددة على مستوى الحرب النفسيّة والحرب المادية. " فلقد كانت قريش تتربص بالمؤمنين الدوائر، فإن كانوا ممن لهم في قومهم شرف ومنعة، تولوهم بالوعيد والتهديد، ويلقى أبو جهل المؤمن منهم فيقول له: " تركت دين آبائك وهم خير منك لنسفهن حلمك ولنضعن شرفك ولنكسدن تجارتك ولنهلكن مالك" ثم يشنون عليه حرب أعصاب حامية.

وإنْ كان المؤمنون من ضعفاء مكة وفقرائها، أو عبيدها، أصلتهم سعيراً" [3]. وصبت عليهم ألواناً من الإهانة والتعذيب الجسدي والنفسي، أدى في بعض الحالات إلى قتل المؤمنين المعذبين، أو إصابتهم بالعمى والضرر الشديد.

لقد ظهر في القرآن المكّي تمثيل عجيب لحالة الصراع والمدافعة، فالزجر والتهديد والحجاج والرد والتسفيه وتكرار المبادىء الأساسية خصائص واضحة في القرآن المكّي، وقد قادت قريش المعركة ضد الدين الجديد، " وهم أعداءٌ في الخصومة، أهلُ مماراة ولجاجة في القول عن فصاحة وبيان. حيث كان القوم كذلك – نزل الوحي المكي قوارع زاجرة، وشهباً منذرة، وحججاً قاطعة، يحطم وثنيتهم، ويدعوهم إلى توحيد الألوهية والربوبية، ويهتك أستار فسادهم،

---

(1) انظر محمد السيد سليمان، من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، ٨٧.

(2) عبد الفتاح لاشين، البديع في ضوء أساليب القرآن، ١٢٤.

(3) خالد محمد خالد، رجال حول الرسول، ٢٠٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويسفه أحلامهم فتجد القرآن المكي ألفاظاً شديدة القرع على المسامع، تقذف حروفها شرر الوعيد وألسنة العذاب، فكلا الرادعة الزاجرة، والصاخة والقارعة، والغاشية والواقعة، وألفاظ الهجاء في فواتح السور، وآيات التحدي في ثناياها، ومصير الأمم السابقة، وإقامة الأدلة الكونية، والبراهين العقلية، كل هذا نجده من خصائص القرآن المكي" [1].

وبالمقابل كانت الفئة المؤمنة الثابتة على دينها بحاجة إلى زاد روحي عميق، ليعينها على تحمل تبعات هذه التكاليف الثقال، " لذا كان قيام الليل فريضة على الجيل الأول في العهد المكي، ومضى هذا الأمر اثني عشر شهراً، حتى نزل التخفيف وصار القيام نافلة بحق الصحابة الكرام كما نزل في سورة المزمل" [2].

لقد كان تلقّي القرآن يتم في دار الأرقم، وحين ينصرف المسلم يزاد حصيلته بضع آيات من القرآن نزل بها روح القدس على قلب -محمد صلى الله عليه وسلم- كانت هذه الآيات كفيلة أن تنشيء هذا الجيل القرآني الفريد، ولم يكن هذا الجيل يتلقى إلا هذا الوحي من القرآن. أو من حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فينزع به كل أوضار الجاهلية وعقائدها وقيمها، وتنسكب في قلبه المعاني الجديدة الآتية إليه من الله رب العالمين.

كان هذا اللقاء اليومي الدائم (في دار الأرقم) هو الذي يغير هذا الواقع البشري. وتتفاعل به النفوس بهذا الوحي المنزل، فيجد المسلم نفسه إنساناً جديداً غير ذي قبل، إنساناً جديداً بقيمة، بمشاعره، بأفراحه، وأتراحه، بغضبه ورضاه، بحبه وبغضه، بأمله وألمه، باهتماماته وشواغله.

ولقد حرص القائد المربي -عليه الصلاة والسلام- في هذه المرحلة على بيان أهمية مصدر التلقي وتفرده، ألا وهو القرآن.[3] فإذا نظرنا إلى سورة المزمل، وهي من بواكير ما نزل من القرآن الكريم، نجدها تركز كثيراً على قيام الليل، والذكر والتبتيل، وتشير بقوة إلى هذا التكليف الثقيل، الذي يحتاج إلى الإمداد من رب العالمين.

فتقول الآية من آيات سورة المزمل: ﴿*إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً*﴾ المزمل ٥، " هو هذا القرآن وما وراءه من التكليف ... والقرآن في معناه ليس ثقيلاً، فهو ميسر للذكر. ولكنه ثقيل في

---

[1] مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ٥٢.

[2] سيد قطب، في ظلال القرآن، ٣٧٤١.

[3] منير الغضبان، المنهج الحركي للسيرة النبوية، ٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ميزان الحق، ثقيل في أثره في القلب: ﴿*لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعاً متصدعاً من خشية الله*﴾ الحشر ٢١.

إن الاستقامة على هذا الأمر بلا تردد ولا ارتياب، ولا تلفت هنا أو هناك وراء الهواتف والجواذب والمعوقات لثقيل يحتاج إلى استعداد طويل. وإن قيام الليل والناس نيام، والانقطاع عن غبش الحياة اليومية وسفسافها، والاتصال بالله، وتلقي فيضه ونوره، والأنس بالوحدة معه، والخلوة إليه، وترتيل القرآن والكون ساكن، وكأنما هو ينزل من الملأ الأعلى وتتجاوب به أرجاء الوجود في لحظة الترتيل بلا لفظ بشري ولا عبارة، واستقبال إيحاءاته وإيقاعاته في الليل الساجي ... إن هذا كله هو الزاد لاحتمال القول الثقيل والعبء الباهظ والجهد المرير الذي ينتظر الرسول وينتظر من يدعو بهذه الدعوة في كل جيل ..."[1].

لقد أظهرت السور المكية بجلاء ووضوح حالة الصراع والمدافعة وشدة التحدي والخصومة التي كانت من أظهر سمات العهد المكي، فكان هذا التنزيل الكريم وقوداً للفئة المؤمنة، وبرداً وسلاماً ينزل على قلوبها لتصبر وتصابر وتتحمل تبعات هذا الطريق الشاق، وكان هذا التنزيل حرباً على الفئة الكافرة، مناجزاً لهم، كاشفاً سوءات دينهم وخلل عقيدتهم متحدياً لهم أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.

المطلب الثالث: بيانات عن القرآن المكي

يشغل القرآن المكي ما نسبته ٦١٪ من مساحة القرآن الكريم، وأما نسبة سوره إلى سور القرآن الكريم من حيث العدد فهي ٥ر٧٥٪، ونسبة عدد آياته إلى عدد آيات القرآن الكريم ٧٤٪، علما أن عدد السور المكية ٨٦ سورة، وعدد آياتها ٤٦١٣ آية وامتد نزولها من بدء الرسالة حتى الهجرة النبوية الشريفة أي ثلاث عشرة سنة.

ويلخص الجدول التالي معلومات عن السور المكية، حيث تم ترتيبها حسب النزول، مع توضيح الآيات المدنية إن وجدت فيها [2].

---

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن، ٣٧٤٥.

(2) انظر إبراهيم علي عمر، القرآن الكريم: تاريخه وآدابه، ١٠١-١٠٤.
ومحمد السيد سليمان، من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، ٩٨-١٠١ ✓
وعبد المتعال الصعيدي، النظم الفني في القرآن، ٩-١٥، ٢٥-٢٧. ✓

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جدول بالسور المكية مرتبة وَفق نزولها

التسلسل	اسم السورة	ترتيبها في المصحف	عدد آياتها	الآيات المدنية فيها
١.	العلـــق	٩٦	١٩	–
٢.	ن	٦٨	٥٢	١٧-٣٣،٤٨-٥٠
٣.	المزمـــل	٧٣	٢٠	١٠-١١، ٢٠
٤.	المدثـــر	٧٤	٥٦	–
٥.	الفاتحـــة	١	٧	–
٦.	المســـد	١١١	٥	–
٧.	التكويـــر	٨١	٢٩	–
٨.	الأعلـــى	٨٧	١٩	–
٩.	الليـــل	٩٢	٢١	–
١٠.	الفجـــر	٨٩	٣٠	–
١١.	الضحـــى	٩٣	١١	–
١٢.	الشـــرح	٩٤	٨	–
١٣.	العصـــر	١٠٣	٣	–
١٤.	العاديـــات	١٠٠	١١	–
١٥.	الكوثـــر	١٠٨	٣	–
١٦.	التكاثـــر	١٠٢	٨	–
١٧.	الماعـــون	١٠٧	٧	١-٣
١٨.	الكافـــرون	١٠٩	٦	–
١٩.	الفيـــل	١٠٥	٥	–
٢٠.	الفلـــق	١١٣	٥	–
٢١.	النـــاس	١١٤	٦	–
٢٢.	الإخـــلاص	١١٢	٤	–
٢٣.	النجـــم	٥٣	٦٢	٣٢
٢٤.	عبـــس	٨٠	٤٢	–
٢٥.	القـــدر	٩٧	٥	–

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(تابع) جدول بالسور المكية مرتبة وَفق نزولها

التسلسل	اسم السورة	ترتيبها في المصحف	عدد آياتها	الآيات المدنية فيها
٢٦.	الشمس	٩١	١٥	–
٢٧.	البروج	٨٥	٢٢	–
٢٨.	التين	٩٥	٨	–
٢٩.	قريش	١٠٦	٤	–
٣٠.	القارعة	١٠١	١١	–
٣١.	القيامة	٧٥	٤٠	–
٣٢.	الهمزة	١٠٤	٩	–
٣٣.	المرسلات	٧٧	٥٠	٤٨
٣٤.	ق	٥٠	٤٥	٣٨
٣٥.	البلد	٩٠	٢٠	–
٣٦.	الطارق	٨٦	١٧	–
٣٧.	القمر	٥٤	٥٥	٤٤-٤٦
٣٨.	ص	٣٨	٨٨	–
٣٩.	الأعراف	٧	٢٠٦	١٦٣-١٧٠
٤٠.	الجن	٧٢	٢٨	–
٤١.	يس	٣٦	٨٣	٤٥
٤٢.	الفرقان	٢٥	٧٧	٦٨-٧٠
٤٣.	فاطر	٣٥	٤٥	–
٤٤.	مريم	١٩	٩٨	٥٨، ٧١
٤٥.	طه	٢٠	١٣٥	١٣٠-١٣١
٤٦.	الواقعة	٥٦	٩٦	٨١-٨٢
٤٧.	الشعراء	٢٦	٢٢٧	١٩٧، ٢٢٤-٢٢٧
٤٨.	النمل	٢٧	٩٣	–
٤٩.	القصص	٢٨	٨٨	٥٢-٨٥، ٥٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(تابع) جدول بالسور المكية مرتبة وَفق نزولها

التسلسل	اسم السورة	ترتيبها في المصحف	عدد آياتها	الآيات المدنية فيها
.٥٠	الإســـراء	١٧	١١١	٨٠-٧٣،٥٧،٣٣-٣٢،٢٦
.٥١	يونـــس	١٠	١٠٩	٩٦-٩٤،٤٠
.٥٢	هـــود	١١	١٢٣	١١٤،١٧،١٢
.٥٣	يوســف	١٢	١١١	٧،٣-١
.٥٤	الحجـــر	١٥	٩٩	٨٧
.٥٥	الأنعـــام	٦	١٦٥	١٥٣-١٥١،١٤١،١١٤،٩٣،٩١،٢٣،٢٠
.٥٦	الصافـات	٣٧	١٨٢	-
.٥٧	لقمـــان	٣١	٣٤	٢٩-٢٧
.٥٨	ســـبـأ	٣٤	٥٤	٦
.٥٩	الزمـــر	٣٩	٧٥	٥٤-٥٢
.٦٠	غافـــر	٤٠	٨٥	٥٧-٥٦
.٦١	فصلـــت	٤١	٥٤	-
.٦٢	الشـورى	٤٢	٥٣	٢٧،٢٥-٢٣
.٦٣	الزخـرف	٤٣	٨٩	٥٤
.٦٤	الدخـــان	٤٤	٥٩	-
.٦٥	الجاثيـــة	٤٥	٣٧	١٤
.٦٦	الأحقـاف	٤٦	٣٥	٣٥،١٥،١٠
.٦٧	الذاريـات	٥١	٦٠	-
.٦٨	الغاشيـــة	٨٨	٢٦	-
.٦٩	الكهـــف	١٨	١١٠	١٠١-٨٣،٢٨
.٧٠	النحـــل	١٦	١٢٨	١٢٨-١٢٦
.٧١	نـــوح	٧١	٢٨	-
.٧٢	إبراهيـــم	١٤	٥٢	٢٩-٢٨
.٧٣	الأنبيـــاء	٢١	١١٢	-

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(تابع) جدول بالسور المكية مرتبة وَفق نزولها

التسلسل	اسم السورة	ترتيبها في المصحف	عدد آياتها	الآيات المدنية فيها
٧٤.	المؤمنـــون	٢٣	١١٨	–
٧٥.	السجـــدة	٣٢	٣٠	١٦–٢٠
٧٦.	الطـــــور	٥٢	٤٩	–
٧٧.	الملـــــك	٦٧	٣٠	–
٧٨.	الحاقـــــة	٦٩	٥٢	–
٧٩.	المعـــارج	٧٠	٤٤	–
٨٠.	النبـــــأ	٧٨	٤٠	–
٨١.	النازعـــات	٧٩	٤٦	–
٨٢.	الانفطـار	٨٢	١٩	–
٨٣.	الانشقاق	٨٤	٢٥	–
٨٤.	الـــــروم	٣٠	٦٠	١٧
٨٥.	العنكبوت	٢٩	٦٩	١–١١
٨٦.	المطففيـــن	٨٣	٣٦	–

وسيدرس الباحث الإيقاع في السور المكية، علماً أن هذه السور تنطوي على آيات مدنية تتسق معها في نظام خاص يمنحها السمة ذاتها، فلكل سورة شخصيتها التي تتميز بها، ولا يلحظ القارىء نشوزاً في الآيات المدنية في ثنايا سياق السور المكية. كما أن الباحث لن يعرض لدارسة الآيات المكية الموجودة في بعض السور المدنية للسبب ذاته.

وهناك مجموعة من سور القرآن الكريم قيل عنها: إنها مدنيّة، وقيل عنها: إنها مكية، ولكن طبيعة تلك السور، وأسلوبها وإيقاعها يتسق والسور المكية، وهذه السور هي: الرعد، قسم من الحج، الرحمن، الإنسان، البينة، الزلزلة.[1] ولم ندخل هذه السور في دراستنا إلا من طرف محدود جداً، مع أن الباحث مع الرأي القائل بمكيّة سور الرعد والرحمن والإنسان والزلزلة، لشدة وضوح سمات القرآن المكّي فيها .

(١) أنظر سيد قطب، في ظلال القرآن، ٢٠٣٩، ٢٤٠٥، ٣٤٤٥، ٣٧٧٧، ٣٩٤٧، ٣٩٥٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد جاء هذا الجدول لبيان تفصيلات المدونة موضع الدراسة، فهو يعيننا على متابعة نزول السور المكية حسب الترتيب الزماني، إذ سيعرض الباحث في صفحات لاحقة إلى تقسيم السور المكية إلى فئات ثلاث حسب نزولها الزمني. كما يعين الجدول الناظر فيه على معرفة ترتيب كل سورة مكية في القرآن الكريم، وعدد آياتها، وما انطوت عليه بعض السور المكية من آيات مدنية.

المطلب الرابع: مراحل العهد المكي

عند النظر في الفترة الزمنية التي نزل فيها القرآن الكريم مكيه ومدنيه نجدها مدة متطاولة، امتدت ثلاثة وعشرين عاماً، احتلت الفترة المكية منها ثلاث عشرة سنة، أسمينا كل ما نزل خلالها بالقرآن المكي، رغم تطور الأحداث واختلاف الصراع خلالها على نحو واضح، فمن سرية الدعوة إلى جهريتها، ومن البقاء في مكة إلى الهجرة إلى الحبشة، ومن دعوة الأقربين إلى زيارة الطائف ولقاءالوفود، ومن مبدأ الوحي إلى الإسراء والمعراج، ومن قلة الأتباع إلى زيادة عددهم حتى أذن الله تعالى بالهجرة. وإن تطاول الأحداث السابقة وتغيراتها أدى إلى التفكير بتقسيم الفترة المكية إلى مراحل، ومثلها الفترة المدنية كما سيشير الباحث لاحقاً، وإن كان تقسيم المرحلة المكية لم يرد عند القدماء إلا على سبيل الإشارة السريعة، لكنه أصبح حقيقة معلومة في دارسات المستشرقين[1] ومن ارتضى تقسيمهم من العلماء.

ونذكر هنا إشارة ذكرها أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري[2] ونصّها أن: "من أشرف علوم القرآن علم نزوله وجهاته، وترتيب ما نزل بمكة ابتداءً ووسطاً وانتهاءً، وترتيب مانزل بالمدينة كذلك، ثم ما نزل بمكة وحكمه مدني، وما نزل بالمدينة وحكمه مكي" [3].

ولو أخذنا برأي أبي القاسم النيسابوري الذي التزم المنهج التاريخي الزمني في ترتيب المكي والمدني لكان علينا – تطبيقاً له وتأثراً به – أن نقسم كلاً من السور المكية والسور المدنية، منها ثلاث مراحل مكية: ابتدائية، ومتوسطة، وختامية [4].

---

(1) انظر مثلاً ريجيس بلاشير، تاريخ الأدب العربي، ٢١٩-٢٣٢، ووافقه على هذا التقسيم نولدكه وشفالي وبل ورودويل.

(2) أبو القاسم الحسن بن محمد (٠٠٠ -٤٠٦ هـ) أديب واعظ مفسر، له " عقلاء المجانين". (معجم الأعلام: ٢٠٣)

(3) السيوطي، الإتقان، ١٩٢/١.

(4) المرجع السابق، ١٧٠، ولكن العهد المدني قسم في الحقيقة إلى أربع مراحل لا ثلاث.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١ – المرحلة الابتدائية: من ابتداء الوحي إلى الهجرة إلى الحبشة، وكانت الهجرة إلى الحبشة في نحو السنة السابعة من البعثة، وقد نزل فيما بين ذلك ما يأتي من السور:

العلق، القلم، المزمّل، المدثر، الفاتحة، المسد، التكوير، الأعلى، الليل، الفجر، الضحى، الشرح، العصر، العاديات، الكوثر، التكاثر، الماعون، الكافرون، الفيل، الفلق، الناس، الإخلاص.

والأولى من هذه السور في إعلان الدعوة، والثانية في تثبيت النبي صلى الله عليه وسلم، والثالثة في تهيئته للدعوة، والرابعة في استنهاضه لها، والخامسة في حمد الله على الدعوة، وطلب إعانته وهدايته فيها، والسادسة والسابعة في إنذار الكفار بالهلاك بعد رفضهم لها، والثامنة في إثبات حسابهم على أعمالهم، وما يتبع هذا من ثواب وعقاب وترغيب وترهيب. وبهذا يبتديء الدخول في صميم الدعوة. ويتوالى ما بعد هذه السور، مراعياً زمن ابتداء الدعوة، وحال من وجهت إليهم من مشركي مكة، وحال من آمن بها من أهلها، ولهذا جاءت كلها من قصار المفصل، فناسب في قصرها وأغراضها ما اقترن بها في هذا الزمن. ومما تجب مراعاته فيه أن المشركين اكتفوا بالطعن في الدعوة وصاحبها، ولم يطالبوه بآية عليها، لأنهم كانوا يستهينون بها في أول أمرها.[1]

ويتحدث صبحي الصالح عن سور هذه الفترة المكية الأولى فيقول: " لو عدنا إلى هاتيك السور نفسها فقرأناها واحدة واحدة، ندرك أن آياتها جميعاً قصار، وأنها شديدة الإيجاز، وأن القسم فيها بمشاهد الكون كثير، وأن صيغ الإنشاء فيها من أمر ونهي واستفهام وتمن ورجاء تتخلل مقاطعها وتزيدها حرارة، وأن ألفاظها رشيقة منتقاة يسري التنغيم في أحرفها المهموسة تارة المجهورة تارة أخرى، وأن فواصلها الموزونة المقفاة – بإيقاعها العجيب – تنساب أحياناً وتتموج، وتلهث أحياناً وتتهدج، وتقصف أحياناً وتدمر، وتصرخ أحياناً وتزمجر، وأن تجسيم المعنويات، وتشخيص الجوامد، وخلع الحركة والحياة والحوار على الأشياء الصامتة، قد أحالت مشاهدها لوحات فنية غنية بالأصباغ الحية" [2]

٢ – المرحلة المتوسطة: من الهجرة إلى الحبشة إلى الإسراء، وكان الإسراء قبل الهجرة إلى المدينة بسنة، وقد نزل فيما بين ذلك ما يأتي من السور: النجم، عبس، القدر، الشمس، البروج، التين، قريش، القارعة، القيامة، الهمزة، المرسلات، ق، البلد، الطارق، القمر، ص، الأعراف، الجن، يس، الفرقان، فاطر، مريم، طه، الواقعة، الشعراء، النمل، القصص.

وقد جمعت هذه السور بين قصار المفصل وبعض ما يليه في الطول، فتدرجت في هذه الناحية من القصر إلى الطول بعض التدرج، وقد جاء فيها مع هذا سورة واحدة من السور

---

(1) عبد المتعال الصعيدي، النظم الفني في القرآن، ٣٢.

(2) صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ١٩٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الطوال، وهي سورة الأعراف، وأما أغراضها فجاءت مناسبة أيضاً لحال الزمان والمكان الذي نزلت فيه، من شرح للعقائد إلى ترغيب وترهيب، إلى دفع شبه للمشركين، إلى غير هذا مما يناسب ذلك التاريخ الذي نزلت فيه تلك السور، ولكن المشركين انتقلوا فيه من الطعن في الدعوة إلى التعنت بطلب الآيات عليها، فلم يجابوا إلى ما طلبوه من ذلك [1].

"أما أسلوب هذه المرحلة فربما كان في جل المواطن امتداداً لأسلوب المرحلة المكية الأولى في الإيجاز، وحرارة التعبير، وتجانس المقاطع والفواصل، ووفرة التجسيم والتشخيص والتخييل، وكثرة الأصباغ والألوان واللوحات، إلا أن بعض السور بدأت تجنح إلى الطول، وبعض الآيات بدأت هي الأخرى تطول، وتعددت في السورة الواحدة الأنغام، وبرزت أحياناً بين مقاطعها لوازم الإيقاع، وذيلت بعض الفواصل باسم أو اسمين متتاليين من أسماء الله الحسنى، وظلت الألفاظ تنتخب انتخاباً، رشيقة تارة عنيفة تارة أخرى، وهي في كلتا الحالين تهز المشاعر الراقدة بالبيان الرفيع، والسحر الخلاب" [2].

٣- المرحلة الختامية: من الإسراء إلى الهجرة إلى المدينة، وقد نزل فيما بين ذلك ما يأتي من السور : الإسراء، يونس، هود، يوسف، الحجر، الأنعام، الصافات، لقمان، سبأ، الزمر، غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف، الذاريات، الغاشية، الكهف، النحل، نوح، إبراهيم، الأنبياء، المؤمنون، السجدة، الطور، الملك، الحاقة، المعارج، النبأ، النازعات، الانفطار، الانشقاق، الروم، العنكبوت، المطففين.

وهذه السور أكثرها من المثاني والمئين، وليس بينها إلا قليل من قصار المفصل، وسورة واحدة من الطوال، وهي سورة الأنعام، وقد تدرجت في هذه الناحية من القصر إلى الطول أكثر مما تدرجت السور السابقة، وأما أغراضها فجاءت أيضاً مناسبة لحال الزمان والمكان الذي نزلت فيه، وكان الإسراء مبعث تفاؤل لهذه الدعوة، ورمزاً للهجرة إلى المدينة، فكان له أثره فيما أنذر المشركون به في هذه السور من عذاب قريب يحل بهم، وفيما فيها من قرب إنجاز الوعد بالنصر عليهم، وفي الانتقال من الاكتفاء بدفع شبههم إلى تحديهم بمعجزة القرآن، وقد مضى المشركون في تفننهم بطلب الآيات، فتحدوا بالمعجزة التي نزلت مناسبة لهم في تفاخرهم بالفصاحة والبلاغة، لتكون معجزة باقية مناسبة لدعوتها الباقية، فيختم بها عهد المعجزات، كما ختم بدعوتها عهد الدعوات [3].

---

(١) عبد المتعال الصعيدي، النظم الفني في القرآن، ٣٣.

(٢) صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ٢٠٩.

(٣) عبد المتعال الصعيدي، النظم الفني في القرآن، ٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما امتازت سور المرحلة المكية الختامية بطولها وطول آياتها، وافتتاح طائفة منها ببعض الحروف المقطعة، وتوجيه الخطاب فيها إلى الناس جميعاً لا إلى أهل مكة وحدهم، والتذكير بطاعة الله ورسوله تمهيداً لما سيفصّل في المدينة من الفرائض والواجبات.. "[1]

وتتميماً لما قيل في مجال تقسيم المكي إلى ثلاث مراحل، فقد قسمت الفترة المدنية إلى أربع مراحل، نذكرها بإيجاز:

١- الطور الأول: من الهجرة إلى المدنية إلى غزوة بدر، وكانت غزوة بدر في السنة الثانية من الهجرة، وقد نزلت فيما بين ذلك سورة البقرة.

٢- الطور الثاني: من غزوة بدر إلى صلح الحديبية، وكان صلح الحديبية في السنة السادسة من الهجرة، وقد نزل فيما بين ذلك ما يأتي من السور: " الأنفال، آل عمران، الأحزاب".

٣- الطور الثالث: من صلح الحديبية إلى غزوة تبوك، وكانت غزوة تبوك في السنة التاسعة من الهجرة، وقد نزل فيما بين ذلك ما يأتي من السور." الممتحنة، النساء، الزلزلة، الحديد، محمد، الرعد، الرحمن، الإنسان، الطلاق، البينة، الحشر، النور، الحج، المنافقون، المجادلة، الحجرات، التحريم، التغابن، الصف، الجمعة، الفتح، المائدة".

٤- الطور الرابع: من غزوة تبوك إلى موت النبي صلى الله عليه وسلم، وكان موته في السنة العاشرة من الهجرة، وقد نزل فيما بين ذلك ما يأتي من السور: " التوبة، النصر"[2].

---

(١) انظر صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ٢٣٠.

(٢) عبد المتعال الصعيدي، النظم الفني في القرآن، ٣٤-٣٥ بتصرف.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصـل الثالـث

الإيقـاع عند القدمـاء

استخدم القدماء كلمة الإيقاع بالمعنى اللغوي المعجمي، كما ورد استخدامهم لمصطلح الإيقاع في مجال الموسيقى والغناء، ثم تطور مدلول الإيقاع فبدأوا يستخدمونه في مجال الشعر، أما في مجال النثر فلم يستخدم مصطلح الإيقاع مباشرة، وإنما عرضوا لبعض مظاهره مثل السجع والانسجام والتلاؤم، ولم يتحدثوا عن الإيقاع في القرآن الكريم وهو (نثر خاص) ذلك أن مصطلح الإيقاع لم يكن قد ظهر مفهومه عندهم وتطور كما حدث في دراسات المحدثين ونظراتهم الأسلوبية والبلاغية.

وسيعرض الباحث لمناحي تناول الإيقاع عند القدماء.

١- المنحى الأول: الإيقاع في اللغة

أول استخدام لكلمة الإيقاع كان مرتبطاً بالأحداث المادية المحيطة بالإنسان، ومنه تطورت دلالات الإيقاع فيما بعد .

وقع: وقع على الشيء ومنه يقع وقعاً ووقوعاً: سقط [١].

أوقع إيقاعاً: جعله يقع.

أوقع بالعدو: بالغ في قتاله.

الوقع: (مصدر)، الواحدة " وقعة".

تقول :" سمعت وقع حافر الدابة ووقع المطر". أي الصوت المتتابع الناشيء عن ذلك.

والإيقاع لغة : مصدر أوقع، متعدي وقع، من وقع الكلام أي تأثيره في النفس [٢].

ومواقع الغيث : مساطقه [٣].

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة وقع.

(٢) المطبعة الكاثوليكية، المنجد في اللغة والأعلام، مادة وقع.

(٣) الرازي، مختار الصحاح، مادة وقع.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- المنحى الثاني: إيقاع الموسيقى والغناء

لعل هذا المنحى في استخدام مصطلح الإيقاع هو الأقدم عند علمائنا السابقين، ويعود ذلك إلى الخليل بن أحمد في القرن الثاني الهجري، وسيركز الباحث أولاً على الإيقاع الموسيقي ثم الإيقاع الغنائي عند القدماء.

"وموقف الدرس العربي القديم يكاد لا يخرج عن المفهوم الذي يجعل الإيقاع مطابقاً للوزن، فعلماؤنا القدماء تناولوه من خلال المادة التي تجسد الحركة الإيقاعية، فكان المصطلح عندهم ألصق بمفهوم الإيقاع الموسيقي، لأن التوالي الزمني هو جوهر الموسيقى، ومن هنا ركزت أغلب الدراسات على ارتباطه بالزمن، وأهملت الحركة، ولم يلحظه الدارسون إلا من خلال الموسيقى والوزن الشعري، مع أنه كان من أوضح مظاهر فني العمارة والزخرفة الإسلامية، كما كان له دور في قيام علوم البلاغة والفن اللغوي" [١].

وظل مصطلح الإيقاع عند العرب مرتبطاً بالموسيقى، فلم يرد ذكره في أثناء حديثهم عن الشعر إلا نادراً. [٢]

" والإيقاع عند الكندي [٣] هو النسب الزمانية.

وعند الفارابي [٤] هو عبارة عن سلسلة أزمنة يوضحها النقر على آلة مجوفة كالطبل والمزهر.

أما عند ابن سينا [٥] فالإيقاع: هو تقدير لزمان النقرات، أي البحث عن مقادير الأزمنة المتخللة بين النغمات.

ويبين الحسن الكاتب [٦] بأن الإيقاع هو: قسمة زمان اللحن بنقرات، وهو النقلة على أصوات مترادفة في أزمنة تتوالى متساوية، وكل واحد منها يسمى دوراً، فالإيقاعات هي أوزان أزمنة النغم" [٧].

---

(١) ابتسام أحمد حمدان، الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي، ١٩.

(٢) المرجع السابق، ٢٠.

(٣) أبو يوسف يعقوب بن إسحق (٠٠٠-نحو ٢٦٠هـ) فيلسوف العرب والإسلام في عصره (معجم الأعلام: ٩٥٤).

(٤) أبو نصر محمد بن محمد ويعرف بالمعلم الثاني (٢٦٠-٣٣٩ هـ) أكبر فلاسفة المسلمين. (معجم الأعلام: ٧٧٦).

(٥) أبو علي الحسين بن عبد الله (٣٧٠-٤٢٨ هـ)الفيلسوف الرئيس، صاحب التصانيف في الطب والمنطق والطبيعيات والإلهيات. (معجم الأعلام: ٢١٢) ورأيه المذكور ورد في الشفاء، ص٨١ .

(٦) الحسن بن أحمد (٠٠٠-٦٢٥ هـ) موسيقي عراقي. (معجم الأعلام: ١٩٣).

(٧) عمر عبد الرحمن الحمصي، أصول الإيقاعات الشرقية، ١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الأرموي البغدادي [1] وهو من أهل القرن السابع فيعرف الإيقاع بأنه: جماعة نقرات بينها أزمنة محدودة المقادير، لها أدوار متساويات الكمية، على أوضاع مخصوصة، ويدرك تساوي الأزمنة والأدوار بميزان الطبع السليم [2].

وبهامش كتاب الأرموي تعريف مفصل للإيقاع، فهو: نظم النقلة على النغم في أزمنة محدودة ذات أجناس من التأليف محدودة، وهيئة الإيقاعات اللحنية من حيث السرعة والإبطاء ثلاثة أصناف، فإما أنها إيقاعات محثوثة، أو ثقيلة أو خفيفة متوسطة بين الحثيث والثقيل منها [3].

وقد احتفى بعض القدماء بالإيقاع الموسيقي، وأخذ يبين فلسفة وجوده، وثمرة أدائه، من أهل الفلسفة والتصوف، عدا عن أهل الموسيقى أنفسهم. فمن ذلك ما يقوله إخوان الصفا لبيان التناغم بين النفس البشرية والحان الموسيقى، وتعليل سبب المتعة واللذة عند سماع الحان الموسيقي.:"فجوهر النفس لما كان مجانساً ومشاكلاً للأعداد التاليفية، وكانت نغمات الحان الموسيقى موزونة، وأزمان نقراتها وسكونات ما بينها متناسبة، استلذت بها الطباع، وفرحت بها الأرواح، وسرت بها النفوس، لما بينها من المشاكلة والتناسب والمجانسة ..." [4].

" وكان الأقدمون توجد في جوقاتهم الدينية (أي الفرق) بضع نقرزانات [5] ودفوف، وهكذا كانوا يطربون باتفاق الإيقاع على النقرزانات والدفوف أكثر مما يطربون لأنغام الموشحات تقريباً.

ومن أسباب الخروج على الإيقاع: ثلاثة أسباب:

أولاً: الضعف في الحس الإيقاعي، وهو أشدها وأردؤها.

ثانياً: الاجتهاد والسرعة، أو المهل والفتور، وشغل القلب عن حفظ أزمنة الإيقاع.

ثالثاً: الإعجاب وقلة الاحتفال وفساد الحس وقبح التصور والقياس والغناء" [6].

وأما إيقاع الغناء فيقول صاحب اللسان [7]: " والإيقاع: من إيقاع اللحن والغناء، وهو أن يوقع الألحان ويبينها، وسمى الخليل [8] – رحمه الله – كتاباً من كتبه في ذلك المعنى كتاب

---

(1) صفي الدين عبد المؤمن بن يوسف (٦١٣-٦٩٣هـ). (معجم الأعلام: ٤٧٠).

(2) الأرموي البغدادي، كتاب الأدوار في الموسيقى، تحقيق غطاس عن الملك خشبة، ٢٧٩.

(3) المرجع السابق، ٢٧٩.

(4) رسائل إخوان الصفا تحقيق خير الدين الزركلي، ٢٣٧.

(5) أدوات للطرق تشبه الدفوف.

(6) عمر عبد الرحمن الحمصي، أصول الإيقاعات الشرقية، ٢٠.

(7) هو أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور (٦٣٠-٧١١هـ) لغوي حجة. (معجم الأعلام: ٧٩٩).

(8) أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠-١٧٠هـ) من أئمة اللغة والأدب، (معجم الأعلام: ٢٤٥).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإيقاع" [1] .هناك تعريف آخر قريب يذكره صاحب المنجد نقلاً عن القدماء: الإيقاع: (مصدر) اتفاق الأصوات وتوقيعها في الغناء [2] " قال بعض القدماء: الإيقاع: إظهار مناسبات أجزاء الزمان من القوة إلى الفعل وبحسب اختيار الفاعل. وقال بعضهم: الإيقاع هو النقلة على النغم في أزمنة محدودة المقادير والنِّسَب" [3] .

وعرفه ميخائيل ا لله وردي فقال: هو صياغة اللحن حسب أجزاء متناسبة من المفاصل الزمنية محدودة في كل ميزان [4] .

ويقول ابن سريج[5] : المصيب المحسن هو الذي يشبع الألحان، ويملأ الأنفاس، ويعدل الأوزان، ويضخم الألفاظ، ويعرف الصواب، ويقيم الإعراب، ويستوفي النغم الطوال، ويحس مقاطع النغم القصار، ويصيب أجناس الإيقاع، ويختلس مواقع النبرات، ويستوفي ما يشاركها في الضرب من النقرات [6] . ونلاحظ في تعريف ابن سريج وهو من أهل القرن الثامن، أنه جعل العلاقة وثيقة بين أداء المغني وبين أداء العازف.

إذن كان مصطلح الإيقاع منصباً أساساً على الموسيقى والغناء، ولم يخرج إلى الإيقاع الشعري والنثري، إلا نادراً، وإن كانوا عالجوا مظاهر الجمال في الشعر والنثر تحت عنوانات أخرى.

ولكن بقي أن نقول: إن بعض القدماء بينوا الفرق بين النغم والإيقاع، فهذا فتح ا لله الشرواني [7] من أهل القرن التاسع يقول: النغمة صوت موزون، والموسيقار هو الآلة والمغنى، ومنها موضوعة، وهو على ما عرف من تعريفة شيئآن: أحدهما النغم من حيث يتفق ويتنافر وهو موضوع التأليف، والثاني الأزمنة المتخللة بينها من حيث كونها موزونة وغير موزونة وهو موضوع الإيقاع [8] .

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة وقع .

(2) المنجد في اللغة والأعلام، مادة وقع.

(3) محمد بن عبد الحميد اللاذقي، الرسالة الفتحية (في الموسيقا)، ٢١٧.

(4) المرجع السابق، ٢١٧.

(5) أبو العباس أحمد بن عمر (٦٣٤-٧٢٦هـ) فقيه الشافعية في عصره. أصول الإيقاعات الشرقية: ١٨) .

(6) عمر عبد الرحمن الحمصي، أصول الإيقاعات الشرقية، ١٨.

(7) فتح ا لله الشرواني، من إيران (٠٠٠ - ٨٥٧ هـ) متكلم وفلكي. (مجلة في الموسيقى : المقدمة).

(8) فتح ا لله الشرواني، مجلة في الموسيقى ، تحقيق فؤاد سيزكين، ١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣- المنحى الثالث: الإيقاع الشعري

ابن طباطبا [١] هو أول من استخدم الإيقاع في بحثه موضوع الشعر، فهو يقول: " للشعر الموزون إيقاع يطرب الفهم لصوابه، وما يرد عليه من حسن تركيبه، واعتدال أجزائه" [٢].

وتتوسع دلالة الإيقاع عند الفلاسفة القدماء، فلا تنحصر في الموسيقى، بل تشمل الحروف أيضاً، إذ يعرفه أبو حيان التوحيدي [٣] على أنه : (فعل يكيل زمان الصوت بفواصل متناسبة متشابهة ومتعادلة) [٤] .

ويقول ايضاً : "ففي النثر ظل من النظم، ولولا ذلك ما خفي ولا حلا ولا طاب ولا تحلى، وفي النظم ظل من النثر، ولولا ذلك ما تميزت أشكاله، ولا عذبت موارده" [٥] .

كما يعرفه ابن سينا على أنه تقدير لزمان النقرات، فإنْ اتفق أن كانت النقرات منتظمة كان الإيقاع لحنياً، وإذا اتفق أن كانت النقرات محدثة للحروف المنتظم منها كلام كان الإيقاع شعرياً[٦] . فهو يدرك تماماً أيقاع الشعر وتأثيره في النفس، وأن مقاطع الكلام إن اتفقت وتتابعت صارت جميلة مطربة للأذن، وهو ربط جميل بين إيقاع الموسيقى وإيقاع الشعر.

يقول الأرموي البغدادي المتقدم ذِكْرُه: "وكما أن عروض الشعر متفاوتة الأوضاع، مختلفة الأوزان، لا يفتقر الطبع السليم فيها إلى ميزان العروض، فكذلك لا يفتقر في إدراك تساوي أزمنة كل دور من أدوار الإيقاع إلى ميزان يدرك به ذلك، بل هو غريزة جبل عيها الطبع السليم، وتلك الغريزة للبعض دون البعض، وقد لا تحصل بكد واجتهاد" [٧] . أي أن الأرموي من القائلين بفطرية الحس الإيقاعي وأنه لا يكتسب اكتساباً. ولا يتفق الباحث مع الأرموي فيما ذهب إليه فهو يرى أن للطبع والغريزة نصيباً في تذوق أدوار الإيقاع، لكن العامل الأكبر للدربة والتعليم.

---

(١) أبو الحسن محمد بن أحمد العلوي (٠٠٠ - ٣٢٢ هـ) شاعر وعالم بالأدب. (معجم الأعلام: ٦٦١).

(٢) ابتسام أحمد حمدان، الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي، ٤٨ .

(٣) أبو حيان علي بن محمد (٠٠٠ - ٤٠٠ هـ) فيلسوف، متصوف، معتزلي. (معجم الأعلام: ٩٥٤).

(٤) ابو حيان التوحيدي، المقابسات، تحقيق حسن السند ذلي، ٢٨٥.

(٥) المرجع السابق، ١٩٧.

(٦) ابن سينا، الشفاء، ٨١.

(٧) الأرموي البغدادي، كتاب الأدوار في الموسيقى، تحقيق غطاس عبد الملك خشبة، ٢٧٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤- المنحى الرابع: الإيقاع النثري

لم يستخدم القدماء مصطلح الإيقاع مع النثر مباشرة، بل تناولوا جمال الأسلوب النثري من خلال حديثهم عن بعض مظاهره البلاغية كالسجع والتكرار والانسجام والتلاؤم وحسن النظم وغيرها من المصطلحات التي استخدمها البلاغيون وأهل البيان.

ومن الواضح أن الدارسين القدماء انتبهوا إلى الصفات الإيقاعية في بلاغة القول، كالتناسب، والتلاؤم، والتجانس، والتوازن، والتناسق، والتشابه، والتضاد، ..الخ، إلا أنهم "حصروها في مجالها الخارجي، فإذا حاولوا تذوقها أخرجوها من محيطها الذي نشأت فيه، وأخضعوها لمنطقهم خارج البنية العامة للنص، ثم تعاملوا معها على أنها جوانب منفصلة بعضها عن بعض، مما أفقدها حيويتها وتفاعلها، فتحولت إلى صفات جامدة ساكنة، خالية من أية ملامح وجدانية شعورية.

فالتكرار مثلاً – وهو من مظاهر الإيقاع – أسلوب عرفه العرب منذ القدم، ويدل على ذلك ما حفل به شعرهم من تكرار الأسماء والمواضع في مواقف مختلفة، وسمة التكرار في الشعر تظل باعثاً نفسياً يهينة الشاعر بنغمة تأخذ السامعين بموسيقاها" [1] . وهذه الحقيقة وإن كانت في الشعر أبرز منها في النثر، إلا أن البلاغيين القدماء كانوا يحفلون بالشعر أكثر من النثر عند الحديث عن المظاهر الأسلوبية والبلاغية.

"إن ظاهرة التكرار لفتت أنظار النقاد العرب منذ زمن بعيد، ففي القرن الثالث عرض الجاحظ للإطناب – والتكرار فرع منه – في خطاب القرآن لبني إسرائيل، كما أن ابن قتيبة [2] في كتابه " تأويل مشكل القرآن" ينظر إلى التكرار في القرآن على أنه ظاهرة عامة، أما ثعلب [3] فقد رأى حسن التكرار في سورة "الكافرون"، وفي القرن الرابع الهجري يرد الخطابي على ما عيب من التكرار، بينما يرى ابن فارس [4] أن من سنن كلام العرب التكرير والإعادة إرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر.

---

(١) ماهر مهدي هلال، جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي، ٢٣٩.

(٢) أبو محمد عبد الله بن مسلم (٢١٣ – ٢٧٦ هـ) من أئمة الأدب، من المصنفين المكثرين. (معجم الأعلام: ٤٥٩).

(٣) أبو العباس أحمد بن يحيى (٢٠٠ – ٢٩١ هـ) إمام الكوفيين في النحو واللغة. (معجم الأعلام: ٨٣).

(٤) أبو الحسين أحمد بن فارس (٣٢٩ – ٣٩٥ هـ) من أئمة اللغة الأدب. (معجم الأعلام: ٦٠).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما في القرن الخامس الهجري فقد عرض لـه الشـريف المرتضـى [1] في أماليـه، وعقـد ابـن رشيق [2] له باباً سماه " باب التكرار" في كتابه " العمدة"، وتاج القراء الكرماني [3] يفرد له كتابـاً سماه "البرهان في توجيه متشابه القرآن لمـا فيـه مـن الحجـة والبيـان". وفي القـرون اللاحقـة يـزداد احتفال النقاد البلاغيين بالتكرار، فيعقد له إبن أبي الأصبع [4] باباً خاصاً في كتابه "بديع القـرآن"، ويخصص له ابن قيم الجوزية [5] قسماً في كتاب " الفوائد"، ويعدد له الزركشي [6] سبع فوائـد في سفره "البرهان"، والسيوطي [7] يروي معظم ما خلفه القدماء مع إضافات، وللشيخ محمد بن عبـد العظيم المعروف بابن عتيق [8] مخطوط بعنوان "نخبة الأذهـان فيمـا وقـع مـن التكريـر في القـرآن " ولمحمد أبي الخير عابدين [9] " التقرير في التكرير" [10] .

ومن لوازم التكرار التأكيد، الذي يقول عنـه العلـوي [11] : " التـأكيد: تمكـين الشـيء في النفس وتقوية أمره، وفائدته إزالة الشكوك وإماطة الشبهات عما أنت بصدده" [12] .

ويقول أيضاً: من مجرى التأكيد ما يتعلق بعلوم البيان، ويقال له التكرير أيضاً وهو قسمان:

١ – ما يكون تاكيداً في اللفظ والمعنى كقوله تعالى : ﴿ *فبأي آلاء ربكما تكذبـان* ﴾ الرحمن ١٣ تقريراً للآلاء، وإعظاماً لحالها. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ *ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكـر ۞ كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر* ﴾ القمـر ١٧-١٨، وإنما كـرره لما يحصـل فيـه مـن إيقـاظ النفوس بذكر قصص الأولين، والاتعاظ بما أصابهم من المثلات (العقوبات)، وحل بهم من أنـواع العقوبات، فيكون بمنزلة قرع العصا لئلا تستولي عليهم الغفلة ويغلب عليهم الذهول والنسيان.

---

(١) أبو القاسم علي بن الحسين (٣٥٥ – ٤٣٦ هـ) نقيب الطالبيين، وأحد الأئمة في علم الكلام والأدب والشعر. (معجم الأعلام:٥١٥).

(٢) أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (٣٩٠ – ٤٦٣ هـ) أديب، نقاد، باحث. (معجم الأعلام: ١٩٦).

(٣) أبو القاسم محمود بن حمزة (٠٠٠ – ٥٠٥ هـ) عالم بالقراآت. (معجم الأعلام: ٨١٧).

(٤) عبد العظيم بن عبد الواحد (٥٩٥ – ٦٥٤ هـ) شاعر، من العلماء بالأدب. (معجم الأعلام: ٤٢٢).

(٥) أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (٦٩١ – ٧٥١ هـ) من أركان الإصلاح الإسلامي، وأحد كبار العلماء. (معجم الأعلام: ٦٨٦).

(٦) أبو عبد الله محمد بن بهادر (٧٤٥ – ٧٩٤ هـ) عالم بفقه الشافعية والأصول. (معجم الأعلام: ٦٨٧).

(٧) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (٨٤٩ – ٩١١ هـ) إمام، حافظ، مؤرخ، له نحو ٦٠٠ مصنف. (معجم الأعلام:٣٩٥)

(٨) محمد بن عبد العظيم (١٠٢٠ – ١٠٨٨ هـ) نحوي، له اشتغال في التفسير. (معجم الأعلام: ٧٣٢).

(٩) محمد بن أحمد بن عابدين (١٢٦٩ – ١٣٤٣ هـ) فقيه حنفي، من أعيان دمشق. (معجم الأعلام: ٦٧٦).

(١٠) محمد الحسناوي، الفاصلة في القرآن، ٢٦٠ بتصرف.

(١١) يحيى بن حمزة العلوي الطالبي (٦٦٩ – ٧٤٥) من أكابر أئمة الزيدية. (معجم الأعلام: ٩٣١).

(١٢) العلوي، الطراز، ١٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- ما يكون في المعنى دون اللفظ، وهذا القسم يستعمل كثيراً في القرآن الكريم وغيره [١].

وتناول القدماء كذلك السجع في أبحاثهم، وهو من مظاهر الإيقاع أيضاً. والسجع هو الفن المعروف في الأدب العربي. " وهو من أوصاف البلاغة في موضعه، وعند سماحة القول فيه، وأن يكون في بعض الكلام لا كله، فإنه في النثر كمثل القافية في الشعر وإن كانت القافية غير مستغنى عنها في الشعر القديم والسجع مستغنى عنه" [٢].

"يقول قدامة [٣] : فاحسن البلاغة : الترصيع والسجع، واتساق البناء، واعتدال الوزن، واشتقاق لفظ من لفظ فمثلت ما يمكن أن يسمى (البلاغة الإيقاعية) [٤].

واما الآمدي [٥] فيقول : البلاغة إصابة المعنى وإدراك الغرض بألفاظ سهلة، عذبة، مستعملة، سليمة من التكلف [٦]، ويقول الخطابي : " النظم وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به، الذي إذا أبدل مكانه غيره، جاء منه: إما تبدل المعنى، وإما ذهاب الرونق" [٧].

"وقد أشار الباقلاني إشارة مجملة إلى تمتع لغة القرآن بالتلاؤم الصوتي فقال: أما التلاؤم، فإنه في كتاب الله أعظم تناسباً منه في كلام العرب. ومعناه: تعديل الحروف في التأليف وجعلها مشاكلة أو متقاربة المخارج، غير متباينة تبايناً يقتضي الاستثقال، فما كانت هذه صفته فهو بلاغة.

وقد ضرب الخليل لذلك مثلا، فقال: الكلام إذا تنافر وبعد البعد الشديد فهو بمنزلة الطّفر، والخروج عن الشيء المعتدل. وإذا تقارب التقارب الشديد كان بمنزلة مشي المقيد"[٨].

ويقول ابن أبي الأصبع المصري عن الانسجام: هو أن يأتي الكلام متحدراً كتحدر الماء المنسجم، بسهولة سبك وعذوبة ألفاظ، وسلامة تأليف، حتى يكون للجملة من المنثور، وللبيت من الموزون وقع في النفوس، وتأثير في القلوب [٩].

---

(١) المصدر السابق، ١٨٢، وانظر أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية، ٦.

(٢) أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ١٤٤.

(٣) أبو الفرج قدامة بن جعفر (٠٠٠ - ٣٣٧ هـ) كاتب، من البلغاء الفصحاء المتقدمين في علم المنطق والفلسفة. (معجم الأعلام: ٣١٩).

(٤) قدامة بن جعفر، جواهر الألفاظ ، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، ٣ .

(٥) أبو القاسم الحسن بن بشر (٠٠٠ - ٣٧٠ هـ) عالم بالأدب، راوية، من الكتاب وله شعر. (معجم الأعلام: ١٩٤).

(٦) الآمدي، الموازنة بين الطائيين، تحقيق السيد أحمد صقر، ٢٤٢.

(٧) الخطابي، بيان إعجاز القرآن، تحقيق عبد الله الصديق، ١٩٧.

(٨) محمد السيد سليمان، من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، ٧٥.

(٩) ابن أبي الأصبع المصري، بديع القرآن، تحقيق حفني محمد شرف ، ٦٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقول السيوطي: " وقال أهل البديع: " إذا قوي الانسجام في النثر جاءت فقراته موزونه بلا قصد لقوة انسجامه [1] .

ويبقى لرائد البلاغيين عبد القاهر الجرجاني تفرده في التركيز على النظم من خلال التناسب بين أجزاء النص والمعنى، إذ يقول: ليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها في النطق، بل أن تناسقت دلالاتها، وتلاقت معانيها على الوجه الذي ارتضاه العقل [2] .

وهناك لفتة جمالية لطيفة لصاحب "إرشاد الراغبين" حيث يقول واصفاً أهمية المظاهر الجمالية في النفس والحياة وفي النص القرآني: "لما أراد الحق سبحانه تكليم الإنسان، نظر إلى الحسن الإجمالي في ألسنة البشر، لا إلى قوالب مستحسنة عند قوم دون قوم، فاعتبر في أكثر الآيات امتداد الصوت لا الطويل ولا المديد من البحور مثلاً، واعتبر في الفواصل انقطاع النفس بالمرة لا قواعد القوافي. وتمام النفس في الآيات يعتمد غالباً على مدة مطابقة لحرف الفاصلة، يوافقها ذوق الطبع، وإن كانت في موضع الفاً، وفي موضع آخر واواً أو ياءً كـ " العقاب " و " يشكرون " و "عظيم"[3] . وأهمية هذه اللفتة أنها تربط بين تدفق القرآن الصوتي وبين جهاز النطق في الإنسان بما فيه حركة الرئتين، وأن انسياب النص وجماله يطابق طبع أصحاب الأذهان الفطرية السليمة.

---

(1) السيوطي، معترك الأقران، تحقيق محمد البجاوي، ٣٨٦/١، وانظر هايل الفقراء، ظاهرة الانسجام الصوتي في القرآن الكريم، ٦٨.

(2) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمد التنجي، ٤٣.

(3) محمد الحسناوي، الفاصلة في القرآن، ١٧٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الرابع

الإيقاع عند المحدثين

مع تراكم الدراسات الأسلوبية والبلاغية وتطورها، ومع شيوع المناهج الأسلوبية والنقدية في الشرق والغرب، صار للإيقاع معانٍ أوسع وأرحب، وصار الحديث عنه أكثر تفصيلاً وعلمية. وسيركز الباحث على أربعة مناح :

١- المنحى الأول : الإيقاع الجمالي

وهذا المنحى يبين أن الإيقاع حقيقة أساسية في الكون حولنا، وأنه مظهر جمالي في الفنون بعامة.

"الإيقاع علم أزلي إلهي قديم، وبحثه طويل الذيول. لقوله تعالى: ﴿*والشمس تجري لمستقر لها ، ذلك تقدير العزيز العليم*﴾ يس ٣٨. أي أن الشمس تسير بقدرة الله في الفلك لا تتجاوزه ولا تتخطاه، فهي مسيّرة لزمن تستقر فيه، ولوقت تنتهي إليه. فأما الزمن فهو المدة الواقعة بين الكواكب، وهذا ما يسمى الإيقاع، لأنه نسب زمانية" [١] .

والإيقاع في مفهومه العام يرتكز على مبدأين:

الأول : فهو من حيث جوهره وأصلة مبدأ أزلي، يضمن استقرار حركة الظاهرات المادية بما يوفر لها من التوازن والتناسب والنظام والدوام.

ثانياً: وهو من حيث مفهومه الأدبي والفني، مبدأ أقرته العبقرية الفنية، والخيال الخلاق لنظم الحركة الفنية حسناً وجمالاً، ويكسبها روعة وجلالاً.

وأول من تأثر بالإيقاع هو الإنسان في العصور الغابرة، بالحركات المنتظمة التي كان يسمعها من صوت حوافر الجمال والخيل في سيرها، وغير ذلك من الأصوات، فابتدأ يصفق بيديه محاكياً هذه الأصوات بضربات وحركات متزنة، شعر معها بشيء من اللذة [٢] .

---

(١) عمر عبد الرحمن الحمصي، أصول الإيقاعات الشرقية، ٧.

(٢) المرجع السابق، ٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهناك من يعلل الالتذاذ بالإيقاع الموسيقي بأن الإيقاع عنصر أصيل في الطبيعة، "وأول ما يسهل على الإنسان الإحساس به في الموسيقى هو الإيقاع المنتظم. وقد يرجع ذلك إلى أنه من العناصر الأساسية في الطبيعة. فليس هناك ما يلازم حياتنا ويعطيها تلك الحالة من الحيوية سوى دقات القلب الموزونة التي تحدث دوماً بازدواج دون توقف، دقة ظاهرة تليها أخرى خافتة، وكذا تنفس الإنسان في حركتي شهيق وزفير، وسيره وعدوه، كل ذلك يحدث بطريقة موزونة ازدواجية متكررة. والظواهر الكبرى في الطبيعة كتتابع الفصول، وحركة النجوم والأجرام السماوية، وحركات الانسياب في المد والجزر، وارتطام الأمواج بشاطيء البحر، هذه كلها أيضاً مظاهر للتكرار المنتظم الذي يسيطر على حياتنا وحياة الطبيعة.

وما الفن إلا صورة من مظاهر الحياة. فيقوم على ترتيب العناصر المكونة له بطريقة موزونة يجمعها التوافق في العلاقة بينها. فليس من الصعب الوقوف على صورة الإيقاع المشعة سواء في التصوير والنحت والزخرفة، أو في الأدب والموسيقى، إذا علمنا أن أي قطعة فنية بمعنى الكلمة لا بد فيها من اتباع ترتيب يشمل تتابع الوحدات القوية والضعيفة، وتفاوتها وتوزيعها بطريقة ملفتة، تضاعف قدرة العقل على تفهمها [1].

لكن البعض من أهل الفن والجمال ركز على التكرار، وهو من أهم مظاهر الإيقاع، بل تحدث عن التكرار على أنّه الإيقاع: " التكرار من أعمق ظواهر الحياة، يظهر في الأدب في تناوب الحركة والسكون، أو تكرار الشيء على أبعاد متساوية، وفي ترديد لفظ واحد، أو معنى واحد، وهو الترجيع، مثل رد العجز على الصدر في الشعر، ومنه الترجيع المتسق، أي التكرار الموزون لوضع أو مركز قوة.

وهو في الطبيعة كثير الشيوع، يظهر في القلب انقباضاً وانبساطاً، وحركة الأمواج مدّاً وجزراً، وتناوب الليل والنهار، وهو قانون الحركة والشغل وقانون الحياة: انبساط وانقباض، شهيق وزفير، نوم وسهر. ذلك أن كل جسم يحتاج إلى فترة راحة بين حركتين، والحركة الدائمة غير ممكنة. ثم إن الترجيع المنسق اساس الحركة في الفنون التشكيلية بل التكرار نفسه كثير الشيوع في الفن، وقلما نجد عملاً فنياً لا تتكرر فيه أجزاء متقاربة أو متباعدة" [2].

وفي الموسوعة العربية العالمية ورد تعريف الإيقاع العام على النحو التالي: الإيقاع: هو الوزن الطبيعي المحسوس في أثناء الرقص والموسيقى واللغة. ففي الرقص تنبعث الأنماط والأنغام

---

[1] صالح عبدون، الثقافة الموسيقية، ٤٠.

[2] روز غريب، النقد الجمالي وأثره في النقد العربي، ٢٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموسيقية بحركات جسدية فترات أقصر أو أطول، وبنبرات مشددة أو مخففة [١] .

ومن ترجمات كلمة (Rhythm) :

١) الإيقاع (موسيقى).

٢) الوزن الشعري.

٣) الاتزان، التناغم: ائتلاف أجزاء الأثر بعضها مع بعض، بحيث تؤلف كلاً فنياً (فنون جميلة).

٤) التواتر: التكرار النظامي للعمليات أو الأحداث [٢] .

ولكن يبقى للغناء والموسيقى –كما كان عند القدماء حظ كبير– في استخدام مصطلح الإيقاع. ففي الموسوعة الموسيقية الصغرى: الإيقاع هو الوجه الخاص بحركة الأنغام المتعاقبة خلال الزمان، أي أنه النظام الوزني بالأنغام في حركتها المتتالية. ولو رجعنا إلى مفردات التدوين الموسيقي، ومنها الأنغام لعلمنا بأن الإيقاع هو القيمة الزمنية التي تستغرقها كل نغمة. وعليه فإن الإيقاع هو تنظيم زمني لحركة اللحن[٣] .

وفي الموسيقى فإن التعابير والأشكال المقفاة التي تنبع من ترتيب الألحان، يتم تنظيمها حسب الوقت والشدات، أما في اللغة فإنها تنبع من رفع الأصوات وخفضها حسب المقاطع، والألحان الصوتية، والشدات اللفظية والسكنات[٤] .

ويشير الجماليون إلى الأثر البالغ للموسيقى المتميزة بالإيقاع علينا، ويصرون على تذوق الفن للفن، لا للنقد والتعليق، حتى تكون اللذة النفسية كاملة من غير نقص. " عندما نستمع إلى قطعة موسيقية ذات إيقاع مثير تستحوذ علينا بما فيها من حركة وتوثب، أو عندما نقرأ رواية تثيرنا إثارة بالغة نبدي لها انتباهاً جاداً ونكاد نستبعد كل شيء آخر محيط بنا. فحين " نجلس على حافة الكرسي"، من فرط الإثارة، نكون أبعد ما يمكن عن السلبية. إننا حين نتخذ الموقف الاستطيقي[٥] ، نريد أن نجعل قيمة الموضوع تأتي بحيوية كاملة إلى تجربتنا. وعلى ذلك فإننا نركز انتباهنا على الموضوع، ونشحذ قدراتنا على التخيل والانفعال حتى تستجيب له" [٦] .

---

(١) الموسوعة العربية العالمية، ١٤/١٧٩.

(٢) منير البعلبكي، المورد، مادة rhythm.

(٣) حسين قدوري، الموسوعة الموسيقية الصغرى، ٢٦.

(٤) الموسوعة العربية العالمية، ١٤/١٧٩.

(٥) الجمالي.

(٦) جيروم ستولنيتز، ترجمة فؤاد زكريا، النقد الفني، ٤٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتطرقت صاحبتا كتاب " طرق تعليم الموسيقى" إلى تعريف الإيقاع بأنه علاقة الأصوات بعضها ببعض، واستمرار كل منها من حيث الطول والقصر. أما النغم فهو علاقة الأصوات بعضها ببعض من حيث الحدة والغلظة [1]. وكذلك فإن الإيقاع الفني هو التطابق مع للحن، فنجد أن الجملة الملحنة مكونة من عدة نغمات تضبط بسرعة زمنية باستخدام الطقم الإيقاعي المتمثل في الدمات والتكات والسكنات، ويجري تطبيقها بحركات موزونة [2].

لكن أهل الفن والأدب مع تطور ثقافتهم وتراكمها، لم يعودوا يكتفون بالتعريفات العامة للإيقاع، ولم تلبّ الأوصاف الانطباعية الذاتية الحاجات الأكاديمية، فصار من الضرورة بمكان أن يعيدوا دراسة الإيقاع وتعريفه على أسس أعمق، وينظروا إليه من خلال قوانين تضبطه، ويتمظهر من خلالها. إن القوانين التي تتمثل في الإيقاع من حيث هو "خاصية أساسية مشتركة في كل الفنون مهمة، والواقع أنه ربما كان من السهل دراسة الإيقاع في الموسيقى وكشف هذه القوانين بسهولة فيها لأنها فن زماني تتضح فيه الصورة ولا تختلط بشيء. وكذلك الشأن في التصوير حيث يمكن تمثل هذه القوانين في توزيع المساحات والأضواء والظلال. أما في الفن القولي فإن استكشاف هذه القوانين أمر من الصعوبة بمكان، لأن الصورة هنا زمانية مكانية في وقت معاً" [3].

أما أوسع تعريف وأشمله وأكثره علمية وتفصيلاً، فهو التعريف التالي، الذي يفصل في عناصر الإيقاع: الإيقاع (Rhythm) : تنظيم متوالٍ لعناصر متغيرة كيفياً في خط واحد [4].

ومفهوم الإيقاع يتمثل في سبعة قوانين هي: النظام، التغير، التساوي، التوازي، التوازن، التلازم، والتكرار وهو أهمها، فالقوانين السبعة هذه تعمل جميعاً في وقت واحد، وعملها المتلازم ينشيء ما نطلق عليه الإيقاع" [5].

---

(1) عائشة صبري وآمال مختار، طرق تعليم الموسيقى، ٣٢.

(2) عمر عبد الرحمن الحمصي، أصول الإيقاعات الشرقية،٧.

(3) عز الدين اسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي، ٢٢١.

(4) هذا تعريف " آيين سوريو" للإيقاع، أورده مؤلف " الأسس الجمالية في النقد العربي"، ١٢٠.

(5) عز الدين اسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي، ١٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- المنحى الثاني: الإيقاع الشعري

استخدم المحدثون مصطلح الإيقاع كثيراً عند تناولهم مفهوم الشعر وفلسفة بنائه، على أن بعضهم كان أكثر دقة من بعضهم الآخر في توصيف الإيقاع الشعري. وقد "جعله محمد مندور أحد عنصرين أساسيين يقوم عليهما الفن الأدبي، وهما الإيقاع والكم" [١].

أما إبراهيم أنيس فلم يأت على ذكر الإيقاع إلا في إشارة عابرة جعل منه العنصر الموسيقي الهام الذي لم يدرس دراسة كافية حتى الآن، لكنه أساس في التفريق بين (توالي المقاطع حين يراد بها أن تكون نظماً وتواليها حين تكون في النثر)، ويرى أن الإيقاع في إنشاء الشعر ليس إلا (زيادة في الضغط على المقطع المنبور من كلمات الشطر). وكأنه يطابق بينه وبين النبر[٢].

ومنهم من يرى الإيقاع تكرار الوقوع المطرد للنبضة أو النبرة، وتدفق الكلمات المنتظم في الشعر والنثر [٣]:

" وتتمثل موسيقى الشعر العربي في بحوره وقوافيه، ويفرق هنا بين أمرين، أولهما الإيقاع العام، ويعني: وحدة النغم التي تتكرر على نحو ما في الكلام أو في البيت حين تتوالى المتحركات والسواكن بشكل منسق في مقطعين أو أكثر من مقاطع الكلام أو أبيات القصيدة. وهذا اللون من الإيقاع لا يخلو منه النثر، ويسمى التصريع.

أما الإيقاع في الشعر فمداره التفعيلة في البحر العربي، والمقصود من التفعيلة مقابلة الحركات والسكنات فيها بنظائرها من الكلمات في البيت، دون أن نفرق بين الحرف الساكن اللين، والحرف الساكن الجامد، وحرف المد.

خلاصة ذلك أن حركة كل تفعيلة هي وحدة الإيقاع في البيت. أما الوزن فهو مجموع التفعيلات التي يتالف منها البيت الذي هو الوحدة الموسيقية للقصيدة العربية.

وفي موسيقى الشعر على الشاعر أن يراعي المساواة بين أبيات القصيدة في الإيقاع والوزن، بحيث تتساوى الأبيات في نصيبها من عدد المتحركات والسواكن المتوالية، وهذه المساواة تحقق ما نسميه: وحدة النغم [٤]. إن الإيقاع ضرورة تستدعيها الموسيقى الخفية في الشعر، وبصورة طبيعية عفوية [٥].

---

(١) محمد مندور، في الميزان الجديد، ١٨٧.

(٢) ابتسام أحمد حمدان، الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي، ٣٢.

(٣) إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، مصطلح إيقاع.

(٤) انظر الموسوعة العربية العالمية، ١٤/١٧٩.

(٥) جبور عبد النور، المعجم الأدبي، ٤٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والقافية في العروض الخليلي علامة الإيقاع، وهي صوت متميز يدل على مكان التوقف لكي نتابع من ثم انطلاقتنا [1] .

" والقصيدة القديمة قائمة على الوزن السهل المحدد، المفروض من الخارج، بينما تقوم القصيدة الحديثة على الإيقاع، والإيقاع نابع من الداخل" [2] .

وقال أحد الأدباء: أريد من كلمة الإيقاع في شعرنا هذه البنية الموسيقية الخاصة، هذا التركيب الموسيقي الخاص بكل وزن من أوزاننا الستة العشر، هذه الصيغة الموسيقية التي سماها الأجداد بحراً [3].

ويعرف ميشال عاصي الإيقاع فيقول: "الإيقاع: حركة النغم الصادر عن تأليف الكلام المنثور والمنظوم، الناتج عن تجاور أصوات الحروف في اللفظة الواحدة، وعن نسق تزاوج الكلمات فيما بينها، وعن انتظام ذلك كلة شعراً في سياق الأوزان والقوافي" [4] .

يمكن كشف الجمال في الصورة في العنصر المكاني من الفن القولي، كما أمكن كشفه في العنصر الزماني منه. وحين اتضحت هذه الحقيقة للشعراء بذلوا قصارى جهدهم في أن يوفروا لشعرهم هذا التوازن الإيقاعي في الدلالات كما وفروه في الأصوات، حتى يتم له الجمال. ونجد النقاد يحاولون كشف قوانين الإيقاع التي تجعل من الصورة صورة جميلة سواء في عنصرها الصوتي أو عنصرها الدال [5] .

مما تقدم نجد الأدباء والنقاد قد توسعوا في استخدام مصطلح الإيقاع في مجال الدرس الشعري، ابتداءً من التفعيلة، مروراً بتوالي الحركات والسكنات، وانتهاءً إلى البحور الخليلية، كما نراه ينتظم الإيقاع الدلالي، والإيقاع النبري والتنغيمي، أي أن مظاهر الإيقاع الشعري عند المحدثين صارت أكثر جلاءً وتنوعاً، وهذا طبيعي بسبب تزايد الخبرات الأدبية وتطورها، وكذلك ترجمة الآداب الأخرى نظماً ونثراً ونقداً على وجه الخصوص.

---

(1) أدونيس، مقدمة للشعر العربي ، ١١٤.

(2) جبور عبد النور، المعجم الأدبي، ٤٤.

(3) المرجع السابق، ٤٤.

(4) ميشال عاصي، المعجم المفصل في اللغة والأدب، مادة إيقاع.

(5) عز الدين اسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي، ٢٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣- المنحى الثالث: الإيقاع النثري

استخدم المحدثون الإيقاع في نقدهم النصوص النثرية وفي تحليلها، ولكن مصطلح الإيقاع في النثر لم يبلغ سعة استخدام الإيقاع في الشعر ذلك أن للشعر عناصر تجعلة الأقرب والأوضح في مجال الإيقاع.

وفي المعجم الأدبي: إيقاع: فن إحداث إحساس مستحب، بالإفادة من جرس الألفاظ، وتناغم العبارات، واستعمال الأسجاع وسواها من الوسائل الموسيقية الصائتة [١].

والإيقاع المحاكي: اختيار مفردات يؤدي جرسها ذهنياً إلى استحضار الشيء الذي تمثله[٢].

ونلاحظ هنا خلطاً بين الإيقاع وبين الجرس، ذلك أن الإيقاع لا يقع إلا بالتكرار والتعدد، أما الجرس فيقع باللفظة المفردة وبغيرها، وإن كان أوضح عند تكثيف النمط.

أما الدكتور شكري عياد فقد حدد الإيقاع الصوتي من خلال عناصر ثلاثة:

أولها: المقاطع التي تستغرق قدرا من الزمن في أثناء النطق بها.

وثانيها: التنغيم الذي يساعد على إظهار حالات التكلم من إخبار واستفهام أو تعجب.

وآخرها: النبر الذي يساعد على إبراز ما يعتبره المتكلم أنه الجزء الأهم في الكلمة أو الجملة[٣].

وتختلف هذه العناصر في درجة بروزها من لغة إلى لغة، ولا تكتمل صور التشكيل الصوتي بالإيقاع، إلا إذا ارتبط بإيقاع نفسي يتمثل بذلك النشاط النفسي الذي من خلاله ندرك ما للكلمات من معانٍ ومشاعر [٤].

أما سيد قطب فيرى دوراً هاماً للإيقاع في العمل الأدبي، إذ يقول: " وتستمد العبارة دلالتها في العمل الأدبي من :

١- مفردات الدلالات اللغوية للألفاظ.

٢- الدلالة المعنوية الناشئة عن اجتماع الألفاظ وترتيبها في نسق معين.

٣- الإيقاع الموسيقي الناشيء عن مجموعة إيقاعات الألفاظ، متناغماً بعضها مع بعض.

٤- الصور والظلال التي تشعها الألفاظ، متناسقة في العبارة.

٥- الأسلوب، أو طريقة تناول الموضوع والسير فيه. أي: التنسيق الذي يسمح لكل لفظ بأن

---

(١) جبور عبد النور، المعجم الأدبي، ٤٤.

(٢) المرجع السابق، ٤٤.

(٣) شكري عياد، موسيقى الشعر العربي، ٣٦.

(٤) ابتسام أحمد حمدان، الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي، ٣٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يشع شحنته من الصور، والذي يؤلف إيقاعاً متناسقاً بين الألفاظ، وظلالاً متناسقة كذلك من ظلال الألفاظ [1].

والتناسق في التعبير هو أن يهيئ الأديب لحظة التعبير للألفاظ نظاماً ونسقاً وجواً يسمح لها أن تشع شحنتها من الصور والظلال والإيقاع. وأن تتناسق ظلالها وإيقاعها والجو الشعوري الذي تريد أن ترسمه [2].

وجرس الحروف: صوتها المنغم. وهي تختلف في صفاتها على حسب مخارجها وجرسها ونغمة صوتها عندما ينطق بها. ولذلك قيل: حروف الهمس وحروف الجهر، وحروف الاستفال وحروف الاستعلاء، وحروف الذلاقة....

وجرس الكلمات: هو نغمتها وصوتها وإيقاعها الذي يحصل نتيجة التلاؤم بين حروفها.

وجرس العبارات: هو الإيقاع الصوتي الحاصل من التلاؤم بين كلماتها، وتوافق أصواتها وحلاوة جرسها كذلك. فالجرس يكون في الحروف والكلمات والعبارات، وهو نوع من أنواع الإيقاع الموسيقى للعبارات [3].

أما نعيم اليافي فقد نظر إلى الإيقاع نظرة شمولية مستقصية، وتوسع في دلالة الإيقاع، فربطه بالصعود والهبوط، والبطء والسرعة، والحركة والتوقف، كما رآه في المماثلة والمخالفة، والموازنة والمقابلة، في الوحدة والتنوع، في حدة الصوت ورخاوته، وفي شدته وضعفه، وفي طول العبارات وقصرها [4].

وميز بين الوزن والإيقاع تمييزاً دقيقاً [5]، (فالوزن هو النمط المحدد الصرف، أو الهيكل السكوني الجاهز والمجرد، أما الإيقاع: فهو العنف المنظم، أو حركة النص الداخلية، الحيوية المتنامية، التي تمنح نسق الرموز المؤلفة للعبارة الدفق والثراء) [6].

ولعل نظرة نعيم اليافي إلى الإيقاع هي الأوسع والأشمل، ذلك أنها تنتظم كثيراً من الظواهر الأسلوبية في النص الأدبي النثري، متجاوزاً بذلك القوالب القديمة المحددة للإيقاع، وموسعاً بذلك دلالة الإيقاع في النثر، مما يجعلها حقاً قادرة على بيان أشكال الجمال ومظاهره، ومعينة المتلقي في التعرف على مواطن اللذة البلاغية والأسلوبية.

---

(1) سيد قطب، النقد الأدبي، ٤١.

(2) صلاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، ٨٨.

(3) المرجع السابق، ٩١.

(4) نعيم اليافي، ثلاث قضايا حول موسيقى القرآن، ٩٠.

(5) ابتسام أحمد حمدان، الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي، ٣٥.

(6) نعيم اليافي، ثلاث قضايا حول موسيقى القرآن، ٩٠.

All Rights Reserved- Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤- المنحى الرابع : الإيقاع القرآني

كثر الحديث في دراسات المحدثين عن الإيقاع القرآني، وعده بعضهم من أعظم مظاهر جماليات الأسلوب القرآني، حيث نشط الحديث عن الإيقاع في كتابات مصطفى صادق الرافعي، وانتقل نقله كبيرة على يد سيد قطب، واستوى وضوحاً وتفصيلاً بفضل مساهمات نعيم اليافي ومحمد الحسناوي وتمام حسان وغيرهم، مما أضفى على مصطلح الإيقاع في القرآن الكريم بعداً علمياً، يخضع للدراسة، ويظهر تجليات الإيقاع في القرآن الكريم.

لقد كان حديث الرافعي عن نظم القرآن الكريم - والإيقاع جزء منه - يتسم بالأسلوب الخطابي المتدفق، حيث مكنته عارضته اللغوية من وصف موسيقى القرآن بأساليب شتى، لكن تناول الرافعي كان أقرب إلى أحاديث القدماء في بلاغة القرآن وجماله، مع تقدم عنده في استخدام بعض المصطلحات الحديثه، والإشارة إلى مظاهر جديدة في أسلوب القرآن ونسقه. فها هو يقول: "فإن طريقة النظم التي اتسقت بها ألفاظ القرآن وتآلفت لها حروف هذه الألفاظ، إنما هي طريقة يتوخى بها إلى أنواع من المنطق وصفات من اللهجة لم تكن على هذا الوجه من كلام العرب، ولكنها ظهرت فيه أول شيء وعلى لسان النبي -صلى الله عليه وسلم-، فجعلت المسامع لا تنبو عن شيء من القرآن، ولا تلوي من دونه حجاب القلب ، حتى لم يكن لمن يسمعه بد من الاسترسال إليه والتوفر على الإصغاء، فإنه إنما يسمع ضرباً خالصاً من الموسيقى اللغوية في انسجامه، واطراد نسقه، واتزانه على أجزاء النفس مقطعاً مقطعاً، ونبرة نبرة، كأنها توقعه توقيعاً ولا تتلوه تلاوة [1].

ونلاحظ هنا تدرج الرافعي في الحديث عن موسيقى القرآن من الوصف العام المجمل إلى محاولة التفصيل، وهذا من مساهمات الرافعي الجديدة التي تقدم بها على القدماء.

ثم يتعرض إلى مزيد من التفصيل في سر الإعجاز الموسيقي في القرآن، وعلاقة ذلك بحروف القرآن وطريقة ترتيبها في النظم، " وقد كان منطق القوم يجري على أصل من تحقيق الحروف وتفخيمها، ولكن أصوات الحروف إنما تنزل منزلة النبرات الموسيقية المرسلة في جملتها كيف اتفقت، فلا بد لها مع ذلك من نوع في التركيب وجهة التأليف حتى يمازج بعضها بعضاً، ويتالف منها اللحن الموسيقي، ولا يكون إلا من الترتيب الصوتي الذي يثير بعضه بعضاً على نسب معلومة ترجع إلى درجات الصوت ومخارجه وأبعاده.

---

(1) الرافعي، تاريخ آداب اللغة العربية، ٢/٢١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلما قرئ عليهم القرآن، رأوا حروفه في كلماته، وكلماته في جمله ألحاناً لغوية رائعة، كأنها لائتلافها وتناسبها قطعة واحدة، قراءتها هي توقيعها"[1].

ونجد عالماً آخر يركز على البعد الصوتي الموسيقي في القرآن الكريم، ألا وهو الشيخ مخلوف، فنجده يقول " إن القرآن الكريم نزل في أمّة أميّة تسمع أكثر مما تكتب. فلم يكن غريباً أن يهتم نص كتابها بالصورة الصوتية المسموعة، فيأتي وفيه من التقفية ذلك القدر الكثير الذي يتلى عليهم، ويرتل ترتيلاً يسمعون فيه ذلك النمط من الموسيقى التي لا عهد لهم بها، وهم أمة الشعر والموسيقى" [2]، ونلاحظ هنا أن الشيخ مخلوف لم يبتعد كثيراً عما قدمه الرافعي فكلاهما يتحدثان عن الموسيقى المركوزة في النص القرآني.

وحين ننظر في كتابات سيد قطب نجده قد أكثر من الحديث عن الإيقاع في القرآن الكريم، واحتفى به كثيراً وأعلى من شأنه لا سيما في " ظلال القرآن "، عند تفسيره للسور المكية على وجه الخصوص. فالإيقاع يحتل عنده منزلة عالية حيث يجعله في دائرة الضوء كثيراً، وإن كان يتناوله ببعد جمالي أدبي في غالب الأحيان، مركزاً على وظيفته في خدمة السياق القرآني ليحقق أغراضه ويفعل فعله في نفس المتلقي. يقول: " وحيثما تلا الإنسان القرآن أحس بذلك الإيقاع الداخلي في سياقه. يبرز بروزاً واضحاً في السور القصار، والفواصل السريعة، ومواضع التصوير والتشخيص بصفة عامة" [3].

وتقدم سيد قطب خطوة أخرى حين أخذ يربط بين إيقاع السياق والجو الذي يرسمه ذلك الإيقاع، يقول –رحمه الله– " فأما تنوع أسلوب الموسيقى وإيقاعها بتنوع الأجواء التي تطلق فيها، فلدينا ما نعتمد عليه في الجزم بأنه يتبع نظاماً خاصاً، وينسجم مع الجو العام باطراد لا استثناء فيه" [4].

وإذا نحن ذهبنا نتتبع ما كتبه في " الظلال" عن الإيقاع وجدناه كثيرا متنوعاً، فهو يقول في مقدمة سورة القيامة: " هذه السورة الصغيرة تحشد على القلب البشري من الحقائق والمؤثرات والصورة والمشاهد، والإيقاعات واللمسات، ما لا قبل له بمواجهته ولا التفلت منه ... تحشدها بقوة، في أسلوب خاص، يجعل لها طابعاً قرآنياً مميزاً، سواء في أسلوب الأداء التعبيري، أو أسلوب

---

(1) الرافعي، تاريخ آداب اللغة العربية، ٢١٤/٢.

(2) محمد حسنين مخلوف، مجلة الأزهر، ٤٣٨/٥.

(3) سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ١٠٣.

(4) المرجع السابق، ٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأداء الموسيقي، حيث يجتمع هذا وذاك على إيقاع تأثير شعوري قوي، تصعب مواجهته، ويصعب التفلت منه أيضاً.

إنها تبدأ في الآيتين الأوليين منها بإيقاع عن القيامة، وإيقاع عن النفس: ﴿*لا أقسم بيوم القيامة، ولا أقسم بالنفس اللوامة*﴾. ثم يستطرد الحديث فيها متعلقاً بالنفس ومتعلقاً بالقيامة، من المطلع إلى الختام، تزاوج بين النفس وبين القيامة حتى تنتهي. وكأن هذا المطلع إشارة إلى موضوع السورة، أو كأنه اللازمة الإيقاعية التي ترتد إليها كل إيقاعات السورة، بطريقة دقيقة جميلة"..[1] هذا مثال كبير على تنبه سيد قطب لدور الإيقاع وأهميته في النظم القرآني، فنراه يستخدم مصطلح الإيقاع بوعي أكثر من سابقيه، ويوظف الكشف عن مواطن هذا الإيقاع في الوصول إلى مراد النص من ناحية، وإلى تفرده من ناحية أخرى.

ومثال آخر – من الأمثلة الكثيرة – على وضوح دور الإيقاع في القرآن عند سيد قطب، يقول في مقدمة سورة النازعات : " وفي الطريق إلى إشعار القلب البشري حقيقة الآخرة الهائلة الضخمة العظيمة الكبيرة، يوقع السياق إيقاعات منوعة على أوتار القلب، ويلمسه لمسات شتى حول تلك الحقيقة الكبرى. وهي إيقاعات ولمسات تمت إليها بصلة، فتلك الحقيقة تمهد لها في الحس وتهيئه لاستقبالها في يقظة وفي حساسية.

يمهد لها بمطلع غامض ولكنه يثير بغموضه شيئاً من الحدس والرهبة والتوجس. يسوقه في إيقاع موسيقي راجف لاهث، كأنما تتقطع به الأنفاس من الذعر والارتجاف والمفاجأة والانبهار: ﴿*والنازعات غرقاً ۞ والناشطات نشطاً ۞ والسابحات سبحاً ۞ فالسابقات سبقاً ۞ فالمدبرات أمراً*﴾" النازعات ١–٥[2].

لقد ركز سيد قطب الحديث عن الإيقاع القرآني أدبياً، وبين أهميته في بناء القرآن الكريم، ولكنه على الرغم من ذلك لم يذكر للإيقاع تعريفاً علمياً محدداً، بل كان يعبر عن إحساسه بتوقيع الآيات القرآنية في وجدانه، ويرى الباحث أنه قد اعتمد في تحديد ذلك الإيقاع على ثلاثة أمور:

١– طول الآيات أو قصرها.

٢– فواصل الآيات.

٣– جرس الألفاظ وكثافة نمطها.

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن الكريم، ٣٧٦٦/٦.

(٢) المرجع السابق، ٣٨١١/٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما مفهوم " الإيقاع " في القرآن الكريم فقد غدا أكثر جلاءً، ودقة عند نعيم اليافي، فهو يبحث في قضايا الموسيقى القرآنية وقواعد تشكل النغم في موسيقى القرآن، ويعرضها بطريقة علمية دقيقة. فهو يقول : "... إذا كان القرآن ينأى عن وزن الشعر ولو تراءت فيه بعض أشطره وأبياته، فإنه لا ينأى عن الإيقاع بل يتوسل به في نسقه العالي الجميل حقيقة لا ادعاءً، ولا نتحرج من استعمال المصطلح – أي الموسيقى – ما دام هذا المصطلح أو سواه مما يحمل معناه قد دخل معجمنا ولغتنا ونقدنا وأصبح جزءاً من فكرنا التراثي، ونحن في زمن يعنينا فيه أن نوضح خصوصية كتابنا المقدس ومبلغ إعجازه فناً وأداءً أكثر مما تعنينا أو تحرجنا حساسية فائقة أو زائفة تجاه بعض المصطلحات ..."[1].

ونراه يلحظ الفرق بين الظواهر الأسلوبية والظواهر الإيقاعية، فيقول : "سأفرق تفريقاً اعتبارياً بين الظواهر الأسلوبية التي تساعد على الأداء الموسيقي والظواهر الإيقاعية أو قواعد التشكل في الظواهر الأسلوبية، سواء أكان ذلك في فواصل الآيات أو سياقها، تختار الكلمة غريبة أو مألوفة، تقدم أو تؤخر، تحذف أو تذكر، يعدل عنها أو إليها لأسباب عدة من بينها الموسيقى. أما في قواعد التشكل أو الظواهر الإيقاعية، فإن وضع الحرف أو الكلمة أو الجملة على هذا النحو من الأنحاء إنما يكون لملامح فنية تأتي في مقدمتها الموسيقى، وبذلك يضحي التعبير أبرع والتأثير أروع، ولما كنا لا نفصل في طريقة دراستنا بين المعنى والمبنى، بين دلالة التركيب وشكله فليس لزاعم أن يزعم بأن وضع اللفظ على هذا النحو إنما كان لمعنى في السياق وليس لضرورة الإيقاع ومن أجله" [2].

وينطلق نعيم اليافي في فضاءات النص القرآني متجاوزاً حدود النظر إلى ملامح الموسيقى المتفرقة، بل يتعدى ذلك إلى النظرة المتكاملة الجميلة : "إن موسيقى القرآن لا يمكن حصرها بحركات وسكنات أو مقاطع طويلة وقصيرة، لا يمكن ضبطها بنوى ونبرات أو أوتاد ونقرات لأنها موسيقى النفس والروح، إيقاع الترسل والاتساق، حالات التفخيم والترقيق والغنة، إنها أصوات الحروف في تآلفها وتجاوبها لا الصوت في طريقة تصريفه وتوقيعه، إنها لحن النسق بكل ما يستدعيه هذا اللحن ويتطلبه من نغمات راعشة بالحياة" [3].

ولعل ما كتبه تمام حسان عن الإيقاع في القرآن من أجمل ما كتب وأكثره علمية ودقة، كما هي عادة الدكتور تمام حسان في كتاباته، وهو في حقيقة الأمر يفرق بين "الوزن" في الشعر

---

(1) نعيم اليافي، عودة إلى موسيقى القرآن،ص٥٨.

(2) المرجع السابق، ٥٩.

(3) نعيم اليافي، ثلاث قضايا حول الموسيقى في القرآن، ٩٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و"التوازن " في النثر، وهذا التوازن الذي يتعرض لـه يعتمـد علـى فهـم واضح للمقـاطع في اللغـة العربية، ليكون بدوره مدخلاً لفهم النبر.

يقول تمام حسان: " لقد جعلنا من عادتنا العقليـــــة أن نحكـــم الربط بين مصطلـــح " الإيقاع" والشعر الموزون فنقول: "إيقاع الشـعر" ونحن نعني " وزن الشعر"، ولم تعرف تقاليدنا الفكرية إدراك الرابطة التي تربط الإيقاع بصور التعبير الأخرى بل إننا كلما تمثلت ظاهرة الإيقـاع لإدراكنا غلفناها بطائفة من الصور المجازية في التعبير عنهـا. نحن نحاول أن نكشـف عن الظـاهرة كشفاً علمياً، وأن نخضعها لنوع من الوصف يجعل الكلام عنها من قبيل الحقيقـة وليـس مـن قبيـل المجاز، إن المدخل إلى دراسة الإيقاع لا يكون إلا من خلال معرفة المقاطع اللغويـة العربيـة المختلفـة الكميات، وما يتصل بذلك من قواعد النبر في الكلام"[1].

ويحدد الإيقاع النثري أكثر فـأكثر فيقـول:" .. فقـد يكـون بين النـبرين مقطـع واحـد أو مقطعان أو ثلاثة على أكثر تقدير، دون أن يقع النبر على أحد هـذه الثلاثـة [2]. وهـذا التشـابه أو قرب الشبه بين كميات المسافات يمنح الإذن إحساساً بالإيقاع" [3].

إذن فالإيقاع عند تمام حسان يعتمد على المسافات بين نبر وآخر، " كلما تقـاربت أعـداد المقاطع بين النبرين أو انتظم اختلاف بعضها عن بعض حســن إيقاعهـا" [4] ونـراه يضـرب الأمثلـة على ما ذهب إليه ويخضع أمثلة من النص القرآني لقواعد النبر مع بيان مقاطع النـص، فيضـع يـده على أهم مكامن الإيقاع في القرآن الكريم.

وعالج كمال بو خريص الإيقاع في القرآن الكريم من خلال ثلاثية يراها متلازمـة: اللغـة، الإيقاع، النص القرآني، وهو يقول " يشكل تقاطع هذه العناصر وتداخلها اللبنة الأصل التي منهـا ننطلق، وفي ضوئها نسير، وبها نحدد أهدافنا"[5] .

ثم درس في (جـزء عـم) بـروز الخصـائص الإيقاعيـة، مـن خـلال طـول الآيـات، وطبيعـة التراكيب، وتعرض لبحث الوزن والمقاطع، والفاصلة والترداد والاشتقاق، بوصفها أهـم مكونـات الإيقاع القرآني، ويعتبر جهده خطوة هامة في الدراسات المتكاملة لهذا الموضوع .

---

(1) تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ٢٥٧.

(2) سيتم تعريف النبر وأنواعه في فصل " إيقاع النبر".

(3) تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ٢٦٧.

(4) المرجع السابق، ٢٦٧.

(5) كمال بو خريص، خصائص الإيقاع في القرآن،٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في جولتنا السريعة على بعض من بحثوا الإيقاع من المحدثين للحظ تطور مفهوم الإيقاع القرآني من الحديث العام الذي يتناول الإيقاع في معرض التحدي وبالمفهوم غير الدقيق كما تناوله القدماء إلى الفهم الجلي. فتراكم مجهود الباحثين أدى إلى التعامل مع مفهوم الإيقاع القرآني بطريقة علمية، إذ اخذوا يجلّون لنا مفهوم الإيقاع، ومظاهره والوظائف التي يقوم بها، حتى غدا الإيقاع من الموضوعات الشائقة، والحق أنهم قد استفادوا من جهود القدماء لكنهم تجاوزوها إلى التفصيل الدقيق، إذ بحثوا الإيقاع في الحركات والحروف والترتيل والنبر والمقاطع والصيغ والتراكيب، وهذا كله فضلا عن إيقاع الفاصلة القرآنية وإيقاع السياق، كما سيبينه الباحث –إن شاء الله – بالتفصيل في الباب الثاني.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الباب الثاني

مظاهر الإيقاع في القرآن الكريم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مظاهر الإيقاع في القرآن الكريم

يعد الإيقاع من أهم مكونات النظم القرآني، وخصيصة مهمة في تشكيل أدائه ، وهو عامل جمالي في المظهر الصوتي للقرآن الكريم، له دوره الجليل في تمييز النص الكريم عن النصوص الأخرى، إذ إن توقيع مكونات النص بطريقة خاصة، تكسبه سمتاً لغوياً يتوافق مع غايات القرآن الكريم الموضوعية والمعنوية.

وينظر الباحث إلى الإيقاع في القرآن الكريم على أنه :

تواترات صوتية وأسلوبية في نظم القرآن الكريم ، تبدو أحياناً على شكل تردد بسيط واضح ، وأحياناً على شكل تردد معقد ومتعدد ، ينطوي على التوازي والانتظام، وأحياناً يخالف التوقع لغاية يتطلبها النظم ، وهذا الإيقاع يشمل النص الكريم ابتداءً من اللبنات الصوتية الصغيرة ، وانتهاءً بالتراكيب والسياقات الكبيرة.

ويمكن أن نضرب مثلاً لجمال التوقيعات في القرآن الكريم ببناء عجيب الصنعة، وقصر بديع التقاسيم، حيث نجد التوقيع والتكرار والجمال ينتظم الفسيفساء الدقيقة ، والقناديل المضيئة، والنوافذ البهية، والأقواس والواجهات والأجنحة، فيضفي هذا التناسق والتكامل والتدرج البهاء والجلال والجمال على هذا البناء العجيب، والقصر البديع .

وسيعالج الباحث مظاهر الإيقاع في القرآن الكريم من خلال ثمانية فصول :

الفصل الأول : إيقاع الحروف.

الفصل الثاني : إيقاع المقاطع.

الفصل الثالث : إيقاع النبر.

الفصل الرابع : إيقاع الترتيل .

الفصل الخامس : إيقاع الكلمات.

الفصل السادس : إيقاع الفاصلة.

الفصل السابع : إيقاع التراكيب.

الفصل الثامن : إيقاع السياق .

وهذه الفصول تركز بشكل أساسي على المظاهر الصوتية المنطوقة، وتتعرض أحياناً للمظاهر الإيقاعية الدلالية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

إيقـــاع الحـــروف

مقدمـــة

تتكون اللغة المنطوقة من مجموعة من اللبنات الصوتية، ذات العـدد المحـدود، لكـن طريقـة ترتيبها وترابطها هو الذي يكوّن الألفـاظ والكلمـات، وبعـدد غـير محـدود مـن التشـيكلات، مـع إمكانية الإبداع والإحداث في كلمات اللغة.

وهـذه اللبنـات الصوتيـة المحـدودة هـي مـا يعـرف في علـم اللغـة الحديـث بالفونيمـات ، والفونيم: "أصغر وحدة صوتية لها دورها في تغيير المعنى ولها صفاتها المميزة" [1]، ومفهوم الفونيـم يشـمل الصوائت والصوامت، والصوائت هي حـروف العلـة الطويلـة والقصـيرة، الألـف، والـواو والياء المديتان، والفتحة والضمة والكسرة، أما الصوامت فهي الوحـدات الصوتيـة الباقيـة الهمـزة والباء والسين والكاف. وعلينا هنا أن نشير إلى أمور عدة:

١- إن الواو والياء تكونان تارة من الصوائت، وتارة أخرى من الصوامت، ففي الحالـة الأولى تكونان مديتين كما في قولنـا: (دروس، عليـم)، وتكونـان مـن الصوامـت كمـا في قولنـا: (ولـد، يدفع).

٢- إن الوحدات الصوتية التي نتعامل معها في بحثنا هي الوحدات المنطوقة، وليس بـالضرورة أن يكون لها رمز كتابي مثل العلل القصار (الفتحة والضمة والكسرة) وقد يحذف رمزها الكتـابي مثل المد في (ذلك) .

٣- استخدم رمز الألف في الكتابة العربية للدلالة على فونيمـين مختلفين، همـا فونيـم الهمـزة كما في قولنا: (أسد)، وفونيم الألف المدية كما في قولنا : (حال).

٤- هناك رموز كتابية لا تنطق، مثل الألف في: (درسوا)، أو الواو في: (أولئك).

و " في موازنة بين الأصوات الصائتة (اللينة) وبين الأصوات الصامتة (الساكنة) نجـد أن نسبة شيوع الأولى في اللغة أكثر، وتتجاوز نسبتها الأربعين في المائة، ووضوحهـا في السـمع أبعـد، فهي تسمع من مسافة أطول، وتأتي الفتحة في مقدمتها، فالضمة فالكسـرة، والفـروق بينهـا وبـين

---

[1] مصطفى حركات، اللسانيات العامة وقضايا العربية، ١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مثيلاتها في اللغات أكبر، وهذه الحقائق الثلاث تنتهي بنا إلى مقولة عامة تلك أن أصوات اللين هي التي تكسب اللغة طبيعتها، وتحدد إلى حد بعيد طرازها الصوتي" [1].

صفات الحروف ومخارجها:

نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، فكانت سماته هي سمات العربية الفصيحة من حيث الصفات والمخارج، وفي حديث محمد المبارك عن الخصائص الصوتية للغة العربية يشير إلى واحدة من صفات الحروف العربية وهي توزعها في أوسع مدرج صوتي عرفته اللغات، من الشفتين إلى أقصى الحلق، بيد أن اللغات الأخرى غير العربية تتوزع حروفها في نطاق أضيق، وفي مدرج أقصر، مما يؤدي إلى ضيق الأفق الصوتي [2]. وهذا القول يحتاج إلى مزيد من البحث للوقوف على دقته.

والقرآن بنظمه الفريد تجاوز السمت المعتاد في طراز العربية وحلق في أجواء رائعة من توظيف الأصوات لتؤدي دوراً جمالياً خاصاً بنسيج القرآن المتفرد، " دع القارئ يقرأ القرآن، يرتله حق ترتيله ... ثم انتبذ منه مكاناً قصياً، لا تسمع فيه جرس حروفه، ولكن تسمع حركاتها وسكناتها، ومداتها وغناتها، واتصالاتها وسكناتها. ثم ألق سمعك إلى هذه المجموعة الصوتية وقد جردت تجريداً، وأرسلت ساذجة في الهواء، فتجد نفسك منها بإزاء لحن غريب عجيب، لا تجده في كلام آخر، لو جرد هذا التجريد، وجُوّد هذا التجويد، هذا الجمال التوقيعي في لغة القرآن لا يخفى على أحد ممن يسمع القرآن، حتى الذين لا يعرفون لغة العرب، فكيف يخفى على العرب أنفسهم" [3].

وقد يعزى هذا الجمال الصوتي إلى حسن المناسبة بين الحروف في النظم القرآني، أي أن تتابع صفات الحروف هو الذي يعطي هذه التشكيلة المميزة من النظام الصوتي، " وقد حاول ابن سنان الخفاجي أن يدرس أصوات الألفاظ وأن يحدد عناصر الجمال الصوتي البحت فيها، ويبدو أنه انتهى إلى أن حسن الألفاظ يرجع إلى بعد مقاطعها (تأليفها من حروف متباعدة في المخرج)، ولكننا نجد ابن الأثير يقطع عليه هذا الطريق حين يجعل حاسة السمع هي الحكم في هذا المقام بحسن ما يحسن من الألفاظ، وقبح ما يقبح" [4].

---

(1) نعيم اليافي، حروف القرآن دراسة دلالية في علمي الأصوات والنغمات، ١٠٣.

(2) محمد المبارك، خصائص العربية ومنهجها الأصيل في التجديد والتوليد، ١٦.

(3) محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، ٩٤.

(4) عز الدين اسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي، ٢٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن ناحية يذهب الرافعي أيضاً إلى دور مخارج الحروف وصفاتها في تكوين موسيقى القرآن، وأن هذه المخارج وتلك الصفات تتجاوب فيما بينها، على نحو ليس في المعتاد من كلام الناس " وحسبك بهذا اعتباراً في إعجاز النظم الموسيقى في القرآن، وأنه مما لا يتعلق به أحد، ولا يتفق على ذلك الوجه الذي هو فيه إلا فيه، لترتيب حروفه باعتبار من أصواتها ومخارجها، ومناسبة بعض ذلك لبعضه مناسبة طبيعية في الهمس والجهر، والشدة والرخاوة، والتفخيم والترقيق، والتفشي والتكرار" [1].

والقرآن الكريم لا يقف عند الجمال الصوتي الظاهري فحسب، وإنما يجمع إليه حسن التركيب ورِفْعة المعنى، ودقة التصوير، ولطف التعبير عما في النفس الإنسانية، يقول نعيم اليافي:"نحن نعرف أن الحروف كالنغمات الموسيقية لا قيمة لها إلا إذا انتظمت في كلمات أو أقدار، انتظمت في تراكيب لتؤلف لحناً قوامه – في اللغة وفي الموسيقى – أصوات ذات نسب ودرجات ومخارج وأبعاد تناسب ما في النفس الإنسانية من مشاعر وأحاسيس، ... وهل يكون هذا بغير جهر وهمس شدة ورخاوة وتفخيم وترقيق وتفشّ وتكرير وإدغام وإقلاب بلغة التجويد والترتيل" [2].

ولنأخذ مثالاً من القرآن الكريم ونلاحظ قدرة الحروف والكلمات على تشكيل رَتْل من الأصوات المتناسقة من حيث ترتيبها، القادرة على إطلاق الصورة المرادة: ﴿ *وذرني والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلاً ۞ إن لدينا أنكالاً وجحيما ۞ وطعاماً ذا غصة وعذاباً أليما ۞ يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيباً مهيلاً* ﴾ المزمل ١١-١٤.

هناك "ثلاث خصائص للحروف وأصواتها ترجع إليها موسيقى النغم في القرآن الكريم: "أولاها حلاوة الجرس، وثانيها عدم التنافر، وثالثتها التجاوب، نريد بالصفة الأولى أن الحروف تملك حساً أليفاً محبباً في القلوب، ونريد بثانيها أنها ليست ثقيلة في النطق، ونريد بالصفة الثالثة: أن الحروف في ترتيبها وصياغتها تتداخل، ويأخذ بعضها برقاب بعض وكأنما يطلب أحدها الآخر أو يجذبه" [3].

ولا تغيب أهمية صفات الحروف وجرسها في إنشاء التوقيع الصوتي في القرآن الكريم، إذ تتعاضد صفات الحرف مع صفات مجاوره من ناحية، ويقوم تباين المخرج من حرف لآخر بإظهار شخصية الحروف لتؤدي دورها الصوتي من ناحية أخرى.

---

[1] مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العربية، ٢/٢٤٣.

[2] نعيم اليافي، حروف القرآن: دراسة دلالية في علمي الأصوات والنغمات، ١٠٤.

[3] المرجع السابق، ١٠٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تـــرداد الحـــروف

ورد معنا أن اختلاف ارتباط الفونيمات هو الذي يشكل ألفاظ اللغة وكلماتها. ولكن تردد الفونيمات ليس متساوياً في الاستخدام اللغوي، فبعض الفونيمات أكثر ترداداً من غيرها، وهذا هو الذي يحدث في القرآن الكريم.

"إن الحروف التي أكثر القرآن الكريم من استعمالها هي حروف المد اللينة (الألف والواو والياء) والنون والميم والهمزة والهاء والياء والتاء، وهي حروف يتسم معظمها – إذا استعملنا مصطلحات علم التجويد – بالرخاوة والاستفال والانفتاح، ويتسم أقلها بالجهر والشدة ، إنها حروف سلسة، تساعد في أصواتها وتناغمات هذه الأصوات على إيجاد ذلك اللحن الأثيري من الموسيقى الساحرة التي سكبها في حروف اللغة" [1].

إضافة إلى ما أشار إليه نعيم اليافي في حديثه عن أكثر الفونيمات تردداً في القرآن الكريم، فقد توصل أيضاً على حلمي موسى إلى أن اللغة العربية تؤثر ترديد الأصوات السائلة أو المائعة (المتوسطة بين الشدة والرخاوة) أكثر من غيرها، وهي الأصوات (ر،م،ن،ل) على الترتيب، فهي المجموعة العالية الشيوع في الجذور الثلاثية. [2]

وقد أجرى الباحث دراسة إحصائية على ثلاث عينات من القرآن المكي، تمثل إحداها ما نزل في أول العهد المكي، وأخرى تمثل العهد المكي الوسيط، أما الثالثة فكانت من العهد المكي المتأخر وهي:

أ – من العهد المكي الأول : سورة "العلق".

ب – من العهد المكي الوسيط : الآيات ٩٦–١٠٤ من سورة "الأعراف".

جـ– من العهد المكي المتأخر : الآيات ١–١٧ من سورة "المؤمنون".

وكان الغرض من هذه الدراسة الوقوف على طريقة القرآن في استخدام الوحدات الصوتية، وايها أكثر شيوعا: الصوائت أم الصوامت، وما نسبة ترداد كل فونيم في الصوائت والصوامت في العينات المختارة لإجراء الدراسة.

---

[1] نعيم اليافي، حروف القرآن: دراسة دلالية في عملية الأصوات والنغمات، ١٠٤ .

[2] علي حلمي موسى، استخدام الآلات الحاسبة في دراسة ألفاظ القرآن الكريم، ١٦٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد راعت الدراسة نطق القرآن لا رسمه، أي كما يتلى عند اتباع قواعد التجويد، وكذلك مراعاة السكون على أواخر الآي وتوصل الباحث إلى الأمور التالية:

نسبة الصوائت إلى مجموع الفونيمات ٤١ر٩١ ٪

نسبة الصوامت إلى مجموع الفونيمات ٥٨ر٠٩ ٪

ويظهر من هذه النتيجة أن الصوائت الستة احتلت نسبة ٤١ر٩١٪ من مجموع الفونيمات رغم أن عددها ستة من أصل أربعة وثلاثين فونيماً أي ما نسبته ١٧ر٦٥٪ فقط. وهذا يدل على نسبة التردد العالية للصوائت في العينة.

وعند النظر إلى نسبة كل صائت من الصوائت مأخوذة من العدد الكلي للصوائت الواردة في العينات نجد الآتي:

نسبة الفتحة إلى مجموع الصوائت	٤٨ر٧٢٪
نسبة الكسرة إلى مجموع الصوائت	١٨ر٠٣٪
نسبة الألف إلى مجموع الصوائت	١٥ر١٠٪
نسبة الضمة إلى مجموع الصوائت	١٠ر٩٧٪
نسبة الواو المدية إلى مجموع الصوائت	٤ر١٤ ٪
نسبة الياء المدية إلى مجموع الصوائت	٣ر٠٤ ٪

وهي مرتبة تنازلياً حسب نسبة شيوعها.

وهذا يعني أن النص القرآني يستخدم في العينة الفتحة بنسبة عالية جداً عند مقارنتها بالصوائت الأخرى. وإذا أضفنا إلى الفتحة القصيرة الفتحة الطويلة (الألف) صار مجموع نسبتهما ٦٣ر٨٢٪. وهي ظاهرة جديرة بالملاحظة والدرس. ولعل سبب هذه الظاهرة هو سهولة نطق الفتحتين القصيرة والطويلة مقارنة بنطق بقية الصوائت وكثرة استخدامها في الصيغ الصرفية والأسماء والمشتقات، كما يمكننا أن نلاحظ بسهولة أن الألف تستخدم أكثر من ثلاثة أضعاف استخدام الواو المدية، وخمسة أضعاف استخدام الياء المدية وللسبب ذاته.

أما الصوامت فقد وجد الباحث أنها تحتل النسب التالية، وهي مرتبة تنازلياً من الأكثر شيوعاً إلى الأقل:

١- نسبة شيوع اللام إلى مجموع الصوامت	١٥ر٠٣٪
٢- نسبة شيوع النون إلى مجموع الصوامت	١٢ر١٣٪
٣- نسبة شيوع الميم إلى مجموع الصوامت	١٠ر١٠٪
٤- نسبة شيوع الهمزة إلى مجموع الصوامت	٨ر٠٨ ٪

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥- نسبة شيوع الهاء إلى مجموع الصوامت ٥ر٢٧ ٪

٦- نسبة شيوع الواو إلى مجموع الصوامت ٥٧ر٤ ٪

٧- نسبة شيوع الراء إلى مجموع الصوامت ٤٨ر٤ ٪

٨- نسبة شيوع الباء إلى مجموع الصوامت ٤٠ر٤ ٪

٩- نسبة شيوع العين إلى مجموع الصوامت ٠٤ر٤ ٪

١٠-نسبة شيوع الياء إلى مجموع الصوامت ٨٧ر٣ ٪

١١-نسبة شيوع التاء إلى مجموع الصوامت ٦١ر٣ ٪

١٢-نسبة شيوع الكاف إلى مجموع الصوامت ٥٠ر٣ ٪

١٣-نسبة شيوع القاف إلى مجموع الصوامت ٤٣ر٣ ٪

١٤-نسبة شيوع الفاء إلى مجموع الصوامت ٢٥ر٣٪

١٥-نسبة شيوع السين إلى مجموع الصوامت ٣٧ر٢ ٪

١٦-نسبة شيوع الذال إلى مجموع الصوامت ١١ر٢ ٪

١٧-نسبة شيوع الدال إلى مجموع الصوامت ٩٣ر١ ٪

١٨-نسبة شيوع الخاء إلى مجموع الصوامت ٤١ر١ ٪

١٩-نسبة شيوع الثاء إلى مجموع الصوامت ١٤ر١ ٪

٢٠-نسبة شيوع الطاء إلى مجموع الصوامت ٧٩ر٠ ٪

٢١-نسبة شيوع الغين إلى مجموع الصوامت ٧٠ر٠ ٪

٢٢-نسبة شيوع الجيم إلى مجموع الصوامت ٧٠ر٠ ٪

٢٣-نسبة شيوع الصاد إلى مجموع الصوامت ٧٠ر٠ ٪

٢٤-نسبة شيوع الحاء إلى مجموع الصوامت ٦٢ر٠ ٪

٢٥-نسبة شيوع الظاء إلى مجموع الصوامت ٥٣ر٠ ٪

٢٦-نسبة شيوع الضاد إلى مجموع الصوامت ٥٣ر٠ ٪

٢٧-نسبة شيوع الزاي إلى مجموع الصوامت ٤٤ر٠ ٪

٢٨-نسبة شيوع الشين إلى مجموع الصوامت ٢٧ر٠ ٪

ويمكننا بناءً على نتائج الدراسة أن نقسم الصوامت في العينة إلى ثلاث فئات:

أ - الصوامت العالية الشيوع والتردد، وهي التي تزيد نسبة شيوعها على ٤٪ وعددها تسع وهي: اللام، النون، الميم، الهمزة، الهاء، الواو، الراء، الباء، العين، ويبلغ مجموع نسب شيوعها ١٠ر٦٨٪.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب – الصوامت المتوسطة الشيوع، والتي تتراوح نسب شيوعها من ١٪ – ٩٩ر٣٪ وعددها عشر، وهي: الياء، التاء، الكاف، القاف، الفاء، السين، الذال، الدال، الخاء، الثاء، ويبلغ مجموع نسب شيوعها ٦٢ر٢٦٪.

جـ – الصوامت القليلة الشيوع، والتي تقل نسبة شيوعها عن ٩٩ر٠٪ وعددها تسع وهي: الطاء، الغين، الجيم، الصاد، الحاء، الظاء، الضاد، الزاي، الشين، ويبلغ مجموع نسب شيوعها ٢٨ر٥ ٪ فقط.

وعند النظرة الشمولية إلى نسب شيوع الصوائت والصوامت يمكننا أن نشير إلى الظواهر التالية :

١– إن القرآن الكريم يوظف الصوائت بأشكالها الستة لتكون صلة الوصل الجميلة بين الصوامت، ولما لها من أثر في وضوح النص وموسيقاه، " والمد أغنى تلك الظواهر [١] بالموسيقى، لأنه امتداد اللفظ بالصوت لعلة في الصيغة. وهذه الزيادة المذكورة هي المهمة في قيمة العبارة القرآنية موسيقياً، فالمد يمنح اللفظ القرآني أبرز خصائصه الموسيقية، ودرجات من التنويع والوحدات الزمنية في مسموع صوته" [٢].

٢– يود الباحث هنا أن يشير إلى ظاهرتين في علم التجويد لهما صلة وثيقة بالصوائت، هما ظاهرتا الروم والإشمام. والروم: اللفظ ببعض الصائت القصير عند الوقف، ويقع على أواخر الكلم المضموم والمكسور، أما الإشمام فهو الإشارة بالشفتين إلى الضمة عند الوقوف عليها.

قال الإمام ابن الجزري في "طيبة النشر":

والأصل في الوقف السكون ولهم ... في الرفع والضم اشمه ورم

وامنعهما في النصب والفتح بلى ... في الجر والكسر يرام مسجلاً

والروم الاتيان ببعض الحركة ... إشمامهم إشارة لا حركة [٣]

وهاتان الظاهرتان تسهمان في توضيح المعنى بدلالة الحركة الإعرابية على أواخر الكلم، وفي إسماع أصوات التلاوة، "واختيار من اختار من القراء الروم يزيد في أصوات التلاوة للنص ألواناً من الإيقاع ذات درجات، ليس وراء ذلك مطلب لمن حرص على إيضاح أصوات لغته المنطوقة .."[٤].

---

(١) المقصود بتلك الظواهر: المد والإمالة والإدغام والهمز والوقف.

(٢) محيي الدين رمضان، وجوه من الإعجاز الموسيقي في القرآن، ٧٧.

(٣) ابن الجزري، طيبة النشر في القراءات العشر، ٥٦.

(٤) محيي الدين رمضان، وجوه من الإعجاز الموسيقي في القرآن، ٩٧–٩٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والروم يعتمد على حاسة السمع، أما الإشمام فيعتمد على حاسة النظر.

٣- ٢٧٪ من الصوامت تجرّدت من الصوائت أيْ كانت ساكنة حسب تعبيرنا المعتاد. ووقوع السكون على الصوامت يسهم في تكوين أنماط معينة من المقاطع اللغوية كما سيمر معنا في إيقاع المقاطع. وكما أن تردد الصوائت والصوامت يسهم في صناعة الإيقاع الداخلي للقرآن، فكذلك حالات السكون تسهم في الأمر ذاته.

٤- النون والميم هما أكثر الصوامت دوراناً في الفاصلة، ومن الطريف أن نلاحظ أن النون والميم هما أطول الصوامت العربية من حيث المدة الزمنية التي يستغرقها كل منهما في النطق. والنون والميم هما الصوتان الأنفيان في العربية، ويتمتعان لذلك بميزة موسيقية ظاهرة في الغنة التي تنشأ من ضغط الهواء الخارج من الرئتين بالفم عن النطق بأحدهما، فيخرج الهواء من الأنف[1]. هذا وسيكون لنا حديث آخر عن النون والميم عند تناول الفاصلة القرآنية بالدرس والتحليل.

٥- تزيد نسبة تردد بعض الفونيمات في مواقع معينة لأغراض تتناسب والمعنى الوارد في السياق وحلاوة الفاصلة، ومن الأمثلة على ذلك زيادة الصوائت في بعض المواضع، وفي الموضع الذي سنستشهد به الآن زادت نسبة فونيم الياء المدية على وجه الخصوص، فالمقام مقام رخاوة ونداوة وهدوء وسكينة: ﴿*يا أيتها النفس المطمئنة ۞ ارجعي إلى ربك راضية مرضية ۞ فادخلي في عبادي ۞ وادخلي جنتي*﴾ الفجر ٢٧- ٣٠.

وكذلك فونيم السين الصفيري، في أجواء الوسوسة والهمس الداخلي، وحديث النفس: ﴿*قل أعوذ برب الناس ۞ ملك الناس ۞ إله الناس ۞ من شر الوسواس الخناس ۞ الذي يوسوس في صدور الناس ۞ من الجنة والناس*﴾ سورة الناس.

وتردد فونيم الألف الممطولة بسبب السكون بعدها ليرسم الصورة المرادة ليوم القيامة: ﴿*الحاقة ۞ ما الحاقة ۞ وما أدراك ما الحاقة*﴾ الحاقة ١-٣.

٦- وعند المقارنة بين فواصل القرآن المكي وفواصل القرآن المدني نجد أن الأولى اعتمدت "كثيراً على الألف، وهو حرف يمتد وينطلق مع النفس ليحدث تآلفاً وتناغماً في الأصوات في حين اعتمدت فاصلة الآيات المدنية كثيراً على الواو أو الياء مع النون أو الميم، وجميعها حروف تضبط نهاية اللحن وتحدده بسكونها المقيد"[2].

٧- وكما مر معنا فإن المدود تأتي لتزيد الرصيد الموسيقي للنص القرآني ولتسهل النطق بالهمز أو نطق الحرف الساكن بعد المد، ومثال ذلك ﴿*قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء*

---

(١) هايل الفقرا، ظاهرة الانسجام الصوتي في القرآن الكريم، ٢٠٦.

(٢) نعيم اليافي، حروف القرآن، ١٠٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذين اغوينا، اغويناهم كما غوينا، تبرانا إليك، ما كانوا إيانا يعبدون ﴾ القصص ٦٣، وكذلك قوله تعالى : ﴿ *قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين ۞ قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم ۞ وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك ۞ فإذا هي تلقف ما يأفكون* ﴾ الأعراف ١١٥ -١١٧.

٩- أكثر الحروف سكوناً هي اللام والميم والنون، وسبب ذلك ارتفاع نسبة ورود أل التعريف " القمرية"، وفي أسماء الإشارة مثل الذي والذين، وكذلك اللام الساكنة في لفظ الجلالة " الله "، وأما فيما يخص النون والميم فهو السكون عليهما في فواصل الآي، وكثرة الميم الساكنة في ضمير "هم" المنفصل والمتصل، وكذلك ميم الجمع الساكنة في مثل " بيوتكم" و" ربكم" " قلوبهم".

وكذلك النون الساكنة في " أنْ" و "إنْ" "أنْ" والتنوين وهو كالنون الساكنة في اللفظ.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

إيقـــاع المقاطـــع

تمثل المقاطع النسيج الفعلي للغة، وهي بطبيعة تشكيلها وتتابعها تعطي اللغة سمتها وطابعها في النطق والسماع، فتمثل بذلك الطراز اللغوي.

وعلى الرغم من التشابه بين بعض المقاطع في اللغات المتعددة، إلا أنه يوجد لكل لغة خصوصيتها النابعة من طريقة استخدام الناطقين بها للمقاطع الصوتية، وتميزهم عن غيرهم في انتحاء مذهب في الأداء اللغوي.

ويزداد الأمر خصوصية في الكتاب العزيز، " ولو تدبرت ألفاظ القرآن في نظمها لرأيت حركاتها الصرفية واللغوية تجري في الوضع والتركيب مجرى الحروف أنفسها فيما هي له من أمر الفصاحة فيهيء بعضها لبعض، ويساند بعضها بعضاً، ولن تجدها إلا مؤتلفة مع أصوات الحروف، مساوقة لها في النظم الموسيقي، حتى إن الحركة ربما كانت ثقيلة في نفسها لسبب من أسباب الثقل أيها كان، فإذا استعملت في القرآن رأيت لها شأناً عجيباً، ورأيت أصوات الأحرف والحركات التي قبلها قد امتهدت لها طريقاً في اللسان واكتنفتها بضروب من النغم الموسيقي، حتى إذا خرجت فيه كانت أعذب شيء وأرقه، وجاءت متمكنة في موضعها، وكانت لهذا الموضع أولى الحركات بالخفة والروعة"[1].

بل إن تمام حسان يرى " أن المدخل إلى دراسة الإيقاع لا يكون إلا من خلال معرفة المقاطع الصوتية العربية المختلفة الكميات"[2]، لذا كان لزاماً أن ندرس المقاطع الصوتية وأنواعها، وكيف جاءت في القرآن الكريم لتحقق الانسجام الصوتي والجمال في الأداء، مع محاولة للكشف عن العلاقة بين نسبة استخدام هذه المقاطع المختلفة مع الموضوعات المتعددة.

---

(1) الرافعي، تاريخ آداب العرب، ٢/٢٢٧.

(2) تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ٢٥٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعريف المقاطع الصوتية

من المعلوم أن اللغة تتكون من مجموعة من الأصوات أو اللبنات، التي سبق أن أسميناها "فونيمات"، وعند الكلام تترتب هذه الفونيمات في النطق لتحقيق مفردات اللغة وجملها، حتى يعبر مستعمل اللغة عن مراده.

والنطق باللغة لا يتخذ صفة الاتصال الصوتي التام، بل إن الناطق باللغة لا بد أن يترك سكتات لطيفة بين المقاطع الصوتية المنطوقة حتى يتبين السامع طبيعة الفونيمات وأنواعها ليدرك المراد ممن يخاطبه.

وتعريف المقطع: " ما يقع من السلسلة الكلامية بين وقفتين، فحدّا " المقطع" هما لحظتا الصمت اللتان تسبق إحداهما الشروع في التلفظ بالكلام وتلي الثانية نهايته" [1].

وفونيمات العربية تتكون من ثمانية وعشرين صامتاً وستة صوائت (العلل). ويبتدئ المقطع في الفصحى بصامت [2]، كما لا بد لكل مقطع من وجود صائت فيه يمثل نواة المقطع، وقد يكون الصائت حرف علة قصيراً أو طويلاً.

وقبل أن نبين أنواع المقاطع في العربية، سنرمز للصامت بالرمز ((ص))، وللصائت القصير " العلة القصيرة" بالرمز ((ع))، وللصائت الطويل " العلل الطوال أو حروف المد" بالرمز ((ع ع)) [3]. وعليه فإن أنواع المقاطع في العربية [4]:

١-	صامت + صائت قصير	ص ع	قصير مفتوح مثل مقاطع "كَتَبَ ".
٢-	صامت + صائت قصير + صامت	ص ع ص	قصير مغلق مثل " قَد".
٣-	صامت + صائت طويل	ص ع ع	طويل مفتوح مثل " ما".
٤-	صامت + صائت طويل + صامت	ص ع ع ص	طويل مغلق مثال " سار ".
٥-	صامت + صائت قصير + صامت + صامت	ص ع ص ص	مديد قصير الصائت [5] -- مثل "بنت".
٦-	صامت + صائت طويل + صامت + صامت	ص ع ع ص ص	مديد طويل الصائت مثل "ضالّ".

٥٠٨٣١٧

---

(١) عبد العزيز حليلي، البنية المقطعية العربية، ٤٤.

(٢) المصدر السابق، ٥٤.

(٣) هذا لا يعني بالضرورة أن حرف العلة الطويل يساوي ضعف حرف العلة القصير، أو أن حرف العلة الطويل يساوي الصامت.

(٤) انظر عصام أبو سليم، الأنماط المقطعية في اللغة العربية، ١٨٦. وتمام حسان، البيان في روائع القرآن، ٢٦١، وعبد العزيز حليلي، البنية المقطعية العربية، ٤٤ وغيرهم.

(٥) مصطلح خاص بالبحث حيث لم أقف على مصطلح يفي بالغرض، والمقصود هنا المقطع الذي ينتهي بصامتين.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نلاحظ أن كل مقطع من مقاطع الأصوات يحتوي على صائت وهذا يعني أن " عدد المقاطع في اللغة العربية يساوي عدد المصوتات فيها " [1].

هذا ولا ترد المقاطع المشار إليها بالنسب نفسها في السلسلة الكلامية. وإنما يشيع بعضها شيوعاً كثيراً، ويقل بعضها إلى حد الندرة، كما أن بعض المقاطع يرد بلا قيود من حيث موقعه، أما البعض الآخر فيخضع وروده لقيود خاصة.

وقد قام الباحث عصام أبو سليم بدراسة البنية المقطعية لجميع الكلمات الموجودة في معجم اللغة العربية المعاصرة فوجد أن " المقطع (ص ع) هو أكثر المقاطع تكراراً في الأنماط المقطعية في اللغة، وأن المقطع (ص ع ع ص ص) هو أقلها تكراراً. كما أظهرت الدراسة أن هناك قيوداً على توزيع المقاطع (ص ع ع ص) و (ص ع ص ص) و (ص ع ع ص ص) في كلمات اللغة، إذ إن وقوع المقطعين الأولين في نهاية الكلمة أكثر منه في أولها أو وسطها، في حين أن المقطع الثالث يقتصر وقوعه على نهاية الكلمة، أما في حالة المقاطع (ص ع) و (ص ع ع) و (ص ع ص) فلا توجد عليها مثل هذه القيود، إذ إنها توجد بحرية في اي مكان في الكلمة سواء أكانت الكلمة قصيرة أم طويلة " [2].

وهذه المقاطع تمثل البنى الفعلية للغة وليست الفونيمات المجردة، حيث لا ينطق بصامت دون أن يرافقه صائت في الاستخدام اللغوي، ثم "إن هنالك ميلاً غرزياً لتقبل كل كتلة من عدة مقاطع تشبه الفقرات القصار أو العبارات الصغيرة. فقد نسمع في عشر من الثواني ما يكاد يبلغ خمسين مقطعاً صوتياً تسمعها الأذن فتلتقطها كتلاً من المقاطع تطول أو تقصر، فإذا ترددت في أواخر هذه الكتل الصوتية مقاطع بعينها شعرنا بسهولة ترديدها، وأحسسنا بغبطة وسرور حين سماعها، وبعث هذا فينا الرضى والاطمئنان إليها "[3].

إن السكتات الواقعة بين المقاطع، وكذلك نهايات المقاطع المفتوحة أو المغلقة أو المقفولة[4] تسهم إسهاماً كبيراً في الإيقاع اللغوي، ويمكن أن تقدم خطوة أخرى فنقول إن هناك علاقة بين المقام وبين الأنماط المقطعية المستخدمة، وهذا ما سيشير إليه الباحث عند التحليل المقطعي لبعض النصوص القرآنية الكريمة.

---

(1) عبد العزيز حليلي، البنية المقطعية العربية، ٤٤.

(2) عصام أبو سليم، الأنماط المقطعية في اللغة العربية، ١٨٦.

(3) محمد الحسناوي، الفاصلة في القرآن، ١٧٦.

(4) اصطلاح يراد به المقاطع المنتهية بصامتين مثل (ص ع ص ص)و (ص ع ع ص ص).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والقدماء لم يدرسوا النثر على المستوى المقطعي، حيث " زعم بعض المستشرقين أن العرب جهلوا مفهوم المقطع الصوتي، وأن جهلهم لهذا المفهوم قلل من قيمة أعمالهم في ميادين اللغة والعروض" [1]، ولكن هؤلاء غفلوا عن احتفاء العروض بالمقاطع اللغوية لدراسة الوزن الشعري واستقامة نظمه. "وفائدته (العروض) أمْن المولد من اختلاط بعض بحور الشعر ببعض، وأمنه على الشعر من الكسر، ومن التغيير الذي لا يجوز دخوله فيه، وتمييزه الشعر من غيره كالسجع، فيعرف أن القرآن ليس بشعر" [2]، والعروض تعامَلَ مع المقاطع الصوتية بكفاية عالية واقتدار علمي سباق، إذ إن أُذُن الدارس العربي كانت تدرك الإيقاع الوزني في الشعر على نحو دفعها لتحليل الكميات الصوتية في بيت الشعر، وإجراء المقارنات بين بحور الشعر المختلفة، ولكنها لم تدرك الإيقاع بالوضوح ذاته في النثر، فكان الانتباه إلى البنى الصرفية والتراكيب النحوية، دون دراسة المقاطع الصوتية، وهذا الذي كان سائداً في دراسة بلاغة القرآن وأسلوبه.

تحليل مقطعي لبعض النصوص القرآنية:

سيجري الباحث تحليلاً مقطعياً لبعض النصوص القرآنية لإظهار التلاؤم الصوتي بين المقاطع، ولدراسة شيوع بعض أنواع المقاطع دون غيرها في السياقات المختلفة وتناسب ذلك مع المقام ، مع مراعاة اللفظ المنطوق، والسكون على أواخر الآيات .

أ – قال تعالى ﴿ *يا أيها المدثر ۞ قم فانذر ۞ وربك فكبر ۞ وثيابك فطهر ۞ والرجز فاهجر ۞ ولا تمنن تستكثر ۞ ولربك فاصبر*﴾ المدثر ١-٧، نجد أن مقاطع الآيات الكريمة كانت كالتالي:

الرقم	المقطع الصوتي	نوع المقطع كتابة	نوع المقطع رمزاً
١	يا	مقطع طول مفتوح	ص ع ع
٢	أَيْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٣	يُ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
٤	هَلْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٥	مُ دْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٦	دَ ثْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص

[1] مصطفى حركات، اللسانيات العامة وقضايا العربية، ٣٦.

[2] السيد احمد الهاشمي، ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، ٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرقم	المقطع الصوتي	نوع المقطع كتابة	نوع المقطع رمزاً
٧	ثِ زْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٨	قُمْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٩	فَ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
١٠	أنْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
١١	ذِ زْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
١٢	وَ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
١٣	رَ بْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
١٤	بَ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
١٥	كَ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
١٦	فَ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
١٧	كَبْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
١٨	بِرْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
١٩	وَ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
٢٠	ثِ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
٢١	يا	مقطع طويل مفتوح	ص ع ع
٢٢	بَ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
٢٣	كَ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
٢٤	فَ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
٢٥	طَهْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٢٦	هِرْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٢٧	وَ زْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٢٨	رُ جْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٢٩	زَ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
٣٠	فَـهْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٣١	جُرْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٣٢	وَ	مقطع قصير مفتوح	ص ع

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرقم	المقطع الصوتي	نوع المقطع كتابة	نوع المقطع رمزاً
٣٣	لا	مقطع طويل مفتوح	ص ع ع
٣٤	تَمْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٣٥	نُنْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٣٦	تَسْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٣٧	تَكْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٣٨	ثِرْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٣٩	وَ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
٤٠	لِ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
٤١	رَبْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٤٢	بِ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
٤٣	كَ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
٤٤	فَصْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٤٥	بِرْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص

احتوى النص على خمسة وأربعين مقطعاً توزعت على ثلاثة أنواع من المقاطع فقط حسب التالي:

نوع المقطع		عدد مرات الورود	النسب المئوية
قصير مفتوح	ص ع	١٧	٣٧٫٧٨٪
قصير مغلق	ص ع ص	٢٥	٥٥٫٥٦٪
طويل مفتوح	ص ع ع	٣	٦٫٦٦٪
المجمـوع		٤٥	١٠٠٪

تبدو واضحة النسبة العالية للمقطع القصير المغلق والتي زادت على النصف. بينما جاء المقطع القصير المفتوح في المرتبة الثانية، ولم يرد المقطع الطويل المفتوح سوى ثلاث مرات فقط أي (٧٪ تقريباً). ونلاحظ أن النص احتوى على المقاطع الأكثر انتشاراً في اللغة العربية وذلك تسهيلاً للنطق و طلباً للخفة و سرعة الإيقاع .

- All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد كان هذا النص من أوائل ما نزل من القرآن الكريم [1] ، عقب رؤية جبريل عليه السلام أثناء تحنث النبي –صلى الله عليه وسلم– وهو بغار حراء [2] ، إذن فالموقف جد لا هزل، والتبعة ثقيلة، والأمر شاق، والنص يحتوي الأمر بالقيام الدعوة والاستعداد لهذه المهمة العسيرة، " إنه النداء العلوي الجليل، للأمر العظيم الثقيل، نذارة هذه البشرية وإيقاظها، وتخليصها من الشر في الدنيا، ومن النار في الآخرة، وتوجيهها إلى طريق الخلاص .. وهو واجب ثقيل شاق، حين يناط بفرد من البشر .." [3].

لقد ناسبت المقاطع القصيرة المغلقة (ص ع ص) سرعة الإيقاع من ناحية، وجدية الأمر من ناحية، فهي مقاطع تنتهي بصوامت (ساكنة)، لا مجال فيها لتطويل الصوت أو تحريك الصامت " فالمقاطع المغلقة تستغرق في نطقها زمناً أقل من الزمن الذي تستغرقه المقاطع المفتوحة، ومن هنا كان استخدام المقاطع المغلقة يناسب لوناً من التعبير لا تؤديه المقاطع المفتوحة، والعكس صحيح" [4].

ب – قال تعالى ﴿ *طسم ۞ تلك آيات الكتاب المبين ۞ لعلك باخع نفسك ألاّ يكونوا مؤمنين ۞ إن نشأ ننزّل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين ۞ وما يأتيهم من ذكر من الرحمن مُحْدَثٍ إلا كانوا عنه معرضين ۞ فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤون* ﴾ الشعراء ١–٦.

الرقم	المقطع الصوتي	نوع المقطع كتابة	نوع المقطع رمزاً
١	طا	مقطع طويل مفتوح	ص ع ع
٢	سيمْ	مقطع طويل مغلق	ص ع ع ص
٣	ميمْ	مقطع طويل مغلق	ص ع ع ص
٤	تِلْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٥	كَ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
٦	ءآ	مقطع طويل مفتوح	ص ع ع

(١) ابن جزي الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، ١٦٠/٤.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، ٣٧٥١.

(٣) المرجع السابق، ٣٧٥٤.

(٤) محمود أحمد لحلة، دراسات قرآنية في جزء عم، ١١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرقم	المقطع الصوتي	نوع المقطع كتابة	نوع المقطع رمزاً
٧	يا	مقطع طويل مفتوح	ص ع ع
٨	تُلْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٩	كِ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
١٠	تا	مقطع طويل مفتوح	ص ع ع
١١	بِلْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
١٢	مُ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
١٣	بِيْ	مقطع طويل مغلق	ص ع ع ص
١٤	لَ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
١٥	عَلْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
١٦	لَ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
١٧	كَ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
١٨	با	مقطع طويل مفتوح	ص ع ع
١٩	خِ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
٢٠	عُنْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٢١	نَفْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٢٢	سَ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
٢٣	كَ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
٢٤	أَلْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٢٥	لا	مقطع طويل مفتوح	ص ع ع
٢٦	يَ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
٢٧	كو	مقطع طويل مفتوح	ص ع ع
٢٨	نو	مقطع طويل مفتوح	ص ع ع
٢٩	مُوْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٣٠	مِ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
٣١	نِيْ	مقطع طويل مغلق	ص ع ع ص
٣٢	إنْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرقم	المقطع الصوتي	نوع المقطع كتابة	نوع المقطع رمزاً
٣٣	نْ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
٣٤	شَأْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٣٥	نْ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
٣٦	نَزْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٣٧	زِلْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٣٨	عَ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
٣٩	لَيْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٤٠	هِمْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٤١	مِ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
٤٢	نَسْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٤٣	سَ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
٤٤	ما	مقطع طويل مفتوح	ص ع ع
٤٥	ءِ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
٤٦	ءآ	مقطع طويل مفتوح	ص ع ع
٤٧	يَ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
٤٨	تَنْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٤٩	فَ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
٥٠	ظَلْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٥١	لَتْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٥٢	أَغْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٥٣	نا	مقطع طويل مفتوح	ص ع ع
٥٤	قُ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
٥٥	هُمْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٥٦	لَ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
٥٧	ها	مقطع طويل مفتوح	ص ع ع
٥٨	خا	مقطع طويل مفتوح	ص ع ع
٥٩	ضِ	مقطع قصير مفتوح	ص ع

- All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرقم	المقطع الصوتي	نوع المقطع كتابة	نوع المقطع رمزاً
٦٠	عينْ	مقطع طويل مغلق	ص ع ع ص
٦١	وَ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
٦٢	ما	مقطع طويل مفتوح	ص ع ع
٦٣	يَأْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٦٤	تي	مقطع طويل مفتوح	ص ع ص
٦٥	هِمْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٦٦	مِنْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٦٧	ذِكْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٦٨	رِمْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٦٩	مِ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
٧٠	نَرْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٧١	رَخْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٧٢	ما	مقطع طويل مفتوح	ص ع ع
٧٣	نِ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
٧٤	مُخْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٧٥	دَ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
٧٦	ثِنْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٧٧	إِلْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٧٨	لا	مقطع طويل مفتوح	ص ع ع
٧٩	كا	مقطع طويل مفتوح	ص ع ع
٨٠	نو	مقطع طويل مفتوح	ص ع ع
٨١	عَنْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٨٢	هُ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
٨٣	مُغْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٨٤	رِ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
٨٥	ضين	مقطع طويل مغلق	ص ع ع ص
٨٦	فَ	مقطع قصير مفتوح	ص ع

- All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرقم	المقطع الصوتي	نوع المقطع كتابة	نوع المقطع رمزاً
٨٧	قَدْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٨٨	كَذْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٨٩	ذَ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
٩٠	بو	مقطع طويل مفتوح	ص ع ع
٩١	فَ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
٩٢	سَ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
٩٣	يَأْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٩٤	تي	مقطع طويل مفتوح	ص ع ع
٩٥	هِمْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٩٦	أَمْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٩٧	با	مقطع طويل مفتوح	ص ع ع
٩٨	ءُ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
٩٩	ما	مقطع طويل مفتوح	ص ع ع
١٠٠	كا	مقطع طويل مفتوح	ص ع ع
١٠١	نو	مقطع طويل مفتوح	ص ع ع
١٠٢	بِ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
١٠٣	هِي	مقطع طويل مفتوح	ص ع ع
١٠٤	يَسْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
١٠٥	تَهْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
١٠٦	زِ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
١٠٧	ءونْ	مقطع طويل مغلق	ص ع ع ص

يتكون النص من مائة وسبعة مقاطع صوتية، ورد فيها أربعة أنواع من المقاطع وحسب النسب المئوية التالية:

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نوع المقطـــع	عدد مرات الورود	النسبة المئوية
قصير مفتوح ص ع	٣٥	٪٣٢ر٧١
قصير مغلق ص ع ص	٣٩	٪٣٦ر٤٥
طويل مفتوح ص ع ع	٢٦	٪٢٤ر٣٠
طويل مغلق ص ع ع ص	٧	٪٦ر٥٤
المجمـــــــوع	١٠٧	٪١٠٠

نلاحظ أن المقطع الأكثر انتشاراً في النص كان القصير المغلق (ص ع ص)، تلاه القصير المفتوح حيث شكلا ما يقارب ٧٠٪ من مقاطع النص، ثم تلاهما الطويل المفتوح حيث مثل ربع المقاطع تقريباً، أما الطويل المغلق فلم يرد إلا سبع مرات، وذلك في الأحرف المقطعة وفواصل الآيات (بنسبة ٥٤ر٦٪).

إن التناوب بين هذه الأنواع من المقاطع يعطي الأذن راحة والنطق سلاسة، فنلاحظ أن التوقيع بالمقطع الطويل المغلق جاء ليدل على فواصل الآيات، وورد مرتين في الآية الأولى في الأحرف المقطعة، "دلالة هذه الفواتح ذات إيحاءات واسعة قريبة وبعيدة، غير متعسفة ولا متمهلة، منها: ١- التنبيه ٢- التمهيد الموسيقي المتسق وما بعدها أو قبلها.

٣- الإيحاء الموسيقي الذي يُحس به أكثر مما يعبر عنه. وها هنا تظهر ميزة جديدة لفواصل القرآن، وهي التعبير الموسيقي بحروف ذات إيحاء لا بكلمات ذوات دلالات محددة.. "[1].

وبعد الفواتح نلاحظ أن المقاطع تتابع بطريقة مريحة بين القصير المفتوح والقصير المغلق والطويل المفتوح " فتتابع المقاطع الثلاثة وتكريرها في سور القرآن يعد مظهراً من مظاهر السهولة والتيسير، وتحقيقاً للانسجام الصوتي بين المقاطع الصوتية في آيات كتاب الله العزيز" [2].

ج - قال تعالى ﴿ *فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هآؤم اقرأوا كتابيه ۞ إني ظننت أني ملاق حسابيه ۞ فهو في عيشة راضية ۞ في جنة عالية ۞ قطوفها دانية ۞ كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية* ﴾ الحاقة ١٩-٢٤.

---

(١) محمد الحسناوي، الفاصلة في القرآن، ٢٠٥.

(٢) هايل الفقرا، ظاهرة الانسجام الصوتي في القرآن الكريم، ٢١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرقم	المقطع الصوتي	نوع المقطع كتابة	نوع المقطع رمزاً
١	فَ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
٢	أَمْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٣	ما	مقطع طويل مفتوح	ص ع ع
٤	مَنْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٥	أو	مقطع طويل مفتوح	ص ع ع
٦	تِ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
٧	يَ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
٨	كِ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
٩	تا	مقطع طويل مفتوح	ص ع ع
١٠	بَ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
١١	هو	مقطع طويل مفتوح	ص ع ع
١٢	بِ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
١٣	يَ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
١٤	مي	مقطع طويل مفتوح	ص ع ع
١٥	نِ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
١٦	هي	مقطع طويل مفتوح	ص ع ع
١٧	فَ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
١٨	يَ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
١٩	قو	مقطع طويل مفتوح	ص ع ع
٢٠	لُ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
٢١	ها	مقطع طويل مفتوح	ص ع ع
٢٢	ءُ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
٢٣	مُقْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٢٤	رَ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
٢٥	أو	مقطع طويل مفتوح	ص ع ع
٢٦	كِ	مقطع قصير مفتوح	ص ع

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرقم	المقطع الصوتي	نوع المقطع كتابة	نوع المقطع رمزاً
٢٧	تا	مقطع طويل مفتوح	ص ع ع
٢٨	بِ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
٢٩	يَهْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٣٠	إِنْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٣١	ني	مقطع طويل مفتوح	ص ع ع
٣٢	ظَ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
٣٣	نَنْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٣٤	تُ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
٣٥	أَنْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٣٦	ني	مقطع طويل مفتوح	ص ع ع
٣٧	مُ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
٣٨	لا	مقطع طويل مفتوح	ص ع ع
٣٩	قِنْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٤٠	حِ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
٤١	سا	مقطع طويل مفتوح	ص ع ع
٤٢	بِ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
٤٣	يَهْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٤٤	فَ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
٤٥	هُـ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
٤٦	وَ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
٤٧	في	مقطع طويل مفتوح	ص ع ع
٤٨	عي	مقطع طويل مفتوح	ص ع ع
٤٩	شَ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
٥٠	تِرْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٥١	را	مقطع طويل مفتوح	ص ع ع
٥٢	ضِ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
٥٣	يَهْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص

- All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرقم	المقطع الصوتي	نوع المقطع كتابة	نوع المقطع رمزاً
٥٤	فِي	مقطع طويل مفتوح	ص ع ع
٥٥	جَنْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٥٦	نَ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
٥٧	تِنْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٥٨	عا	مقطع طويل مفتوح	ص ع ع
٥٩	لِ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
٦٠	يَهْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٦١	قُ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
٦٢	طو	مقطع طويل مفتوح	ص ع ع
٦٣	فُ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
٦٤	ها	مقطع طويل مفتوح	ص ع ع
٦٥	دا	مقطع طويل مفتوح	ص ع ع
٦٦	نِ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
٦٧	يَهْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٦٨	كُ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
٦٩	لو	مقطع طويل مفتوح	ص ع ع
٧٠	وَشْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٧١	رَ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
٧٢	بو	مقطع طويل مفتوح	ص ع ع
٧٣	هَـ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
٧٤	ني	مقطع طويل مفتوح	ص ع ع
٧٥	أَمْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٧٦	بِ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
٧٧	ما	مقطع طويل مفتوح	ص ع ع
٧٨	أَسْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٧٩	لَفْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٨٠	تُمْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص

- All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرقم	المقطع الصوتي	نوع المقطع كتابة	نوع المقطع رمزاً
٨١	فِلْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٨٢	أَيْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٨٣	يا	مقطع طويل مفتوح	ص ع ع
٨٤	مِلْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
٨٥	خا	مقطع طويل مفتوح	ص ع ع
٨٦	لِ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
٨٧	يَهْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص

احتوى النص الكريم على سبعة وثمانين مقطعاً صوتياً، ضمت ثلاثة أنواع فقط من المقاطع وحسب النسب التالية:

نوع المقطع	عدد مرات الورود	النسبة المئوية
قصير مفتوح ص ع	٣٥	٤٠ر٢٣٪
قصير مغلق ص ع ص	٢٤	٢٧ر٥٩٪
طويل مفتوح ص ع ع	٢٨	٣٢ر١٨٪
المجمـــوع	٨٧	١٠٠٪

نلاحظ أن المقطع القصير المفتوح (ص ع) قد احتل المرتبة الأولى في هذا النص، تلاه الطويل المفتوح، بينما جاء المقطع القصير المغلق في المرتبة الثالثة.

والمقام مقام رخاوة ونداوة وحديث عن الجنة وأهلها، فزادت نسبة المقاطع المفتوحة الطويلة والقصيرة، وتراجعت نسبة المقاطع المغلقة.

عند النظر في التحليل المقطعي للنصوص القرآنية الثلاثة إضافة لنظرة عامة للمقاطع الصوتية في السور المكية، نجد ما يلي :

١- أكثر المقاطع انتشاراً ثلاثة:

أ - المقطع القصير المفتوح ص ع

ب - المقطع القصير المغلق ص ع ص

جـ - المقطع الطويل المفتوح ص ع ع

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- تختلف نسبة كل مقطع من هذه المقاطع بين موضع وآخر، وذلك حسب المقام والإيقاع المراد، فنسبة المقطع القصير المغلق (ص ع ص) انخفضت من ٥٦ر٥٥٪ في النص الأول إلى ٥٩ر٢٧٪ في النص الثالث، بينما حصل عكس ذلك مع المقطع الطويل المفتوح (ص ع ع) حيث ارتفعت نسبته من ٦٦ر٦٪ في النص الأول إلى ١٨ر٣٢٪ في النص الثالث. والملاحظ هنا أن هذين المقطعين بالتحديد تزيد نسبة أحدهما على حساب الآخر، إذ إن مجموع نسبتها يكاد يكون ثابتاً وهو ٦٠٪ تقريباً، ومن توزيع نسبة كل من المقطعين يظهر الطراز اللغوي للنص، ويأخذ الإيقاع سمته، أما المقطع القصير المفتوح (ص ع) فنسبة متقاربة في النصوص، ويمثل عاملاً مشتركاً في النسيج القرآني.

٣- يرد المقطع الطويل المغلق (ص ع ع ص) في آخر فواصل الآيات المنتهية بالياء مع النون أو الميم، او المنتهية بالواو مع النون أو الميم، أو ما شابه ذلك مثل " نستعين "، " مستقيم"، "حسير"، " وال"، وهذا الموطن المشهور لهذا المقطع.

ويرد كذلك في المد الحرفي اللازم في بعض الأحرف المقطعة في فواتح السور، مثل "سين" ، " كاف "، و كذلك في المد الكلمي اللازم المثقل مثل مقطع " هامْ" في كلمة "مدهآمتان"، ونلاحظ نشوء المد مع هذا المقطع في وسط الآيات لتسهيل النطق به من ناحية، ولحسن التغني بالقرآن من ناحية أخرى.

إذن فتزداد المقطع الطويل المغلق يعطي إيقاعاً خاصاً عند نهايات الآيات القرآنية، ليعين السامع على متابعة هذه النهايات، ويسهم بدور موسيقى هام في النسيج القرآني يبعث المتعة والانتشاء عند المتلقي، لتستريح الأذن والنفس عند بلوغ نهاية الآية.

٤- لم يرد المقطع المديد القصير الصائت (ص ع ص ص) إلا قليلاً في القرآن الكريم، وفي نهايات الآيات، مثل المقطع الصوتي الأخير في الآية الكريمة ﴿*تبت يدا أبي لهب وتبّ*﴾ المسد ١، وكذلك ﴿*وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمرّ*﴾ القمر ٢، أو ﴿*والسماء ذات الرجْع*﴾ الطارق ١١، وكذلك عند الوقف الاضطراري على أمثالها في أواسط الآيات. وهذا المقطع ثقيل في النطق، يخفف من ثقله القلقلة [١] أحياناً، والروم والإشمام [٢] أحياناً أخرى.

---

[١] هي اضطراب في المخرج عند النطق بأي حرف من حروف القلقلة الخمسة (قطب جد) عند سكونه حتى تسمع له نبرة قوية (انظر محمد أحمد معبد، الملخص المفيد في علم التجويد، ١١٦)

[٢] الروم: الإتيان ببعض الحركة الواقعة في آخر الكلمة فيما هو مرفوع أو مجرور، والإشمام: الإشارة بالشفتين لحركة الضم.(انظر عثمان سليمان مراد، السلسبيل الشافي، ٣).

- All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥- أما المقطع المديد الطويل الصانت (ص ع ع ص ص) فلم يرد في القرآن الكريم إلا نادراً، وذلك في نهاية الآية، كما يتمثل في المقطع الأخير في قوله تعالى : ﴿ *لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جانّ* ﴾ الرحمن ٧٤. وهو من أثقل المقاطع نطقاً، إلا أنه جاء في نهاية الآية مع حرف النون المشدد، وهو حرف موسيقي بطبيعته، إضافة للمد الذي جاء ليسبغ الجمال والرونق على هذا المقطع.

٦- يتميز القرآن الكريم من الشعر بأن مقاطعه لا تتكرر بطريقة رتيبة ينشأ عنها الوزن الذي يحكم نظم الشعر، حيث تشكل كل مجموعة من المقاطع تفعيلة تكون بدورها لبنة في البحر الشعري المتكرر. لكن الذي يحدث في النص القرآني ترداد للمقاطع بنسب مريحة في النطق من ناحية، وتتناسب وسرعة الإيقاع من ناحية أخرى.

ومما مر سابقاً فإن المقطعين الطويل المفتوح (ص ع ع) و القصير المغلق (ص ع ص) هما المسئولان بشكل رئيسي عن الإيقاع القرآني، فتزيد نسبة الأول عادة في مقام الاسترسال، والحبور، والندامة، وما شابهها من مقامات تتطلب مدى للنفس لتعيش الجو المراد. وتزيد نسبة الثاني عادة في مقامات الجد، والتقريع، والأخذ الشديد، وما شابهها كقوله تعالى: ﴿ *ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ۞ كذبت ثمود بالنذر ۞ فقالوا أبشراً منا واحداً نتبعه إنا إذاً لفي ضلال وسعر ۞ أألقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر* ﴾ القمر ٢٢-٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

إيقـــاع النبـــــــر

النبر: الارتفاع، ونبر في قراءته أو غنائه : رفع صوته.

والنبر في النطق: إبراز أحد مقاطع الكلام عند النطق[1] أكثر من المقاطع الأخرى.

والناطق باللغة لا يرسل الكلام كله على مرتبة واحدة في القوة، بل يعطي بعض المقاطع قوة في النطق تزيد على الأخرى، وهو من المظاهر السياقية فوق المقطعية [2].

وكما يعرفه تمام حسان: "ازدياد وضوح جزء من أجزاء الكلمة في السمع عن بقية ما حولها من أجزائها" [3] وعرّفه آخر : " وسيلة صوتية نبرز بواسطته عنصراً من السلسلة الصوتية"[4].

إن التناوب بين القوة والضعف في المقاطع الصوتية يعطي للغة نمطاً خاصاً يساعد في تمييزها عما سواها من اللغات، بل إن النبر في بعض اللغات له دور وظيفي، أي عند اختلاف موقعه في الكلمة يؤدي إلى اختلاف معناها المعجمي كما في اللغة الانجليزية، أما في اللغة العربية فدوره تحديدي لا وظيفي، أي يبرز أهمية المقطع المراد، وعند اختلاف موقع النبر في الكلمة لا يختلف معناها المعجمي، والنبر لا يأتي وظيفياً في العربية إلا في النادر.

ومرجع البروز الصوتي (النبر) إلى أمرين:

١- حركة الحجاب الحاجز على الرئتين ليفرغ ما فيهما من هواء، فينتج عن ذلك ارتفاع الصوت.

٢- توتر التماس بين أعضاء النطق في مخرج الصوت [5].

هذا وتختلف مواضع النبر حسب عدد المقاطع ونوعها. وهناك فرق بين النبر الصرفي الذي يحدد مواقع النبر على المقاطع المفردة المجردة عن السياق. والنبر الاستعمالي الذي يبين مواقع

---

(١) إبراهيم مدكور وأصحابه، المعجم الوسيط، مادة نبر. (وقيل: إبراز الصائت في المقطع).

(٢) الزائدة على بناء الكلام الأصلي، وإنما ندخل عليه لغاية.

(٣) تمام حسان، اللغة العربية: معناها ومبناها، ١٧٠.

(٤) مصطفى حركات، الصوتيات والفونولوجيا، ٤.

(٥) تمام حسان، اللغة العربية: معناها ومبناها، ١٧١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النبر في السياق الكلامي، حيث تنشأ مقاطع مشتركة بين المفردات، وكذلك تؤدي الزوائد الداخلة على المفردة في أولها وآخرها إلى اختلاف توزيع النبر.

والذي يعنينا بطبيعة الحال النبر الاستعمالي أو السياقي، لأنه التطبيق الفعلي للكلام المستخدم، و " السياق الاستعمالي يحرص على إظهار موسيقى الكلام بحفظ المسافات المتساوية أو المتناسبة بين مواقع النبر مما يعطي الكلام موسيقاه الخاصة التي تعرف بها بين اللغات" [1].

وأهم قواعد النبر:

١- يقع النبر في الكلمات ذات المقطع الواحد على هذا المقطع نحو: قُمْ، ما، مَنْ.

٢- يقع النبر على المقطع الأخير من الكلمة المفردة إذا كان هذا المقطع الأخير طويلاً مغلقاً أو مديداً (ص ع ع ص)، (ص ع ص ص)، (ص ع ع ص ص). كما في: مفعول، يفعلان، شربْت، مظانّ.

٣- يقع النبر على المقطع قبل الأخير، إذا كان هذا المقطع قصيراً (ص ع)، (ص ع ص). وكان الأخير قصيراً أيضاً (ص ع)، (ص ع ص) مثل المقطع قبل الأخير في :

صُوَر، جَبَل، استلقِ، حذار.

أو كان المقطع قبل الأخير طويلاً أو مديداً (ص ع ع ص)، (ص ع ص ص) مثل ضالة، دُوَيْبّة.

٤- يقع النبر على المقطع الذي يسبق ما قبل الآخر إذا كان قصيراً (ص ع)، (ص ع ص). وكان يليه قصيران (ص ع)، (ص ع ص) مثل:

عَلّمَكَ ، عَلّمَكُمْ ، نظرةٌ ، ابتسامة.

٥- يقع النبر على الثالث مما قبل الآخر إذا كان قصيراً وبعده ثلاثة قصار، مثل: وَعَدَكَ، نَكِرَهم.

وفي الاستخدام السياقي يطرأ بعض الانتقال في موقع النبر إذا تشكلت كلمات كبيرة تناظر من ناحية كمية كلمتين صغيرتين، فيقع عندها النبر على موضعين في الكلمة الكبيرة يناظران موضع النبر في الكلمتين الصغيرتين [2].

إن الإيقاع النبري ينشأ من توازن المسافات بين نبر وآخر إلى حد التقارب والتشابه لا التطابق، ذلك أنه إذا تطابقت المسافات الصوتية بين نبر وآخر صار الكلام رتيباً مملاً، أو أنه

---

(١) تمام حسان، اللغة العربية: معناها ومبناها، ٣-٧.

(٢) المرجع السابق، ٢٦٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

انقلب إلى شعر محكوم بتكرار المقاطع، أما القرآن الكريم، فإن المسافات بين مواضع نبره متقاربه، فقد يكون بين النبر والذي يليه مقطع أو اثنان أو ثلاثة.

" وهذا التشابه أو قرب الشبه بين كميات المسافات يمنح الأذن إحساساً بالإيقاع"[1].

تحليل نبري لبعض النصوص القرآنية:

سنعمد إلى تقسيم السلسلة الكلامية إلى دفعات صوتية، بحيث يكون المقطع الأول من كل دفعة منبوراً، وسنلاحظ عدد المقاطع الفاصلة بين كل مقطعين منبورين.

أ – قال تعالى : ﴿ *ولو أننا نزلنا إليهم الملآئكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قُبلاً ما كانوا ليؤمنوا إلاّ أن يشآء الله ولكن اكثرهم يجهلون* ﴾ الأنعام ١١١.

الرقم	الدفعة الكلامية	المقطع المنبور	المقاطع بين النبرين	عددها
١	وَلَوْ	وَ	لَوْ	١
٢	أَنَّ	أَنْ	نَ	١
٣	نانَزْ	نا	نَزْ	١
٤	زَلْنا	زَلْ	نا	١
٥	إِلَيْـ	إِ	لَيْـ	١
٦	هِمُ الْـ	هِـ	مُ الْ	١
٧	مَلا	مَ	لا	١
٨	ئِكَةُ وَ	ءِ	كَ، ةُ، وَ	٣
٩	كَلَّمَ	كَلْ	لَ، مَ	٢
١٠	هُمُ الْ	هُـ	مُ الْ	١
١١	مَوْتى	مَوْ	تى	١
١٢	وَحَشَرْ	وَ	حَ، شَرْ	٢
١٣	ناعَ	نا	عَ	١
١٤	لَيْهِمْ	لَيْـ	هِمْ	١
١٥	كُلَّ	كُلْ	لَ	١
١٦	شَيْءٍ	شَيْ	ءٍ	١

[1] تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ٢٦٧.

- -All Rights Reserved -Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرقم	الدفعة الكلامية	المقطع المنبور	المقاطع بين النبرين	عددها
١٧	قُبُلاً	قُ	بُ، لاً	٢
١٨	ما كانوا	ما	كا، نوا	٢
١٩	لِيُؤْ	لِـ	يُؤْ	١
٢٠	مِنوا	مِ	نوا	١
٢١	إلا	إلْ	لا	١
٢٢	أَيشا	أَيْ	يَ، شا	٢
٢٣	ءَ الّلا	ءَ الْ	لا	١
٢٤	هُـ وَلا	هُ	وَ، لا	٢
٢٥	كِنَّ	كِنْ	نَ	١
٢٦	أَكْثَرَ	أَكْ	ثَ ،رَ	٢
٢٧	هُمْ يَجهَ	هُمْ	يَجْ، هَـ	٢
٢٨	لون	لون		

نلاحظ تشابه المسافات الصوتية الفاصلة بين كل نبر والذي يليه. إذ هي مقطع صوتي واحد أو اثنان أو ثلاثة على أكثر تعديل، وهذا يشكل مظهراً دقيقاً للإيقاع القرآني.

ب – قال تعالى ﴿ *والضحى ✿ والليل إذا سجى ✿ ما ودعك ربك وما قلى ✿ وللآخرة خير لك من الأولى ✿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ✿ ألم يجدك يتيماً فآوى ✿ ووجدك ضالاً فهدى ✿ ووجدك عائلاً فأغنى ✿ فأما اليتيم فلا تقهر ✿ وأما السائل فلا تنهر ✿ وأما بنعمة ربك فحدث* ﴾

سورة الضحى .

الرقم	الدفعة الكلامية	المقطع المنبور	المقاطع بين النبرين	عددها
١	وَالضُحى	وَالضْ	ضُ، حى	٢
٢	وَاللّيلِ	وَاللْ	لَيْ، لِ	٢
٣	إذا	إ	ذا	١
٤	سَجَى	سَ	جى	١
٥	ما وَدْ	ما	وَد	١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرقم	الدفعة الكلامية	المقطع المنبور	المقاطع بين النبرين	عددها
٦	دَعَكَ	دَ	عَ، كَ	٢
٧	رَبُّكَ	رَبْ	بُ، كَ	٢
٨	وَما	وَ	ما	١
٩	قَلى	قَ	لى	١
١٠	وَلَلْ	وَ	لَلْ	١
١١	آخِرَةُ	آ	خِ،رَ،ةُ	٣
١٢	خَيْرٌ لَكَ	خيْ	رٌلْ، لَ،كَ	٣
١٣	مِنَ الْ	مِ	نَلْ	١
١٤	أولى	أو	لى	١
١٥	وَلَسَوْ	وَ	لَ، سَوْ	٢
١٦	فَ يُع	فَ	يُغْ	١
١٧	طيك	طي	كَ	١
١٨	رَبُّك	رَبْ	بُ، كَ	٢
١٩	فَتَرْضى	فَ	تَرْ، ضى	٢
٢٠	أَلَمْ	أَ	لَمْ	١
٢١	يَجِدْكَ	يَ	جِدْ،كَ	٢
٢٢	يَتيماً	يَ	تي، ماً	٢
٢٣	فَآوى وَ	فَ	آ، وى، وَ	٣
٢٤	وَجَدَكَ	وَ	جَ،دَ،كَ	٣
٢٥	ضالاً	ضا	لاً	١
٢٦	فَهَدى وَ	فَ	هَ، دى، وَ	٣
٢٧	وَجَدَكَ	وَ	جَ، دَ،كَ	٣
٢٨	عائِلاً	عا	ءِ، لاً	٢
٢٩	فَأَغْنى	فَ	أَغْ، نى	٢
٣٠	فَأَمّا الْ	فَ امْ، مَلْ	أَ مْ، مَلْ	٢
٣١	يَتيمَ	يَ	تي، مَ	٢
٣٢	فَلا	فَ	لا	١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرقم	الدفعة الكلامية	المقطع المنبور	المقاطع بين النبرين	عددها
٣٣	تَقْهَرْ	تَقْ	هَرْ	١
٣٤	وَأَمَّا السْ	وَ	أمْ، مَسْ	٢
٣٥	سائِلَ	سا	ءِ، لَ	٢
٣٦	فَلا	فَ	لا	١
٣٧	تَنْهَر	تَنْ	هَرْ	١
٣٨	وَأَمَّا	وَ	أَمْ، ما	٢
٣٩	بِنِعْمَةِ	بِ	نِعْ، مَ،تِ	٣
٤٠	رَبِّكَ	رَبْ	بِ، كَ	٢
٤١	فَحَدِّثْ	فَ	حَدْ، دِثْ	٢

بالنظر إلى التحليل النّبري للسورة الكريمة نجد الفاصل الصوتي بين كل نبرين مقطعاً صوتياً واحداً، أو اثنان، أو ثلاثة على أكثر حد. وهذا التناسب والتقارب هو الذي يصنع الإيقاع الدقيق للنسيج القرآني.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الرابع

إيقـــاع التجويـــد

للقرآن الكريم أداء خاص، تلقاه الصحابة عن النبي –صلى الله عليه وسلم– الذي تلقاه عن جبريل –عليه السلام– قال –تعالى– ﴿ *فإذا قرأناه فاتبع قرآنه* ﴾ القيامة ١٨، وتواتر نقل الأداء القرآني بدوره من السلف إلى الخلف بالمشافهة والتلقي، ﴿ *الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به* ﴾ البقرة ١٢١.

إن الأداء الخاص للقرآن ميزه من كل النصوص الأخرى، حيث يحقق القارئ مخارج الحروف، مظهراً صفاتها، ولكن أهم أمرين يتميز بهما الأداء القرآني هما: المدّ والغنة، فهما يمثلان مظهراً صوتياً جميلاً في الأداء القرآني. وفيهما يطول الصوت، فيبرزان في دَرَج القراءة.

والمد مرتبط بالصوائت الطوال: الألف، والواو والياء المدّيتان.

ويعطي فونيم المدّ كمّاً صوتياً يوازي الثانية تقريباً. ويعبّر عنه بعلم التجويد بالمد الطبيعي وقدره حركتان والحركة توازي نصف ثانية تقريباً .

أما إذا تبع فونيم المدّ همزٌ أو سكون فإنه يتطَل إلى أربع حركات أو خمس أو ست، فيبرز بروزاً واضحاً جداً وهذا من المد الفرعي [١].

أما الغنة " فمعناها لغة صوت في الخيشوم، واصطلاحاً صوت للديد مركب في جسم النون والميم " [٢].

ويتصف النون والميم بأنهما خيشوميان [٣] ، فعند القراءة تظهر هذه الصفة المميزة لهذين الحرفين لا سيما عند سكونهما، والتنوين في هذا كالنون. وتظهر صفة الغنة ظهور أكبر وأوضح في الحالات التالية:

أ – النون والميم المشددتان.

ب – إدغام النون الساكنة أو التنوين بالواو والياء والنون والميم، وإدغام الميم الساكنة بالميم.

---

(١) أهم أنواعه المد المنفصل، والمتصل، والعارض للسكون، واللازم.(أنظر السلسبيل الشافي،٤٥).

(٢) عثمان سليمان مراد، السلسبيل الشافي، ١٢.

(٣) مصطفى حركات، الصوتيات والفونولوجيا، ١٣٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جـ – إخفاء النون الساكنة بأحد حروف الإخفاء، وإخفاء الميم الساكنة بالباء، وقلب النون الساكنة مع الباء. والغنة تظهر في النون والميم الساكنتين ولكنها غُنّة ناقصة، والغنة أجمل مظاهر الأداء القرآني على الإطلاق [1].

وسنقوم بتحليل أداني لبعض نصوص القرآن الكريم

أ – قال تعالى ﴿ *إنّ الله لا يظلم النّاس شيئًا ولكن النّاس أنفسهم يظلمون* ﴾ يونس ٤٤.

الرقم	المقطع	الأداء	المقدار
١	إنْ	غنة النون المشددة	حركتان
٢	نَ الْ		
٣	لا	مد طبيعي	حركتان
٤	هَ		
٥	لا	مد طبيعي	حركتان
٦	يَظْ		
٧	لِ		
٨	مُ نْ	غنة النون المشددة	حركتان
٩	نا	مد طبيعي	حركتان
١٠	سَ		
١١	شَيْ		
١٢	ءَ وْ	غنة إدغام التنوين	حركتان
١٣	وَ		
١٤	لا	مد طبيعي	حركتان
١٥	كِنْ	غنة النون المشددة	حركتان
١٦	نَنْ	غنة النون المشددة	حركتان
١٧	نا	مد طبيعي	حركتان
١٨	سَ		

(١) في هذا المجال انظر: محمد القضاة، الواضح في أحكام التجويد، ٥٤، ٥٧.
ومحمد صالح يساوي، البيان في تجويد القرآن، ١٧، ٣٣، ٨١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرقم	المقطع	الأداء	المقدار
١٩	أَنْ	غنة إخفاء النون	حركتان
٢٠	فْ		
٢١	سَ		
٢٢	هُمْ	غنة ميم ساكنة	حركة
٢٣	يَظْ		
٢٤	لِ		
٢٥	مونْ	مد عارض للسكون	حركتان أو أربع أو ست
		غنة النون الساكنة	حركة

نلاحظ من التحليل الأدائي للآية الكريمة أن مظهري الجمال في الترتيل وهما المد والغنة قد منحا النص الكريم إيقاعاً فريداً، حيث توزعت المدود والغنن على طول الآية الكريمة بطريقة تفسح المجال للقارئ أن يتغنى بالقرآن الكريم، وتمتع السامع بهذا الأداء الخاص.

فقد احتوت الآية الكريمة ثمانية مواضع للغنة، وستة للمدّ أي ما مجموعة أربعة عشر مظهراً جمالياً في خمسة وعشرين مقطعاً، وهذا يمثل نسبة ٥٦٪ من المقاطع تقريباً.

ب - ﴿ *وقالوآ إن هذآ إلا سحرٌ مبين ۞ أإذا متنا وكنّا تراباً وعظاماً أإنّا لمبعوثون ۞ أوآباؤنا الأولون*﴾ الصافات ١٥-١٧.

الرقم	المقطع	الأداء	المقدار
١	وَ		
٢	قا	مد طبيعي	حركتان
٣	لوا	مد منفصل	أربع حركات أو خمس
٤	إنْ	غنة النون الساكنة	حركة
٥	ها	مد طبيعي	حركتان
٦	ذا	مد منفصل	أربع حركات أو خمس
٧	إلْ		

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرقم	المقطع	الأداء	المقدار
٨	لا	مد طبيعي	حركتان
٩	سِخْ		
١٠	رُمْ	غنة إدغام التنوين	حركتان
١١	مُ		
١٢	بينْ	مد عارض للسكون	حركتان أو أربع أو ست
		غنة النون الساكنة	حركة
١٣	أَ		
١٤	إِ		
١٥	ذا	مد طبيعي	حركتان
١٦	مِتْ		
١٧	نا	مد طبيعي	حركتان
١٨	وَ		
١٩	كُنْ	غنة النون المشددة	حركتان
٢٠	نا	مد طبيعي	حركتان
٢١	تُ		
٢٢	را	مد طبيعي	حركتان
٢٣	بَوْ	غنة إدغام التنوين	حركتان
٢٤	وَ		
٢٥	عِ		
٢٦	ظا	مد طبيعي	حركتان
٢٧	ماً	غنة التنوين	حركة
٢٨	أَ		
٢٩	إِنْ	غنة النون المشددة	حركتان
٣٠	نا	مد طبيعي	حركتان
٣١	لَ		
٣٢	مَبْ		
٣٣	عو	مد طبيعي	حركتان

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرقم	المقطع	الأداء	المقدار
٣٤	ثونْ	مد عارض للسكون غنة النون الساكنة	حركتان أو أربع أو ست حركة
٣٥	أَ		
٣٦	وَ		
٣٧	آ	مد طبيعي	حركتان
٣٨	با	مد متصل	أربع حركات أو خمس
٣٩	وُ		
٤٠	نَلْ		
٤١	أَوْ		
٤٢	وَ		
٤٣	لونْ	مد عارض للسكون غنة النون الساكنة	حركتان أو أربع أو ست حركة

وعند التأمل في مظاهر الأداء الجمالي في الآيات الكريمة المذكورة، نراها تزخر بالمدود والغنن مما يرفع نسبة الإمتاع وإمكانية إبراز تميّز هذا النص الكريم عما سواه من نصوص العربية.

فقد اشتملت الآيات الثلاث على تسع غنّات، وسبعة عشر مداً أي ما مجموعة ستة وعشرون مظهراً جمالياً في ثلاثة وأربعين مقطعاً، أي ما نسبته : ٥ر٦٠٪ من المقاطع تقريباً. وهي نسبة عالية ولا شك.

ج - ﴿ *ولا تطع كل حلافٍ مهين ✿ همّازٍ مشاءٍ بنميم ✿ منّاعٍ للخير معتدٍ أثيم ✿ عتلٍ بعد ذلك زنيم*﴾ القلم ١٠-١٣.

الرقم	المقطع	الأداء	المقدار
١	وَ	مد طبيعي	حركتان
٢	لا		
٣	تُ		
٤	طِعْ		

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرقم	المقطع	الأداء	المقدار
٥	كُلْ		
٦	لَ		
٧	حَلْ		
٨	لا	مد طبيعي	حركتان
٩	فِمْ	غنة إدغام التنوين	حركتان
١٠	مَ		
١١	هين	مد عارض للسكون	حركتان أو أربع أو ست
		غنة النون الساكنة	حركة
١٢	هَمْ	غنة الميم المشددة	حركتان
١٣	ما	مد طبيعي	حركتان
١٤	زِمْ	غنة إدغام التنوين	حركتان
١٥	مَشْ		
١٦	شا	مد متصل	أربع حركات أو خمس
١٧	ءِمْ	غنة إقلاب التنوين	حركتان
١٨	بِ		
١٩	نْ		
٢٠	ميمْ	مد عارض للسكون	حركتان أو أربع أو ست
٢١	مَنْ	غنة النون المشددة	حركتان
٢٢	نا	مد طبيعي	حركتان
٢٣	عِلْ		
٢٤	لِلْ		
٢٥	خَيْ		
٢٦	رِ		
٢٧	مُغْ		
٢٨	تَ		
٢٩	دِ	غنة التنوين	حركة
٣٠	أَ		

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرقم	المقطع	الأداء	المقدار
٣١	ثيمْ	مد عارض للسكون غنة الميم الساكنة	حركتان أو أربع أو ست حركة
٣٢	عُ		
٣٣	تُلْ		
٣٤	لِمْ	غنة إقلاب التنوين	حركتان
٣٥	بَغْ		
٣٦	دَ		
٣٧	ذا	مد طبيعي	حركتان
٣٨	لِ		
٣٩	كَ		
٤٠	زَ		
٤١	نيمْ	مد عارض للسكون غنة الميم الساكنة	حركتان أو أربع أو ست حركة

بلغت الغنات عشراً، والمدود عشرة، أي ما مجموعه عشرون مظهراً جمالياً في واحد وأربعين مقطعاً، وهذا يمثل نسبة ٤٩٪ تقريباً.

هذا وتختلف نسبة مظاهر المد والغنة بين موضع وآخر، حيث ينتمي المد إلى المقاطع الطويلة المفتوحة في غالبيته العظمى، أما الغنة فتنتمي إلى المقاطع المغلقة دائماً. وفي بعض المواضع من القرآن الكريم تنخفض نسبة المد أو الغنة، كقوله تعالى ﴿*قد افلح من تزكى* ۞ *وذكر اسم ربه فصلى* ۞ *بل تؤثرون الحياة الدنيا* ۞ *والآخرة خيرٌ وابقى* ﴾ الأعلى ١٤-١٧، وهنا نلاحظ أن الغنة لم تسهم بدور واضح في الإيقاع، إذ لم يرد سوى ثلاث غنن، وفي قوله تعالى ﴿*اقتربت الساعة وانشق القمر* ۞ *وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر* ﴾ القمر ١-٢ ، انخفضت أيضاً نسبة المدود، فهي لم تزد عن خمسة مدود.

وتبقى دوماً المدود والغنات من أهم مظاهر الإيقاع القرآني، ويقول الدكتور تمام حسان : "فتجويد القرآن يشتمل إلى جانب إعطاء الأصوات حقها من الصفة والمخرج على أمور أخرى منها المد بأنواعه والغنة والسكت .. فإذا قرأ القارئ مع الترتيل أتى بكل رتل وآخر وبينهما فترة انقطاع هي إما مدّ أو غنة أو سكت الخ... هذا نوع من الترتيل يضيف إلى إيقاع القرآن الكامن في نصه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إيقاعاً آخر طارئاً عليه من خلال الأداء والقراءة، فإذا اجتمع الإيقاع الصوتي وذلك الإيقاع الترتيلي لم يكن للأذن إلا أن تستمع وتنصت وتستمتع بالجمال، وسبحان الله تعالى إذ يقول لعباده المؤمنين ﴿ *وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون* ﴾ الأعراف ٢٠٤[1] .

وقد ورد السّكت عن حفص من طريق "الشاطبية" في أربعة مواضع هي:

١- بعد " عوجاً" في الآية الأولى من سورة الكهف.

٢- بعد " مرقدنا" في الآية الثانية والخمسين من سورة يس.

٣- بعد " مَن" في الآية السابعة والعشرين من سورة القيامة.

٤- بعد " بل " في الآية الرابعة عشرة من سورة المطففين.

ولكن ورد عن حفص السكت من طريق "طيبة النش"ر لابن الجزري، حيث يسكت [في بعض الطرق] على المد المتصل والمنفصل وميم الجمع الساكنة والياء في كلمة شيء [2]. وفي هذا الوجه من القراءة يكون للسكت دور أساسي في رسم إيقاع الأداء، إضافة لدور المدود والغنن.

---

(١) تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ٢٧٢.

(٢) ابن الجزري، طيبة النشر، ٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الخامس

إيقـــاع الكلمـــات

الكلمة هي وحدة البناء في الجملة، وتتركب من مجموعة من الفونيمات " الحروف والحركات" لتكوّن معنى، وقد يكون للكلمة دلالة واحدة، أو عدة دلالات. حيث يسمى اللغويون المحدثون أصغر وحدة نفطية مجردة دالة بـ " المورفيم " [1] ، وقد يكون المورفيم ظاهراً أو مضمراً.

فمثلاً كلمة " كاتبون" تعد كلمة واحدة، لكنها تحوي أكثر من مورفيم

١- مورفيم مادة الجذر : ك - ت - ب.

٢- مورفيم صيغة اسم الفاعل.

٣- مورفيم التذكيـــــــــر .

٤- مورفيم جمع المذكر السالم "الواو".

٥- مورفيم حالة الرفع " الواو" أيضاً.

٦- مورفيم الانقطاع عن الإضافة، وجود " النون".

إذن فالكلمة " وحدة وسيطة تقع بين المورفيم والجملة " [2].

ولكننا في تناولنا لإيقاع الكلمة القرآنية سنتناول الأمر على ثلاثة محاور.

١- ترداد الألفاظ بأعيانها.

٢- ترداد مادة الجذر باشتقاقات مختلفة.

٣- ترداد الوزن " البنية الصرفية" بجذور مختلفة.

وحينما نتناول هذه المحاور، نضطر للحديث أحياناً عن الفواصل، أو التراكيب لاستكمال أبعاد المحور، علما أن كلاً من الفواصل والتراكيب لها أبواب خاصة بها.

وتمتاز الكلمة القرآنية بميزات ثلاث رئيسية:

١- جمال وقعها في السمع.

٢- اتساقها الكامل مع المعنى.

٣- اتساع دلالتها لما لا تتسع له عادة دلالات الكلمات الأخرى [3] .

---

(١) مصطفى حركات، اللسانيات العامة وقضايا العربية، ٤٤.

(٢) المرجع السابق، ، ٤٨.

(٣) منير سلطان، بلاغة الكلمة " الجملة والجمل" ، ٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المحور الأول : ترداد الألفاظ بأعيانها

يتسع حديثنا في هذا المحور ليشمل الحرف والاسم والفعل، مع العلم أن بعض الحروف لا يعطي معنى مستقلاً إلا عند دخوله على اسم أو فعل.

وهذا النوع من الترداد ورد كثيراً في السور المكية، وكان ظهوره في بعض المواطن أكثر من ظهوره في مواطن أخرى، ليرفع من مستوى الإيقاع بأشكال شتى، حيث تكررت بعض الألفاظ في الآية الواحدة، أو في مجموعة من الآيات، أو في سور عدة.

أ - ترداد الألفاظ بأعيانها في الآية نفسها:

١- ﴿ *فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة ۞ وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة ۞ والسابقون السابقون* ﴾ الواقعة ٨-١٠.

حيث تكررت الكلمات التالية مرتين في الآية: أصحاب، الميمنة، المشأمة، السابقون. وهذا ليزيد من تركيز المتلقي على المعاني المرادة من تكرار هذه الألفاظ لأهميتها.

٢- ﴿ *رب المشرقين ورب المغربين* ﴾ الرحمن ١٧ تكرار كلمة رب، وذلك للتذكير بعظمة الله عز وجل وهيمنته الشاملة.

٣- ﴿ *بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمرّ* ﴾ القمر ٤٦، تكرار كلمة الساعة، لبيان عظم أمرها.

٤- ﴿ *ذلك مبلغهم من العلم، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى ۞ ولله ما في السماوات وما في الأرض ليجزي الذين أساؤا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى* ﴾ النجم ٣٠-٣٩.

حيث تكررت الألفاظ التالية في الآية الواحدة: هو، أعلم، بمن، ما، في، يجزي، الذين، وذلك للتأكيد على علم الله بسرائر الناس، وشمول ملكه، وعدله في الجزاء.

٥- ﴿ *ما ضل صاحبكم وما غوى* ﴾ النجم ٢، تكرار: " ما" النافية، لتأكيد نفي الضلالة والغواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٦- ﴿ فأوحى إلى عبده ما أوحى ﴾ النجم ١٠، تكرار : أوحى، لإعلاء شأن الوحي.

٧- ﴿ *أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون* ﴾ الطور ٣٢، تكرار "أم"، لبيان شدة التعجب من أمر هؤلاء القوم الضالين، هذا إضافة للإيقاع الحاصل من تكرار "أم" والضمير "هم" في الآية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٨- ﴿ *فإن للذين ظلموا ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون* ﴾ الذاريات ٥٩، تكرار (ذنوب) لتأكيد سنة العذاب للقوم الكافرين.

٩- ﴿ *ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً* ﴾ الأنعام ٩، تكرار "جعلناه"، زيادة في تأكيد نسبة الفعل لله عز وجل.

١٠- ﴿ *وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير* ﴾ الأنعام ١٨ تكرار " وهو "، حيث أعيد الضمير لبيان عظمة المولى جل وعلا، وتفرده بالقهر فوق عباده، وبأنه الحكيم الخبير.

١١- ﴿ *بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون* ﴾ الأنعام ٤١، تكرار " تدعون"، لإظهار أهمية الدعاء والتوجه إلى الله تعالى، والربط بين الدعاء وكشف الضر.

١٢- ﴿ *قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده، قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون* ﴾ يونس ٣٤، انظر تكرار "قل"،" يبدأ الخلق ثم يعيده "، لتوكيد تبليغ الرسول عليه السلام لدعوة ربه، وبيان تفرد الرب جل وعلا ببدء الخلق وإعادته.

١٣- ﴿ *الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله، ألا بذكر الله تطمئن القلوب* ﴾ الرعد ٢٨، حيث تكررت كلمات " تطمئن"، " قلوب"،" بذكر الله"، لتقرير السكينة والاطمئنان المتحصلين من ذكر الله جل وعلا.

١٤- ﴿ *وإذا بطشتم بطشتم جبارين* ﴾ الشعراء ١٣٠، تكرار " بطشتم" لبيان سوء فعلتهم بالبطش والإضرار بالآخرين.

١٥- ﴿ *بل ادارك علمهم في الآخرة، بل هم في شك منها، بل هم منها عمون* ﴾ النمل ٦٦، تكررت لفظة " بل " بطريقة إيقاعة جميلة، حيث قسمت الآية إلى – ثلاثة أقسام متقاربة، كما أنها تظهر حالة البلبلة التي يعيشها المستريبون بشأن الآخرة.

ويسوق الباحث المزيد من الآيات التي تكررت فيها بعض الألفاظ بأعيانها، فإن نظم الآيات، وتوقيع الألفاظ يعبران عن جمالية القالب، وإيقاعية التناسق:

- ﴿ *لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون* ﴾ يس ٧٥.
- ﴿ *هيهات هيهات لما توعدون* ﴾ المؤمنون ٣٦.
- ﴿ *قال فالحق والحق أقول* ﴾ ص ٨٤.
- ﴿ *خلق السماوات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار* ﴾ الزمر ٥.
- ﴿ *قل هو يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون* ﴾ الزمر ٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ﴿ ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴾ الزمر ٦٨.
- ﴿ وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته ﴾ غافر ٩.
- ﴿ قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا ﴾ غافر ١١.
- ﴿ أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير ﴾ الشورى ٩.
- ﴿ لله ملك السماوات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور ﴾ الشورى ٤٩.
- ﴿ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴾ الرحمن ٦٠.
- ﴿ إلا قيلاً سلاماً سلاماً ۞ وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين ﴾ الواقعة ٢٦-٢٧.
- ﴿ يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيباً مهيلاً ﴾ المزمل ١٤.
- ﴿ إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً ﴾ المزمل ١٥.
- ﴿ وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً ﴾ الإنسان ٢٠.
- ﴿ كلا إذا دكت الأرض دكاً دكا ۞ وجاء ربك والملك صفاً صفاً ﴾ الفجر ٢١-٢٢.
- ﴿ ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة ﴾ البلد ١٧.

ب - ترداد اللفظة في غير آية :

ورد في الكثر من مواضع السور المكية أن تتردد لفظة في غير آية، وقد يكون الترداد في مطالع الآيات، أو في حشوها أو في نهاياتها، لتزيد من تماسك النسيج القرآني، وتنشيء إيقاعاً جميلاً في السياق. وسنعرض لبعض النماذج التي يزخر بها القرآن الكريم لا سيما في السور المكية، ومن ذلك :

١- ﴿ قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله قل لا أتبع أهواءكم قد ضللت إذا وما أنا من المهتدين ۞ قل إني على بينة من ربي وكذبتم به ما عندي ما تستعجلون به إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين ۞ قل لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم والله أعلم بالظالمين ﴾ الأنعام ٥٦ - ٥٨. فتكرار لفظة " قل" جاء يؤكد تبليغ الرسالة، كما أنه عمل على إحداث التشابه الجميل بين استهلالات الآيات، ليسهل حفظها. وقل مثل ذلك في تكرار لفظة " قل" في استهلالات الآيات ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، والآيات ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠ من سورة سبأ، وكذلك خواتيم سورة تبارك.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- ﴿ *أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون ۞ أوَ أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون ۞ أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون* ﴾ الأعراف ٩٧-٩٩. فتكرار " أمن أهل القرى" في الآيتين الأوليين، وورودها على شكل " أمنوا" في الثالثة لتذكير أهل القرى حتى يتركوا الغفلة، ويحذروا عذاب الله تعالى، الذي قد يقع بهم في كل حين.

٣- ﴿ *وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار ۞ وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار* ﴾ إبراهيم ٣٢-٣٣. تكرار " سخر لكم " في الآيات للفت الانتباه إلى المسخّر جل وعلا، والتذكير بنعمه العديدة في هذا الكون.

٤- تكرار لفظة ﴿ *فانطلقا* ﴾ في الآيات ٧١، ٧٤، ٧٧ في سورة الكهف للإيذان بانتهاء مرحلة في القصة والبدء بأخرى.

٥- تكرار ﴿ *أتبع سبباً* ﴾ في الآيات ٨٥، ٨٩، ٩٢ في سورة الكهف. لأن ذا القرنين كان يسلك سبيلاً في بداية كل مرحلة من مراحل حياته الجهادية، ورحلاته المتعددة.

٦- تكرار كلمة " نبياً " في نهايات الآيات التالية :

﴿ *قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً* ﴾ مريم ٣٠.

﴿ *واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً* ﴾ مريم ٤١.

﴿ *فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحق ويعقوب وكلاً جعلنا نبياً* ﴾ مريم ٤٩.

﴿ *واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصاً وكان رسولاً نبياً* ﴾ مريم ٥١.

﴿ *ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً* ﴾ مريم ٥٣.

﴿ *واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبياً* ﴾ مريم ٥٦.

فلقد بدأت سورة مريم بالحديث عن نبي من أنبياء الله تعالى وهو زكريا، رزقه الله بعد العمر الطويل ووهن العظم واشتعال الرأس شيباً ولداً نبياً، ثم تحدثت السورة عن نبي كريم هو عيسى عليه السلام، وهكذا نجد في السورة جو نبوة وقرب وخلوص إلى الله جل وعلا، فكان مناسباً أن ترد صفة " النبي" للعباد الصالحين الذين ورد ذكرهم في طي السورة الكريمة. ثم إن تكرار اللفظة في خواتيم الآيات أعطتها جمالاً فريداً ولحناً خاصاً.

هذا إضافة إلى تكرار ﴿ *واذكر في الكتاب* ﴾ لمزيد من التوكيد لذكر هذه الأشياء العظيمة على الناس.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٧- تكرار ﴿ وآية لهم ﴾ في بداية كل مجموعة من النعم كما ورد في سورة يس :

﴿ *وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبًا فمنه يأكلون* ﴾ يس ٣٣.

﴿ *وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون* ﴾ يس ٣٧.

﴿ *وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون* ﴾ يس ٤١.

لتذكير المتلقي بهذه الآيات، وتركيز النظر على هذه النعم، وهي تضع بدورها تقسيماً جميلاً في السياق القرآني.

٨- ﴿ *وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار ۞ واذكر اسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار* ﴾ ص ٤٧ -٤٨ ، فذكر الأخيار مرتين لتأكيد الصلاح الذي تمحض له أولئك الأنبياء الأطهار.

٩- تكرار " أليس " في آيات متقاربة، ليشد الانتباه من خلال طرح السؤال الذي ليس له إلا جواب واحد : بلى

﴿ *أليس في جهنم مثوى للكافرين* ﴾ الزمر ٣٢.

﴿ *أليس الله بكاف عبده* ﴾ الزمر ٣٦.

﴿ *أليس الله بعزيز ذي انتقام* ﴾ الزمر ٣٧.

١٠- ﴿ *أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين*

أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين

أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرّة فأكون من المحسنين ﴾ الزمر ٥٦-٥٨.

حيث تكررت كلمة " تقول"،" لو أن " لإظهار تعدد مقولات النفس المقصّرة يوم القيامة، وتمنيها حيث لا ينفع التمني.

١١- ﴿ *ويا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار ۞ تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم* ﴾ غافر ٤١-٤٢ تكررت كلمة " تدعونني" لبيان شدة الجدب الذي كان يمارسه آل فرعون على الرجل المؤمن واستمرارية دعوتهم له.

١٢- ﴿ *وأن ليس للإنسان إلا ما سعى*

وأن سعيه سوف يرى ۞ ثم يجزاه الجزاء الأوفى

وأن إلى ربك المنتهى

وأنه هو أضحك وأبكى

وأنه هو أمات وأحيا

وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى ۞ من نطفة إذا تمنى

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأن عليه النشأة الأخرى

وأنه هو أغنى وأقنى

وأنه هو رب الشِّعْرى

وأنه أهلك عاداً الأولى ﴾ النجم ٣٩-٥٠.

واضح تماماً الإيقاع القوي من خلال تشابه مطالع الآيات الكريمة، لتقرر وتؤكد قدرة الباري عز وجل على كل ما تم ذكره، إضافة إلى الإيقاع الناشيء من تناظر طول الآيات وتشابه روي فواصلها.

١٣- ﴿ والسماء رفعها ووضع الميزان

ألا تطغوا في الميزان

وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان ﴾ الرحمن ٧-٩ .

تكرر ذكر ﴿ الميزان﴾ على التوالي في نهايات الآيات إعظاماً لشأن الميزان والعدل وإحقاق الحق.

١٤- ﴿ فشاربون عليه من الحميم

فشاربون شرب الهيم ﴾ الواقعة ٥٤-٥٥ .

وردت كلمة ﴿ فشاربون﴾ مرتين لتأكيد مسألة شربهم يوم القيامة.

١٥- ﴿ تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير

الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور

الذي خلق سبع سماوات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر

هل ترى من فطور، ثم ارجع البصر كرتين﴾ تبارك ١-٤.

إن إعادة الاسم الموصول " الذي" جاء ليشد النفس المؤمنة إلى بارئها، حيث تجلت قدرته جل وعلا في الخلق وسعة ملكه، وإرادته الطليقة.

ونسوق الآن حشداً من الأمثلة على إيقاع تكرار اللفظة في أكثر من آية، وهي نماذج معبرة وتُعلم عن سعة وجود هذا النوع من الإيقاع في القرآن الكريم، وقد ميز موطن الإيقاع بالأسود العريض:

- ﴿ الحاقة ✿ ما الحاقة ✿ وما أدراك ما الحاقة ﴾ الحاقة ١-٣.
- ﴿ وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولداً

وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا

وإنا ظننا أن لن تقول الأنس والجن على الله كذبا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادهم رهقاً.

وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً

وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً

وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً

وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً

وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قدداً

وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هرباً

وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً

وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون، فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً ﴾ الجن ٣-١٤..

- ﴿ إنه فكر وقدر ✿ فقتل كيف قدر ✿ ثم قتل كيف قدر ﴾ المدثر ١٨-٢٠.
- ﴿ أولى لك فأولى ✿ ثم أولى لك فأولى ﴾ القيامة ٣٤-٣٥.
- ﴿ وجعلنا نومكم سباتاً

وجعلنا الليل لباساً

وجعلنا النهار معاشاً ﴾ النبأ ٩ -١١.

- ﴿ فلينظر الإنسان مم خلق ✿ خلق من ماء دافق ﴾ الطارق ٥-٦.
- ﴿ لا أقسم بهذا البلد ✿ وأنت حلّ بهذا البلد ﴾ البلد ١-٢.
- ﴿ فلا اقتحم العقبة ✿ وما أدراك ما العقبة ﴾ البلد ١١-١٢.
- ﴿ إنا أنزلناه في ليلة القدر ✿ وما أدراك ما ليلة القدر ✿ ليلة القدر خير من ألف شهر ﴾ القدر ١-٣.
- ﴿ القارعة ✿ ما القارعة ✿ وما أدراك ما القارعة ﴾ القارعة ١-٣.
- ﴿ كلا لينبذن في الحطمة ✿ وما أدراك ما الحطمة ﴾ الهمزة ٤-٥.
- ﴿ الذين هم عن صلاتهم ساهون ✿ الذين هم يراؤون ﴾ الماعون ٥-٦.
- ﴿ قل هو الله أحد ✿ الله الصمد ﴾ الإخلاص ١-٢.
- ﴿ قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق

ومن شر غاسق إذا وقب

ومن شر النفاثات في العقد

ومن شر حاسد إذا حسد ﴾ سور الفلق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ﴿ *قل أعوذ بر الناس*

ملـــــــك الناس

إلـــــــه الناس

من شر الوسواس الخناس

الذي يوسوس في صدور الناس

مـــن الجنـة والناس ﴾ سورة الناس.

جـ - إيقاع مطالع السور المكية:

كان من حكمة المولى -جل وعلا- أن جعل تشابهاً بين مطالع بعض السـور، حيـث تفتتح كل مجموعة بمطالع متناسقة لتجعل منهـا زمـرة متقاربـة، وهـذا يـبرز كثيراً بـين السـور المتتابعـة في المصحف ونذكر النماذج التالية :

١- الحروف المقطعة ﴿ الـــر ﴾ تكررت في فواتح السور التالية يونس، هـود، يوسـف، إبراهيـم، الحجر، ووردت في مطلع الرعد [1] بصورة " المـر"، وهـي سـت سـور متتابعـة في المصحـف. تشابهت مطالعها، لتترك في نفـس المتلقـي شـعوراً بوحـدة هـذه السـور، وتهيئـة للجـو العـام المشترك بين هذه السور وقد نزل منها متتابعاً : يونس، هود، يوسف، الحجر.

٢- الحروف المقطعـة ﴿ طســـــم ﴾ تكررت في مطلع سورتي الشعـراء والقصـص، والحـروف ﴿ طس﴾ في سورة النمل الواقعة بينهما، وهي ثلاث سـور متتابعـة في ترتيـب المصحـف وفي ترتيـب الـنزول، فكـان التشـابه في المطلـع متناسـباً مـع وحـدة الـنزول وتقـارب الأجـواء والموضوعات حيث حفلت بقصص الأنبياء السابقين، ومصائر المكذبين.

٣- وردت الحروف المقطعة ﴿ الـــم ﴾ في مطـالع الـروم، لقمـان، السـجدة وهـي ثـلاث سـور متتابعة في ترتيب المصحف، لها جوها المتقـارب، فتشـابهت مطالعهـا، كمـا أنهـا تمثـل تنـاظراً وتقارباً بين السور المكية والسور المدنية، حيـث افتتحت بعـض السـور المدنيـة كذلـك بهـذه الأحرف المقطعة ﴿ الم﴾ مثل البقرة وآل عمران، لتزيد من وحـدة النسـيج القرآنـي ، المكـي منه والمدني.

---

[1] سـورة الرعـد مكيـة بخـلاف مـا ورد في المصحـف الأميري وبعض المصـاحف أنهـا مدنيـة ... ومكيـة السـورة شـديدة الوضوح: سواءً في طبيعة موضوعها، أو طريقة أدائها، أو في جوها العام الذي لا يخطيء تنسـمه مـن يعيـش فـترة في ظـلال القرآن (سيد قطب، في ظلال القرآن، هامش ٢٠٣٩).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤- الإيقاع الجميل بين مطالع هذه السور السبع المتتابعة: سُوَر [الحواميم].

مطلع سورة غافر : ﴿ حم ۞ تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم ﴾.

مطلع سورة فصلت : ﴿ حم ۞ تنزيل من الرحمن الرحيم ﴾

مطلع سورة الشورى : ﴿ حم ۞ عسق ۞ كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم.﴾

مطلع سورة الزخرف : ﴿ حم ۞ والكتاب المبين ﴾

مطلع سورة الدخان : ﴿ حم ۞ والكتاب المبين ﴾

مطلع سورة الجاثية : ﴿ حم ۞ تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ﴾.

مطلع سورة الأحقاف : ﴿ حم ۞ تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ﴾ .

حيث تشابهت المطالع السبعة باستهلالها بالحروف المقطعة ﴿ حم ﴾، مع أحرف ثلاثة أخرى في الشورى ﴿ عسق ﴾ .

وتلاها مباشرة حديث عن الكتاب والوحي، وقد بلغ الإيقاع الاستهلالي قمته بين مطلعي الزخرف والدخان، ومطلعي الجاثية والأحقاف، حيث تطابقت الآيتان الأوليان تماماً. وهذا الإيقاع اللطيف يجمع هذه السور السبعة في جو واحد، ويجعلها زمرة واحدة مميزة في القرآن الكريم، حيث ناقشت هذه السور أربع قضايا أساسية بطريقة متناسقة، وهي : (١) الإلهيات (٢) الرسالات (٣) اليوم الآخر (٤) الغيبيات.

ويكفي أن نعلم أن ترتيب هذه السور السبع في النزول يماثل ترتيبها في المصحف، أي أنها نزلت في فترات متقاربة، كانت الأجواء في مكة متقاربة ، وكذلك وحدة التهيؤ النفسي عند النبي صلى الله عليه وسلم.

٥- ومن جميل التشابه في مطالع السور المكية ورود ﴿ الحمد لله ﴾ في بداية خمس سور كريمة:

مطلع سورة الفاتحة : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾

مطلع سورة الأنعام : ﴿ الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ﴾.

مطلع سورة الكهف : ﴿ الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً ﴾

مطلع سورة سبأ : ﴿ الحمد لله الذي له ما في السماوات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير ﴾

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مطلع سورة فاطر: ﴿ *الحمد لله فاطر السماوات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير* ﴾

فَجَمَع المطلع المتشابه بين هذه السور الخمس التي نزلت متباعدة، وكان ترتيبها في المصحف متباعداً، سوى التجاور بين سبأ وفاطر. فيذكّر مطلع السورة بمطلع أخواتها ليزيد الاتساق بين سور الكتاب العزيز، وينشئ صدى جميلاً بين عناصر النظم القرآني.

٦- ومن التشابه اللطيف بين مطالع السور، ورود كلمة ﴿ السماء ﴾ في مطالع السور التالية:

مطلع سورة الانفطار : ﴿ *إذا السماء انفطرت* ﴾

مطلع سورة الانشقاق: ﴿ *إذا السماء انشقت* ﴾

مطلع سورة البروج : ﴿ *والسماء ذات البروج* ﴾

مطلع سورة الطارق : ﴿ *والسماء والطارق* ﴾

وهي سور متقاربة في ترتيب المصحف، فكان ذكر السماء في مطالعها إيقاعاً جميلاً بين هذه السور.

٧- وقل مثل ذلك في تكرار كلمة ﴿ قل ﴾ في مطالع السور التالية :

مطلع سورة الجن : ﴿ *قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً* ﴾

مطلع سورة الكافرون: ﴿ *قل يا أيها الكافرون* ﴾

مطلع سورة الإخلاص: ﴿ *قل هو الله أحد* ﴾

مطلع سورة العلق : ﴿ *قل أعوذ برب الفلق* ﴾

مطلع سورة الناس : ﴿ *قل أعوذ برب الناس* ﴾

وفيها تواتر الأمر بالتبليغ والتعليم، بل إن الأمر يبدو أكثر إيقاعية في السور الثلاث الأخيرة حيث تتابع من حيث الترتيب في نهاية المصحف، وتقرأ معاً في دُبُر الصلاة وعند الرقيا، وفي أذكار الصباح والمساء. فتعطي الذاكر متعة في التلاوة وتلذذاً بالإعادة.

٨- ولا ننسى التشابه بين مطلعي سورتي المزمل والمدثر:

مطلع سورة المزمل : ﴿ *يا أيها المزمل ۞ قم الليل إلا قليلاً* ﴾.

مطلع سورة المدثر : ﴿ *يا أيها المدثر ۞ قم فأنذر* ﴾

وفيها دعوة للنبي -صلى الله عليه وسلم- بالقيام بأمر الدعوة وحمل الأمانة، وجاء إبراز أداة النداء في المطلع ليستجلب الانتباه، ويوحد بين أجواء السورتين اللتين جاءتا متتابعتين خلال ترتيب المصحف و ترتيب النزول إبان مطلع الدعوة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المحور الثاني : ترداد "مادة الجذر"

تمتاز اللغة العربية بقدرتها العالية على الاشتقاق والتصريف، حيث يمكن التوصل من مادة الجذر الواحد إلى عدد كبير من الكلمات، وذلك بتغيير الوزن أو بعض الأحرف التي تلصق بالجذر، مما يولد معاني جديدة.

فمثلاً الجذر ك – ت – ب نستطيع في العربية أن نشتق منه عددا كبيرا من الألفاظ، فعلى مستوى الأسماء : كاتِب، مكتوب، كِتاب، كُتّاب ، مكتب، اكتتاب، وهكذا.

وعلى مستوى الأفعال : كَتَبَ، كاتَبَ، كَتّب، انكتب، استكتب، اكتتب، وهكذا.

وسنعرض للعديد من النماذج القرآنية، التي يتردد فيها الجذر بأشكال مختلفة، مما يعطي إيقاعاً خاصاً يشعر به القارئ، فقد ورد الجذر على صور نذكر منها :

- الفعل والاسم.
- الفعل والمصدر.
- الفعل واسم الفاعل.
- الفعل واسم المفعول.
- الفعل الماضي والفعل المضارع.

أما أمثلة هذه الصور فقد جاءت على النحو الآتي :

١- ﴿ *ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون* ﴾ الأنعام ٩، وردت صورتان للجذر ل ب س، هما الفعل الماضي " لبسنا " والمضارع " يلبسون ".

٢- ﴿ *وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعاً* ﴾ الرعد ٤٢.

وردت صورة الفعل الماضي والمصدر للجذر م ك ر.

٣- ﴿ *وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين* ﴾ النحل ١٢٦.

نلاحظ ثلاث صور للجذر ع ق ب هي: الفعل الماضي المبني للمعلوم " عاقبتم "، وفعل الأمر " فعاقبوا "، والفعل الماضي المبني للمجهول " عوقبتم ".

٤- ﴿ *من كان يريد العاجلة عجّلنا له فيها ما نشاء لمن نريد* ﴾ الإسراء ١٨.

ظهر الجذر ع ج ل على صورتين : اسم الفاعل " العاجلة "، والفعل الماضي المضعّف "عجلنا".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥- ﴿ وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً ۞ إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً ﴾ الإسراء ٢٦-٢٧.

نرى ثلاث صور للجذر ب ذ ر، الفعل المضعف المضارع " تبذر "، والمصدر " تبذيراً "واسم الفاعل في حالة الجمع " المبذرين ".

٦- ﴿ وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً ﴾ الإسراء ١٠٥.

نلاحظ صورتين للفعل الماضي " أنزل" و " نزل" من الجذر نفسه، لكن الأول دخلت عليه همزة التعدية.

٧- ﴿ ولم يجدوا عنها مصرفاً ۞ ولقد صرّفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل ﴾ الكهف ٥٣-٥٤.

نرى المصدر الميمي " مصرفا"، والفعل الماضي المضعف " صرّفنا ".

٨- ﴿ فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً ﴾ الكهف ٩٧.

" اسطاعوا" و " استطاعوا" فعلان ماضيان من الجذر نفسه، إلا أن الأول حذفت من التاء تخفيفاً.

٩- ﴿ فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً ﴾ الفرقان ٥٢.

إيقاع بين فعل الأمر والمصدر " جاهدهم " " جهاداً ".

١٠- ﴿ ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون ۞ فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين ﴾ النمل ٥٠-٥١.

صورة الفعل الماضي " مَكَر" والمصدر " مَكْر ".

١١- ﴿ قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي﴾ سبأ ٥٠.

صورة الفعل الماضي " ضللت "، والمضارع " أضل ".

١٢- ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى، وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى﴾ فاطر ١٨.

ثلاث صور: الفعل المضارع " تزر"، واسم الفاعل " وازرة"، والمصدر " وِزر". وكذلك المصدر " حِملها"، والفعل المضارع المبني للمجهور " يُحمَل".

١٣- ﴿ والصافات صفاً ۞ فالزاجرات زجراً ﴾ الصافات ١-٢.

صورة جمع اسم الفاعل المؤنث " الصافات"، والمصدر "صفاً"، والآية الثانية مثلها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٤- ﴿ إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، ألا ذلك هو الخسران المبين ﴾ الزمر ١٥. صورة جمع اسم الفاعل المذكر " الخاسرين "، والفعل الماضي " خسروا"، والمصدر " الخسران".

١٥- ﴿ وصوّركم فأحسن صوركم ﴾ غافر ٦٤.

صورة الفعل الماضي المشدد " صوّركم"، وجمع التكسير " صُوَر كم ".

والآن نمضي مع المزيد من النماذج دون التعليق عليها، فهي وحدها تنطق بجمال تشكلات الجذر الواحد.

- ﴿ وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين ۞ فإن يصبروا فالنار مثوىً لهم وإن يستعتبوا فماهم من المعتبين ﴾ فصلت ٢٣-٢٤.
- ﴿ يوم تمور السماء موراً ۞ وتسير الجبال سيراً ﴾ الطور ٩-١٠.
- ﴿ أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ۞ أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون ﴾ الطور ٣٥-٣٦.
- ﴿ إذا وقعت الواقعة، ليس لوقعتها كاذبة ﴾ الواقعة ١-٢.
- ﴿ إذا رجّت الأرض رجا ۞ وبسّت الجبال بسّا ﴾ الواقعة ٤-٥.
- ﴿ إنا أنشأناهن إنشاءً ﴾ الواقعة ٣٥.
- ﴿ فستبصر ويبصرون ﴾ القلم ٥.
- ﴿ سأل سائل بعذاب واقع ﴾ المعارج ١.
- ﴿ فاصبر صبراً جميلاً ﴾ المعارج ٥.
- ﴿ واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلاً ﴾ المزمل ٨.
- ﴿ فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً وبيلاً ﴾ المزمل ١٦.
- ﴿ فإذا نقر في الناقور ﴾ المدثر ٨.
- ﴿ ومهدت له تمهيداً ﴾ المدثر ١٤.
- ﴿ ثم رددناه أسفل سافلين ﴾ التين ٥.
- ﴿ فليدع ناديه ۞ سندع الزبانية ﴾ العلق ١٧-١٨.
- ﴿ إذا زلزلت الأرض زلزالها ﴾ الزلزلة ١.
- ﴿ ويمنعون الماعون ﴾ الماعون ٧.

وفي هذه الآية نلاحظ تقارب الحروف علما أن يمنعون من " منع "، والماعون من " عون ".

- التقلبات الصرفية للجذر ع ب د، تبدو واضحة وبشكل مكثف في سورة الكافرون:

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

﴿ قل يا أيها الكافرون ۞ لا أعبد ما تعبدون ۞ ولا أنتم عابدون ما أعبد ۞ ولا أنا عابد ما عبدتم ۞ ولا أنتم عابدون ما أعبد ۞ لكم دينكم ولي دين ﴾.

المحور الثالث : ترداد الوزن الصرفي

إن الصفة الاشتقاقية للغة العربية التي أشرنا إليها في المحور السابق تتخذ عدداً من القوالب والصيغ الصرفية في الأسماء والأفعال، مثل صيغة اسم الفاعل من الثلاثي، أو صيغة المبالغة على وزن " فعّال" ، أو صيغة جمع المذكر السالم، أو غير ذلك من الصيغ الكثيرة. واستخدم القرآن تشابه الصيغ الصرفية للجذور المختلفة لإحداث نوع من الإيقاع، "وإن الصيغ الصرفية تعد صيغاً إيقاعية، خاصة بالنظر إلى النبر الواقع عليها، وهاهنا يبرز إيقاع النبر بصفة جلية، ذلك أن المواطن المنبورة في الكلمات المتماثلة الصيغ، هي نفسها. فإذا ما ترددت في نظام معين جاءت المسافات بين النبرات بحيث تحدث كالنقرات في الكلام" [1] .

وسنعرض لمجموعة من النماذج القرآنية التي ساهم فيها الوزن بدور إيقاعي:

١- يكثر في نهايات الآيات الكريمة ورود اسمين من أسماء الله جل وعلا على الوزن نفسه، كوزن " فعيل " مثلاً، وفي الآيات التالية يظهر هذا النمط الإيقاعي:

﴿ الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد ﴾ إبراهيم ١، ﴿ إنه حكيم عليم ﴾ الحجر ٢٥، ﴿ إنه هو السميع البصير ﴾ الإسراء ١.

٢- ﴿ ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين ﴾ الحجر ٢٤. حيث تكررت لفظتان على وزن " المستفعلين ".

٣- ﴿ ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً ﴾ الإسراء ١٨، فتكررت لفظتان على وزن اسم المفعول.

٤- ﴿ قالو يا ويلنا إنا كنا ظالمين ۞ فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين ۞ وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبي ۞ لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين ﴾ الأنبياء ١٤-١٧.

---

[1] كمال بو خريص، خصائص الإيقاع في القرآن – جزء عم، ١٠٥.

- All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نلاحظ أن الألفاظ الواقعة في نهايات الآيات الكريم قد جاءت كلها على وزن فـاعلين، مما يزيد من مستوى التناظر والإيقاع.

٥- ﴿ *واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يُخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً* ﴾ الفرقان ٣.

نلاحظ تكرار أربعة ألفاظ على وزن " فَعْل" هي : شيئاً، ضراً، نفعاً، موتاً.

٦- ﴿ *الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً* ﴾ فاطر ١.

حيث التناظر بين وزني " فاطر" و " جاعل".

٧- ﴿ *ومن نعمره ننكسه في الخلق* ﴾ يس ٦٨.

تكرار وزن " نفعّله".

٨- ﴿ *والشياطين كل بنّاء و غوّاص* ﴾ ص ٣٧.

تكرار صيغة المبالغة "فَعّال".

٩- ﴿ *أمّن هو قانت آناء الليل ساجداً و قائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه* ﴾ الزمر ٩.

تكرار صيغة اسم الفاعل " قانت" " ساجداً" " قائماً"، وكذلك الصيغة المؤنثة " الآخرة".

١٠- ﴿ *غافر الذنب و قابل التوب* ﴾ غافر ٣.

فتكرر وزن " فاعِل الفَعْل " لإحداث الازدواج بين المقطعين.

١١- ﴿ *ولمن صبر و غفر إن ذلك لمن عزم الأمور* ﴾ الشورى ٤٣.

تكرار صيغة الفعل الماضي " فَعَلَ".

١٢- ﴿ *وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون* ﴾ الزخرف ٧١.

تكرار صيغة جمع التكسير " الأفعل".

١٣- ﴿ *إنما توعدون لصادق ۞ وإن الدين لواقع* ﴾ الذاريات ٥ - ٦.

تكرار صيغة " لَفَاعل " في نهاية كل آية.

١٤- ﴿ *والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون ۞ والأرض فرشناها فنعم الماهدون* ﴾ الذاريات ٤٧-٤٨.

تكرار صورة " فعلناها" في مقدمة كل آية.

١٥- ﴿ *والطور ۞ وكتاب مسطور ۞ في رق منشور ۞ والبيت المعمور ۞ والسقف المرفوع ۞ والبحر المسجور* ﴾ الطور ١-٦. تكرار صيغة اسم المفعول في نهايات الآيات.

- All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونضيف هنا العديد من الأمثلة على التناظر في الصيغة :

- ﴿ ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميًا وبكمًا وصمًا ماواهم جهنم ﴾ الإسراء ٩٧.
- ﴿ وأنه هو أضحك وأبكى ۞ وأنه هو أمات وأحيا ﴾ النجم ٤٣ - ٤٤.
- ﴿ وأنه هو أغنى وأقنى ﴾ النجم ٤٨.
- ﴿ وقوم نوح من قبل إنهم كانوا هم أظلم وأطغى ۞ والمؤتفكة أهوى ﴾ النجم ٥٢-٥٣.
- ﴿ في سدر مخضود ۞ وطلح منضود ۞ وظل ممدود ۞ وماء مسكوب ﴾ الواقعة ٢٨-٣١.
- ﴿ وفاكهة كثيرة ۞ لا مقطوعة ولا ممنوعة ۞ وفرش مرفوعة ﴾ الواقعة ٣٢-٣٤.
- ﴿ ولا تطع كل حلاف مهين ۞ همّاز مشّاء بنميم ۞ مناع للخير معتد أثيم ﴾ القلم ١٠-١٢.
- نهايات الآيات في سورة الحاقة: " القارعة، بالطاغية، عاتية، خاوية، باقية، بالخاطئة، رابية، الجارية، واعية، واحدة، الواقعة، واهية، خافية، راضية، عالية، دانية، الخالية، القاضية".
- ﴿ إن الإنسان خلق هلوعاً ۞ إذا مسه الشر جزوعا ۞ وإذا مسه الخير منوعاً ﴾ المعارج ١٩-٢١.
- ﴿ ثم نظر ۞ ثم عبس وبسر ﴾ المدثر ٢١-٢٢.
- ﴿ والليل إذ أدبر ۞ والصبح إذا أسفر ﴾ المدثر ٣٣-٣٤.
- ﴿ لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر ﴾ المدثر ٣٧.
- ﴿ وجوه يومئذ ناضرة

  إلى ربها ناظرة

  ووجوه يومئذ باسرة

  تظن أن يفعل بها فاقرة ﴾ القيامة ٢٢-٢٥.
- ﴿ عذراً أو نذراً ﴾ المرسلات ٦.
- ﴿ يوم ترجف الراجفة ۞ تتبعها الرادفة ۞ قلوب يومئذ واجفة ۞ أبصارها خاشعة ۞ يقولون أإنا لمردودون في الحافرة ۞ أإذا كنا عظاماً نخرة [1] ۞ قالوا تلك إذاً كرة خاسرة ۞ فإنما هي زجرة واحدة ۞ فإذا هم بالساهرة ﴾ النازعات ٦-١٤.

﴿ هل أتاك حديث الغاشية ۞ وجوه يومئذ خاشعة ۞ عاملة ناصبة ۞ تصلى ناراً حامية ۞ تسقى من عين آنية ﴾ الغاشية ١-٥.

---

(1) وردت صيغة " ناخرة" أيضاً ولكن في قراءة شعبة عن عاصم، وحمزة والكسائي بخلف عن الدوري، ورويس، وخلف. والفهم الأعمش(أنظر: محمد فهد خاروف، الميسر في القراءات الأربعة عشرة، ص ٥٨٣).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل السادس

إيقـــاع الفاصلـــــة

تتكون كل سورة من سور الكتاب العزيز من مجموعة من الفقـرات، تسـمى الواحـدة منهـا آية، وهذا التقسيم كان لحكمة ربانية، فكل آية تحمل معنى، وتتعاضد المعـاني هـذه لتكـون الفكـرة الكبرى، ولهذه الآيات جمال في النطق ووقع في النفـس، كيـف لا والله -جـل وعـلا- يصـف هـذه الآيات بأنها محكمة ﴿ *الـر ، كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير* ﴾ هود ١.

وتؤدي هذه الآيات دورها في الجمال الصوتي القرآني مـن حيـث طولها أو قصرها، ومـن حيث القرار الذي تنتهي إليه، إذ النفس تترقب نهاية الآية، فما إن تصل إليها حتى ترتاح وتستمتع، والكلمة الأخيرة في الآية هـي الفاصلـة، إذ عندهـا ينفصـل الكـلام. وتـؤدي " أهـم دور في قواعـد التشكل الإيقاعي لهذا الكتاب المعجز" [١].

والفاصلة في عروض الشعر جزء من التفعيلة، كالسبب والوزن، وهي تتكون من " ثلاثة أو أربعة متحركات يليها ساكن "[٢]. وهي " في السجـع شـبيهة بالقافيـة في الشـعر"[٣] ، وقـد عـد البعض [٤] الآية كلها إن كانت قصيرة أو التذييل في الآية الكبـيرة فاصلـة، ولكنـا سـنتناول هـذا في إيقاع التراكيب، لذا سنعتمد أن الفاصلة هي الكلمة الأخيرة في الآية، ونقـوم بدراسـتها علـى هـذا الأساس.

" والفاصلة لها أثر في نسق الكلام، واعتدال المقاطع، وتجعل موقعه حسناً في النفوس، وتؤثر فيه تأثيراً لا ينكر، وتناسب الأطراف وتماثل الحروف، مما يريح السامع، ويجـذب انتباهـه" [٥]، وقـد عرف العرب أهميّة التقفية والتسجيع ودورهما في تجميـل الخطـاب وتحسـين النظـم، " وقـد جـرى العرب كتاباً وشعراء وخطباء على أن يجدوا النغم في فاصلة سجع أو قافية شعر، ولكنّ لنظم القرآن

---

(١) نعيم الباقي، قواعد تشكل النغم في موسيقى القرآن، ١٤٦.

(٢) السيد أحمد الهاشمي، ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، ٦.

(٣) جبور عبد النور، المعجم الأدبي، ١٨٩.

(٤) أنظر مثلاً محمد أحمد لحلة، دراسات قرآنية في جزء عم، ١١٨.

(٥) عبد الفتاح لاشين، الفاصلة القرآنية، ٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إيقاعاً داخلياً ينبعث حتى من اللفظة الواحدة بسبب تآخي آياته واتساقها كلها بألفاظها ومعانيها وجرسها وإيقاعها" [1]. ولكن نسق القرآن الكريم ليس كنسق الشعر، فلكل خصائصه، وقد نفى القرآن سمة الشعر عنه، فقال تعالى ﴿ *وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون* ﴾ الحاقة ٤١ ، وفي موضع آخر ﴿ *وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين* ﴾ يس ٦٩.

لذا فمن المنهج الصحيح أن تكون له مصطلحاته الخاصة به دون مصطلحات الشعر، ويمكننا أن نستلهم اسم الفاصلة من العديد من آيات الكتاب العزيز، منها: ﴿ *كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون* ﴾ فصلت ٣، ﴿ *وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصّلاً* ﴾ الأنعام ١١٤، ﴿ *ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم* ﴾ الأعراف ٥٢. ومن هنا نرفض تسمية نهايات الآية بالقافية، فالقافية للشعر، قال صاحب اللسان: " القافية من الشعر هي التي تقفو البيت، وسميت قافية لأنها تقفو البيت"[2]، وفي الصحاح: " لأن بعضها يتبع أثر بعض" [3]. لذا فالفاصلة آخر الآية، والقافية آخر البيت، " وإذا كانت الفاصلة في الآية كالقافية في الشعر، فقد رأينا كذلك بعض ما تختلف فيه الفاصلة عن القافية، حينما تتقارب الفواصل ولا تتماثل ... وخصت فواصل الشعر باسم القوافي لأن الشاعر يقفوها، أي يتبعها في شعره لا يخرج عنها" [4].

ويبقى للفاصلة دورها المهم في جمال النسق القرآني، حيث يدرك هذا كل من تلقى القرآن وألقى السمع وهو شهيد، "ولا خلاف بينهم في أن لفواصل القرآن إيقاعها الفريد وبلاغتها العليا" [5].

هذا وسنعرض لإيقاع الفاصلة القرآنية ضمن المحاور الآتية:

١- إيقاع قرار الفاصلة.

٢- إيقاع مقطعها الأخير.

٣- إيقاع الفاصلة نفسها.

---

(١) حامد صادق قنيبي، المشاهد في القرآن الكريم، ١٨٨.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة ق ف و.

(٣) الجوهري، الصحاح، مادة ق ف و.

(٤) عدنان محمد زرزور، علوم القرآن، ٢٨٦.

(٥) عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني القرآن، ٢٥٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المحور الأول : إيقاع قرار الفاصلة

قرار الفاصلة هو الحرف الأخير فيها، ويقابل حرف الروي في قافية الشعر، ويسمي البعض[1] قرار الفاصلة بحرف الروي، لكنا لا نفضل هذه التسمية لأنها مما يستخدم عادة مع الشعر وتمضي أغلب الفواصل في السور المكية موحدة القرار، ليعطي ذلك نسقاً يجمّل النظم ويزيد من إيقاعه، انظر مثلاً قوله تعالى ﴿ *أفنجعل المسلمين كالمجرمين ۞ ما لكم كيف تحكمون ۞ أم لكم كتاب فيه تدرسون ۞ إن لكم فيه لما تخيرون ۞ أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة إن لكم لما تحكمون* ﴾ القلم ٣٥-٣٩.

وقرار الفاصلة إما أن يكون صامتاً أو صائتاً، فعلى مستوى الصوامت ورد منها بشكل كثيف النون والميم، ثم تليها الراء والدال والباء وغيرها، لكن نسبة توزيع الصوامت ليست ثابتة، فالنون والميم تحتلان المرتبة الأولى بين الصوامت في قرار الفاصلة في السور المكية، " فنسبة النون وحدها ٦٥٪، تليها وبفارق كبير الميم بنسبة ٧ر٩٪، ثم الراء ٨ر٧٪ ثم الدال ١ر٤٪" [2] ، " وتتدرج بعدها الصوامت بنسب قليلة.

ومن حكمة المولى عز وجل أن تكون النسبة الأعلى للنون ثم للميم، إذ يتميز هذان الحرفان بأنهما " أطول الصوامت العربية من حيث المدة الزمنية التي يستغرقها كل منهما في النطق" [3] ويتميزان بالغنة التي تلازمهما، فيعطيان بعداً موسيقياً خاصاً. والقرآن الكريم كثيراً ما يزاوج في قرار الفاصلة بين النون والميم – مع غلبة النون – لتقارب الصفات بينهما، ومن حيث أنهما أنفيان على وجه الخصوص. انظر مثلاً هذا التبادل بين النون والميم: ﴿ *إن هذا لهو الفوز العظيم ۞ لمثل هذا فليعمل العاملون ۞ أذلك خير نزلاً أم شجرة الزقوم ۞ إنا جعلناها فتنة للظالمين ۞ إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم ۞ طلعها كأنه رؤوس الشياطين ۞ فإنهم لآكلون منها فمالئون منها البطون ۞ ثم إن لهم عليها لشوباً من حميم ۞ ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم ۞ إنهم ألفوا آباءهم ضالين ۞ فهم على آثارهم يهرعون* ﴾ الصافات ٦٠-٧٠.

" ويمكننا أن نضيف إلى كل العوامل السابقة المؤهلة لشيوع النون في الفاصلة القرآنية عاملاً آخر هو ما يثيره رنين النون في موقعيته السياقية في النفس من جلال وشحن يناسب قداسة القرآن، وقوة تأثيره وعمقه، لا سيما إذا صورت الفاصلة قمة هذا الرنين" [4].

---

(1) أنظر مثلاً محمد الحسناوي، الفاصلة في القرآن، ٢٧٣.

(2) محمد السيد سليمان، من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، ٨٨.

(3) هالل الفقرا، ظاهرة الانسجام الصوتي في القرآن الكريم، ٢٠٦.

(4) المرجع السابق، ٢٠٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لكن هنالك سور مكية كاملة لم تستخدم النون أو الميم، أو استخدمتها بنسبة قليلة في قرار الفواصل، مثل سورة الإخلاص التي اعتمدت حرف الدال، أو سورة الناس، التي اعتمدت حرف السين، أو سورة المسد التي اعتمدت حرف الباء والدال، وفي سور أطول نرى سورة البروج اعتمدت العديد من الصوامت ليس من بينها النون والميم، ومثلها سورة الطارق ومن السور التي اعتمدت النون والميم بنسبة قليلة : الغاشية، الانشقاق، الانفطار.

أما الفواصل التي كان قرارها فونيماً صائتاً، فنسبتها في السور المكية أكثر من نسبتها في السور المدنية، وعددها " ثمانماية وثمانون فاصلة، كانت نسبة الألف منها ٥ر٩٧٪، والياء ٢ر٢٪ والواو ٣ر٠٪" [١].

فالألف وردت في قرار الفاصلة في سور كاملة مثل سورة الشمس والليل والكهف. " وهذه الألف تملك قيمة تنغيمية وتطريبية أكثر من الواو أو الياء، دعك من بقية الحروف، فهي ممدودة ومخرجها من أقصى الحلق، وتصل ذبذبتها إلى أكثر من ٨٠٠ ذ/ ثا " [٢]. لاحظ الإيقاع الجميل الذي ترسمه الألف في الفواصل التالية:

﴿*والشمس وضحاها ۞ والقمر إذا تلاها ۞ والنهار إذا جلاها ۞ والليل إذا يغشاها ۞ والسماء وما بناها ۞ والأرض وما طحاها ۞ ونفس وما سواها ۞ فألهمها فجورها وتقواها ۞ قد أفلح من زكاها ۞ وقد خاب من دساها ۞ كذبت ثمود بطغواها ۞ إذ انبعث أشقاها ۞ فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها ۞ فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ۞ ولا يخاف عقباها*﴾ سورة الشمس.

إيقاع ندي ترسمه الألفات المتتابعة في نهايات الآيات، مع تناظر في المدّين المتتابعين في نهاية كل فاصلة " ضحا " " ها"، وهذا الازدواج الجميل في المدود ورد في فواصل السورة كلها.

ويعلق محمد السيد سليمان على مثل هذا القرار فيقول : ويعد المد في حقيقته نوعاً من الإشباع الموسيقى الذي تطرب له الأذن وينشط به العقل، ولعل تفوق الألف على الطليقات الآخر تفوقاً واضحاً جداً يرجع إلى كون الألف (أو الفتحة) أسهل الطليقات (أو الحركات)نطقاً[٣]. وقد يرد في الفاصلة حرفان أو أكثر يتكرران في نهايتها، كما مر معنا في سورة الشمس التي التزمت الألف والهاء قبل القرار، ومثل الراء التي سبقت كاف المخاطب في آيات من سورة الشرح

---

(١) محمد السيد سليمان، من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، ٨٨.

(٢) نعيم اليافي، قواعد تشكل النغم في موسيقى القرآن، ١٥٠.

(٣) محمد السيد سليمان، من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم ، ٩٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

﴿ألم نشرح لك صدرك ۞ ووضعنا عنك وزرك ۞ الذي أنقض ظهرك ۞ ورفعنا لك ذكرك﴾ الشرح ١-٤.

وكالتزام ثلاثة حروف قبل القرار، مثل قوله تعالى ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ۞ وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون﴾ الأعراف ٢٠١-٢٠٢، حيث تكررت الصاد والراء والواو قبل النون.

وهذه الزيادة في تشابه الحروف تعطي القرار قوة أكبر في صناعة الإيقاع المطلوب وتمتع السامع أكثر وأكثر.

ولقرار الفاصلة دور مهم في التعبير عن الموضوعات، فباختلافه يختلف الموضوع، وتتم النقلة المطلوبة في بعض السياقات.

- ففي سورة مريم كان القرار السائد هو الألف المردوفة بالياء المشددة، وحينما انتقل السياق إلى فكرة الرد على مقولات أهل الضلالة في ولادة عيسى عليه السلام، تغير قرار الفاصلة، ولما انتهت الفكرة عاد إلى القرار الأول:

﴿قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا ۞ وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ۞ وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقيا ۞ والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا

ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ۞ ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ۞ وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ۞ فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم ۞ أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين ۞ وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يشعرون ۞ إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون

واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً ۞ إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً ۞ يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سوياً . . .﴾ مريم ٣٠-٤٣.

- ومثال آخر من سورة المدثر، حيث تبدأ الفواصل وقرارها السائد حرف الراء، حتى إذا انقضت الفكرة الأولى، وبدأت الفكرة الثانية تغير قرار الفاصلة إلى الألف المردوفة بالدال:

﴿يا أيها المدثر ۞ قم فأنذر ۞ وربك فكبر ۞ وثيابك فطهر ۞ والرجز فاهجر ۞ ولا تمنن تستكثر ۞ ولربك فاصبر ۞ فإذا نقر في الناقور ۞ فذلك يومئذ يوم عسير ۞ على الكافرين غير يسير

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذرني ومن خلقت وحيداً ۞ وجعلت له مالاً ممدوداً ۞ وبنين شهوداً ۞ ومهدت له تمهيداً ۞ ثم يطمع أن أزيد ۞ كلا إنه كان لآياتنا عنيداً ۞ سأرهقه صعوداً ۞ ... ﴾ المدثر ١-١٧.

- سورة الشرح تغير القرار ثلاث مرات لاحتواء السورة على ثلاث أفكار :

﴿ ألم نشرح لك صدرك ۞ ووضعنا عنك وزرك ۞ الذي أنقض ظهرك ۞ ورفعنا لك ذكرك

فإن مع العسر يسراً ۞ إن مع العسر يسراً،

فإذا فرغت فانصب ۞ وإلى ربك فارغب ﴾

هذا وقد راعى القرآن الكريم اطّراد قرار الفاصلة بصور شتى [1]، منها:

١- الحذف، كما حدث في فواصل السياق التالي:

﴿ قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون ۞ أنتم وآباؤكم الأقدمون ۞ فإنهم عدو لي إلا رب العالمين ۞ الذي خلقني فهو يهدين ۞ والذي هو يطعمني ويسقين ۞ وإذا مرضت فهو يشفين ۞ والذي يميتني ثم يحيين ۞ والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ۞ رب هب لي حكماً وألحقني بالصالحين﴾ الشعراء ٧٥-٨٣.

وكان القياس أن تكون الفواصل " يهديني، يسقيني، يشفيني، يحييني". فحذف الياء من آخرها لتناظر قرار الفاصلة في الآيات السابقة واللاحقة.

وفي مطلع سورة الفجر:

﴿ والفجر ۞ وليال عشر ۞ والشفع والوتر ۞ والليل إذا يسر ۞ هل في ذلك قسم لذي حجر﴾ الفجر ١-٥ ، حيث حذف الياء (لام الفعل) من يسري حتى تتفق الفاصلة مع أخواتها.

وفي سورة غافر ﴿ وقال الذي آمن يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب ۞ مثل داب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلماً للعباد ۞ ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد ۞ يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد ﴾ غافر ٣٠-٣٣ ، وكان القياس " التنادي، هادي".

وحذف الياء من نذري في قوله تعالى ﴿ فكيف كان عذابي ونذر ﴾ القمر ١٦، مراعاة للفاصلة ، ومثله كثير.

---

(١) أنظر مثلاً نعيم اليافي، عودة إلى موسيقى القرآن، ٥٩.

ومحمد السيد سليمان، من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، ٩٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحذف كاف الخطاب من قلاك في قوله تعالى: ﴿ *ما ودعك ربك وما قلى* ﴾ الضحى ٣، وحذف الهاء من هَداه في قوله تعالى ﴿ *ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى* ﴾ طه ١٢٢. وكل ذلك الحذف لتوفير التناظر في قرار الفواصل.

٢- التقديم والتأخير: وهذا باب واسع في القرآن الكريم، واستخدم كثيراً ليحفظ تناظر قرار الفواصل مما يزيد النصف بهجة وإيقاعاً محبباً، ومن أمثلته :

قال تعالى ﴿ *فألقي السحرة سجداً قالوا آمنا برب هارون وموسى* ﴾ طه ٧. فقدم هارون على موسى، لتستقيم الفاصلة، بينما ذكر الموقف ذاته في سورة الأعراف: ﴿ *وألقي السحرة ساجدين ۞ قالوا آمنا برب العالمين ۞ رب موسى وهارون* ﴾ الأعراف ١٢٠-١٢٢. فكان الترتيب على أصل الأفضلية.

ومن ذلك أيضاً تقديم المفعول على الفاعل، كقوله تعالى ﴿ *وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون* ﴾ الأعراف ١٦٠. والقياس: ولكن كانوا يظلمون أنفسهم.

﴿ *ولم يكن له كفواً أحد* ﴾ الإخلاص ٤ . حيث قدم خبر كان على اسمها.

﴿ *فأوجس في نفسه خيفة موسى* ﴾ طه ٦٧ . حيث قدم الضمير على صاحبة.

٣- أساليب أخرى:

- صرف ما لا ينصرف كما في قوله تعالى :﴿ *ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا ۞ قوارير من فضة قدروها تقديراً* ﴾ الإنسان ١٥-١٦. فصرف قوارير.
- العدل عن الإفراد إلى سواه أو العكس:

أ - ﴿ *فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنّكما من الجنة فتشقى* ﴾ طه ١١٧ وكان التوقع فتشقيا.

ب - ﴿ *والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما* ﴾ الفرقان ٧٤، وكان القياس أئمة.

جـ - ﴿ *من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال* ﴾ إبراهيم ٣١، *وكان التوقع ولا خلة، كما في سورة البقرة* ﴿ *من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون* ﴾ البقرة ٢٥٤.

- عدم مطابقة الجزأين ﴿ *ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين* ﴾ العنكبوت ٣. وكان القياس فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الذين كذبوا.

-All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المحور الثاني : إيقاع المقطع الصوتي الأخير في الفاصلة

تنوعت المقاطع الصوتية الأخيرة في فواصل الآيات في السور المكية، والمقطع هنا هو الدفعة الصوتية التي تنطق في آخر الفاصلة، ويكون أحد الأنواع التالية :

١- مقطع قصير مغلق (ص ع ص) كالمقطع الأخير من الفاصلة " أحد " في الآية الكريمة ﴿ *قل هو الله أحد*﴾ الإخلاص ١، أو فواصل الآيات : ﴿*كلا والقمر ۞ والليل إذ أدبر ۞ والصبح إذا أسفر ۞ إنها لإحدى الكبر ۞ نذيراً للبشر ۞ لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر*﴾ المدثر ٣٢-٣٧.

وهذا المقطع يسود في فواصل مجموعة من السور ، أهمها: القمر، الحاقة، المدثر، القيامة، التكوير، الطارق، الغاشية، البلد ، الشرح، العلق، البينة، القارعة، الهمزة، الكوثر، المسد، الإخلاص، الفلق.

٢- طويل مفتوح (ص ع ع) كالمقطع الأخير في الفواصل التالية:

﴿*إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً ۞ إن ناشئة الليل هي أشد وطئاً وأقوم قيلاً ۞ إن لك في النهار سبحاً طويلاً ۞ واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلاً ۞ رب المشرق والمغرب لآ إله إلا هو فاتخذه وكيلاً*﴾ المزمل ٥-٩.

وهذا المقطع يسود في سور مكية كثيرة، أهمها : الكهف، مريم، طه، الفرقان، النجم، نوح، الجن، المزمل، الإنسان، النبأ، النازعات، عبس، الأعلى، الشمس، الليل، الضحى، الزلزلة، العاديات.

٣- طويل مغلق (ص ع ع ص) ويشكل هذا المقطع النسبة الكبرى في فواصل القرآن الكريم، حيث تسهم فيه حروف العلة الطويلة الثلاثة، كما هو المقطع الصوتي الأخير في فواصل الأمثلة التالية:

أ - ﴿*إلا عباد الله المخلصين ۞ أولئك لهم رزق معلوم ۞ فواكه وهم مكرمون ۞ في جنات النعيم ۞ على سرر متقابلين ۞ يطاف عليهم بكاس من معين ۞ بيضاء لذة للشاربين ۞ لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون ۞ وعندهم قاصرات الطرف عين ۞ كانهن بيض مكنون*﴾ الصافات ٤٠-٤٩.

ب - ﴿*واذكر عبادنا إبراهيم وإسحق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار ۞ إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار ۞ وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار ۞ واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل*

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكل من الأخيار ❁ هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب ❁ جنات عدن مفتحة لهم الأبواب ﴾ ص ٤٥ - ٥٠.

جـ - ﴿ *والطور ❁ وكتاب مسطور ❁ في رق منشور ❁ والبيت المعمور ❁ والسقف المرفوع ❁ والبحر المسجور* ﴾ الطور ١-٦.

يسود هذا المقطع في فواصل أغلب السور المكية وأهمها:

الفاتحة، الأنعام، الأعراف، يونس، هود، يوسف، إبراهيم، الحجر، النحل، الأنبياء، المؤمنون، الشعراء، النمل، القصص، العنكبوت، الروم، لقمان، السجدة، سبأ، فاطر، يس، الصافات، ص، الزمر، غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف، ق، الذاريات، الطور، الرحمن، الواقعة، الملك، القلم، المعارج، المرسلات، الانفطار، المطففين، البروج، التين، العاديات، التكاثر، الفيل، الماعون، الناس.

يقول الزركشي : " قد كثر في القرآن الكريم ختم كلمة المقطع من الفاصلة بحروف المد واللين وإلحاقه بالنون، وحكمته وجود التمكن من التطريب بذلك ... وجاء القرآن على أعذب مقطع وأسهل موقف "[1].

وتكون الفواصل متقاربة إذا كان الردف [2] واواً أو ياءً، مثل " تؤمنون "، "العالمين"، ولكن إذا كان الردف ألفا يأخذ سمتاً يمتاز من غيره، مثل " الميعاد "، " الألباب ".

٤- مقطع مديد قصير الصائت (ص ع ص ص) وهو قليل الانتشار في الفواصل، إلا أنه ساد في فواصل بعض السور، مثل القدر، العصر، قريش، وبعض من آيات سورة القمر، وسورة الفجر.

مثال ذلك ، المقطع الصوتي الأخير في الفواصل التالية: ﴿ *إنا أنزلناه في ليلة القَدْر ❁ وما أدراك ما ليلة القَدْر ❁ ليلة القدر خير من ألف شَهْر ❁ تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمْر ❁ سلام هي حتى مطلع الفَجْر* ﴾ سورة القدر. ويمكن ملاحظة أن هذا المقطع يكثر مع الفواصل الرائية القرار، كما في سور القدر والعصر والفجر والقمر. فالراء من الحروف المانعة الدلقية المتكررة وبالتالي لا يصعب على القارئ أن يقف عليه لاسيما إذا سبق بأحد حروف القلقلة

---

(1) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٦٨/١.

(2) الحرف الذي يسبق القرار.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥- مقطع مديد طويل الصائت (ص ع ع ص ص) وهو نادر جداً في فواصل القرآن الكريم، حيث ورد في قوله تعالى ﴿ لم يطمثهن إنس قبلهم ولاجآنّ ﴾ في سورة الرحمن .

إن اطراد المقطع الأخير في الفواصل يوحد إيقاع السياق على الرغم من اختلاف قرار الفاصلة، أو تغير وزنها، أنظر مثلاً ﴿ ص والقرآن ذي الذكر ۞ بل الذين كفروا في عزة وشقاق ۞ كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص ۞ وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر ۞ كذاب ۞ أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب ۞ وانطلق الملأ منهم ان امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد ۞ ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق ۞ أأنزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكري بل لما يذوقوا عذاب﴾ ص١-٨ .

إذا نظرنا إلى فواصل النص الآنف، نجد أن العامل المشترك هم المقطع الأخير، وهو من الطويل المغلق (ص ع ع ص) .

الفاصلة	القرار	وزن الفاصلة	المقطع الأخير	نوعه
شِقاق	ق	فِعال	قافْ	ص ع ع ص
مَناص	ص	فَعال	ناصْ	ص ع ع ص
كَذّاب	ب	فَعّال	ذابْ	ص ع ع ص
عُجاب	ب	فُعال	جابْ	ص ع ع ص
يُراد	د	يُفعل	رادْ	ص ع ع ص
اختلاق	ق	افتعال	لاقْ	ص ع ع ص
عَذاب	ب	فَعال	ذابْ	ص ع ع ص

وفي سورة الفلق نلاحظ أن المقطع الأخير السائد هو القصير المغلق حيث يلعب دوراً هاماً في تحديد إيقاع السورة:﴿ *قل أعوذ برب الفلق ۞ من شر ما خلق ۞ ومن شر غاسق إذا وقب ۞ ومن شر النفاثات في العقد ۞ ومن شر حاسد إذا حسد*﴾ .

- All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفاصلـة	القـرار	وزن الفاصلة	المقطع الأخير	نوعه
فَلق	ق	فَعَل	لَقْ	ص ع ص
خَلق	ق	فَعَل	لَقْ	ص ع ص
وَقَب	ب	فَعَل	قَبْ	ص ع ص
عُقَد	د	فُعَل	قَدْ	ص ع ص
حَسَد	د	فَعَل	سَدْ	ص ع ص

مع ملاحظة أن وزن الفاصلة ساعد في رفع درجة الإيقاع، وكذلك كون حروف القرار تتصف بالقلقلة

المحور الثالث : إيقاع الفاصلة نفسها

ويكون إيقاع الفاصلة نفسها بأمرين : أولهما بتكرار اللفظة عينها، وثانيهما بتكرار وزن الفاصلة مع اختلاف مادتها.

أ – تكرار الفاصلة عينها: وقد ورد هذا في العديد من سور الكتاب العزيز، مما يرفع من درجة الإيقاع، ويكون هذا لغاية بلاغية ، ومن الأمثلة عليه:

١– ﴿ *الحاقة ۞ ما الحاقة ۞ وما أدراك ما الحاقة* ﴾ الحاقة ١-٣.

وكذلك ﴿ *القارعة ۞ ما القارعة ۞ وما أدراك ما القارعة* ﴾ القارعة ١-٣.

يقول سيد قطب في مقدمة سورة الحاقة: " هذه سورة هائلة رهيبة، قلّ أن يتلقاها الحس إلا بهزة عميقة، وتطالعه بالهول القاصم، والمشهد تلو المشهد، كله إيقاع ملح على الحس.

اسم القيامة المختار في هذه السورة: " الحاقة " وهي بلفظها وجرسها ومعناها تلقي في الحس معنى الجدّة والصرامة والحق والاستقرار. وإيقاع اللفظ بذاته أشبه شيء برفع الثقل طويلاً، ثم استقراره استقراراً مكيناً.

ويشارك إيقاع الفاصلة في السورة، برنته الخاصة [1] .

٢– ﴿ *إنا أنزلناه في ليلة القدر ۞ وما أدراك ما ليلة القدر* ﴾ القدر ١-٢ ، هذه الليلة العظيمة الشان، تكرر ذكرها لبيان قَدْرها وعلو منزلتها وتثبيت مقامها في النفوس.

٣– ﴿ *إنه فكّر وقدّر ۞ فقتل كيف قدر ۞ ثم قتل كيف قدّر* ﴾ المدثر ١٨-٢٠ .

إنه الوليد بن المغيرة الذي سمع القرآن وكاد يؤمن، ثم غير رأيه إرضاءً لقومه وصار يجتهد ماذا يقول في هذا القرآن الكريم: " يرسم تلك الصورة المبدعة المثيرة للسخرية والرجل

---

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن، ٣٦٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يكد ذهنه! ويعصر أعصابه ! يرسمها التعبير وهو يفكر ويدبر، ومعها دعوة هي قضاء "فقتل" ، واستنكار كله استهزاء " كيف قدر"، ثم تكرار الدعوة والاستنكار لزيادة الإيحاء بالتكرار [1].

٤- ومن أعجب السور في تكرار الفاصلة نفسها سورة الناس :

﴿ *قل أعوذ برب الناس ۞ ملك الناس ۞ إله الناس ۞ من شر الوسواس الخناس ۞ الذي يوسوس في صدور الناس ۞ من الجنة والناس* ﴾

حيث تكررت كلمة الناس خمس مرات في فواصل آيات ست، وحتى الكلمة المختلفة "الخناس" تشارك كلمة الناس في أغلب أحرفها.

إنه إيقاع مميز، حيث يرتسم بتكرار اللفظة وزناً ومادة، وبتكرار قرار الفاصلة : حرف السين، إذ يتناسب تماماً وجوّ السورة التي تناقش أمر الوَسْوَسة، فهو حرف صفيري مهموس.

٥- تكررت الفاصلة في السور التي تتضمن لازمة ترد عدة مرات .

وتالياً جدول يبين بعض السور التي فيها مثل هذه الظاهرة.

السورة	الفاصلة	عدد مرات التكرار
الكهف	سبباً	٣
مريم	نبياً	٧
الشعراء	مؤمنين	١٤
الشعراء	الرحيم	٩
الشعراء	العالمين	٩
القمر	نذر، النذر	٩
المرسلات	للمكذبين	١٠

والأمر البلاغي، أو النقدي، الذي تفترق فيه الفاصلة القرآنية من القافية الشعرية أن من المعيب في الشعر أن تتكرر القافية قبل سبعة أبيات، وليس ذلك بعيب في الفاصلة [2].

ب - تكرار وزن الفاصلة مع اختلاف مادتها: وهذا كثير في السور المكية حيث تختلف مادة الفاصلة، لكن وزنها متحد، وفي بعض الأحيان يختلف القرار ومادة الفاصلة، ويبقى الشيء المشترك الوحيد هو الوزن، فيسيطر بذلك على إيقاع الفواصل.

---

(١) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ٣٧٥٧ .

(٢) عدنان محمد زرزور، علوم القرآن، ٢٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الأمثلة على ذلك :

١- عندما يتماثل القرار والوزن، وتختلف مادة الجذر:

﴿ *والنازعات غرقاً ۞ والناشطات نشطاً ۞ والسابحات سبحاً ۞ فالسابقات سبقا ۞ فالمدبرات أمراً* ﴾ النازعات ١-٥ ، حيث كان القرار فونيم الألف، وكان الوزن الثابت "فَعْلاً ".

٢- ﴿ *ق والقرآن المجيد ۞ بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب ۞ أإذا متنا وكنا تراباً ذلك رجع بعيد ۞ قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ ۞ بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج* ﴾ ق ١-٥.

عند النظر إلى الفواصل (مجيد، عجيب، بعيد، حفيظ، مريج) نجد أن مادة جذرها مختلفة، وأن قرار الفاصلة مختلف أيضاً، لكن الذي وحد هذه الفواصل هو الوزن، حيث جاءت كلها على وزن فعيل.

٣- ﴿ *يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ۞ وتكون الجبال كالعهن المنفوش* ﴾ القارعة ٤-٥.

فكلا الفاصلتين على وزن اسم المفعول.

٤- ﴿ *في سدر مخضود ۞ وطلح منضود ۞ وظل ممدود ۞ وماء مسكوب* ﴾ الواقعة ٢٨-٣١.

حيث جاءت كل الفواصل على وزن اسم المفعول.

٥- ﴿ *وحفظاً من كل شيطان مارد ۞ لا يسّمّعون إلى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب، ۞ دحوراً ولهم عذاب واصب* ﴾ الصافات ٧-٩.

جاءت كل الفواصل على وزن اسم الفاعل.

٦- ﴿ *وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ۞ ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون* ﴾ يس ٧٢-٧٣. الفاصلتان على وزن يفعلون .

٧- ﴿ *وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ۞ قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال أولو كنا كارهين ۞ قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علماً على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين ۞ وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيباً إنكم إذا لخاسرون ۞ فأخذتهم الرجفة فأصبحو في دارهم جاثمين ۞ الذين كذبوا شعيباً كأن لم يغنوا فيها الذين*

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين ۞ فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين ﴾ الأعراف ٨٧ - ٩٣.

الفواصل : " الحاكمين ، كارهين، الفاتحين، الخاسرون، جاثمين، الخاسرين، كافرين ﴾ كانت كلها جمع مذكر سالماً لاسم الفاعل من الثلاثي. وهذا التناظر في الوزن يعطي رونقاً وجمالاً صوتياً إضافياً، ونشير هنا إلى أن الفواصل السابقة لهذا النص كانت " المجرمين، مؤمنين، المفسدين" على التوالي أي جمع مذكر سالم لاسم الفاعل من الرباعي ، مما يمايز بين السياقين. هذا وقد أشار القدماء إلى مثل هذا التشابه في الوزن، قال أبو هلال العسكري: " وأما ما زووج بينه بالفواصل فهو كثير. مثل قوله تعالى : ﴿ *فإذا فرغت فانصب ۞ وإلى ربك فارغب* ﴾ الشرح ٧-٨ ، وقوله سبحانه ﴿ فأما اليتيم فلا تقهر ۞ وأما السائل فلا تنهر ﴾[1]. الضحى ٩-١٠ .

---

(1) أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، ٢٦٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل السابع

إيقـــاع التراكيـــــب

عندما تجتمع الكلمات ضمن علاقة نحوية، يتشكل التركيب، الذي يطلق عليه عادة الجملة، والجملة: " اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليها" [1]، وفي تعريف آخر : " أقل قدر من الكـلام يفيد السامع معنىً مستقلاً بنفسه، سواء تركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر "[2] .

والعلائق النحوية هي التي تصنع أنماط التراكيب من اسمية وفعلية، خبرية وإنشائية، منفية ومؤكدة، تعجبية واستفهامية، إلى ما هنالك مـن أصنـاف الـتراكيب، حيـث لكـل تركيـب أسـلوب خاص في نغمة النطق، " إن كثيراً من الأسـاليب النحويـة واللغويـة تقـوم علـى النغمـة الصوتيـة، أو تـؤدي النغمـة الصوتيـة فيهـا دوراً رئيسـياً، كمـا في الاسـتفهام، والتعجـب والإنكـار والتهكـم والاختصاص والإغراء والتحذير" [3] .

ويستخدم القرآن الكريم التراكيب المتعددة في تشكيل الإيقاع، حيث كرر التراكيب بصور شتى، " فورود التكرار في القرآن دليل على قيمة أدائه في التعبير البياني، فالقرآن خاطب العرب بما يألفون من الأساليب، وبكلام يدركون مواقفه ومراميه" [4] .

ويتناول الباحث إيقاع التراكيب على أربعة محاور:

١- ترداد التركيب ذاته.

٢- ترداد نوع التركيب.

٣- ترداد طول التركيب.

٤- التدرج في طول التركيب.

---

(١) ابن جني، الخصائص، ١١/١.

(٢) ضير سلطان، بلاغة الكلمة والجملة والجمل، ١٠١.

(٣) خليل عمايرة، في نحو اللغة العربية وتراكيبها، ٣٥.

(٤) أيمن دراوشة، التكرار وأثره في الموسيقى الشعرية، ٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المحور الأول : ترداد التركيب ذاته

١- تمثل سورة الرحمن [١] الذروة في الإيقاع التركيبي، حيث تكرر فيها التركيب ذاته كما لم يتكرر في سائر القرآن، مما منح السورة شحنة شعورية عالية، وجمالاً مميزاً بين سور القرآن، حتى سميت بعروس القرآن [٢] .

فقد تكررت الآية ﴿ *فبأي آلاء ربكما تكذبان* ﴾ ثلاثين مرة في سورة آياتها ثمان وسبعون، " هذه السورة المكية ذات نسق خاص ملحوظ، إنها إعلان عام في ساحة الوجود الكبير، ...، ورنة الإعلان تتجلى في بناء السورة كله، وفي إيقاع فواصلها" [٣]، وفي هذا التكرار العجيب للازمة القرآنية.

﴿ *فبأي آلاء ربكما تكذبان ✿ خلق الإنسان من صلصال كالفخار ✿ وخلق الجان من مارج من نار فبأي آلاء ربكما تكذبان ✿ رب المشرقين ورب المغربين*

فبأي آلاء ربكما تكذبان ✿ مرج البحرين يلتقيان ✿ بينهما برزخ لا يبغيان

فبأي آلاء ربكما تكذبان ✿ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان

فبأي آلاء ربكما تكذبان ✿ وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام

فبأي آلاء ربكما تكذبان ✿ كل من عليها فان ✿ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام

فبأي آلاء ربكما تكذبان ✿ يسأله من في السماوات والأرض كل يوم هو في شأن

فبأي آلاء ربكما تكذبان ✿ سنفرغ لكم أيَه الثقلان

فبأي آلاء ربكما تكذبان ✿ يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان

فبأي آلاء ربكما تكذبان ✿ يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران

فبأي آلاء ربكما تكذبان ✿ فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان

فبأي آلاء ربكما تكذبان ✿ فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان

فبأي آلاء ربكما تكذبان ✿ يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام

فبأي آلاء ربكما تكذبان ✿ هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون ✿ يطوفون بينها وبين حميم آن

---

(١) على اعتبار أنها من القرآن المكي.

(٢) سميت في حديث "عروس القرآن"، أخرجه البيهقي عن علي مرفوعاً.
انظر السيوطي، الاتقان، ٥٤/١.

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن، ٣٤٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فبأي آلاء ربكما تكذبان ۞ ولمن خاف مقام ربه جنتان

فبأي آلاء ربكما تكذبان ۞ ذواتا أفنان

فبأي آلاء ربكما تكذبان ۞ فيهما عينان تجريان

فبأي آلاء ربكما تكذبان ۞ فيهما من كل فاكهة زوجان.

فبأي آلاء ربكما تكذبان ۞ متكئين على فرش بطائنها من إستبرق وجنى الجنتين دان

فبأي آلاء ربكما تكذبان ۞ فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان

فبأي آلاء ربكما تكذبان ۞ كأنهن الياقوت والمرجان

فبأي آلاء ربكما تكذبان ۞هل جزاء الإحسان إلا الإحسان

فبأي آلاء ربكما تكذبان ۞ ومن دونهما جنتان

فبأي آلاء ربكما تكذبان ۞ مدهامتان

فبأي آلاء ربكما تكذبان ۞ فيهما عينان نضاختان

فبأي آلاء ربكما تكذبان ۞ فيهما فاكهة ونخل ورمان

فبأي آلاء ربكما تكذبان ۞ فيهن خيرات حسان

فبأي آلاء ربكما تكذبان ۞ حور مقصورات في الخيام

فبأي آلاء ربكما تكذبان ۞ لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان.

فبأي آلاء ربكما تكذبان ۞ متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان

فبأي آلاء ربكما تكذبان ۞ تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام ﴾ الرحمن ١٣-٧٨.

كل هذا تذكير بنعم الله تعالى في الأنفس والآفاق، وآياته العظيمة في الدنيا والآخرة، فالنفس يعتريها النسيان، ويضعف منها العزم، فكان هذا التكثيف الشديد لتنبيه الغافل، وإيقاظ الوَسْنان.

٢- وفي سورة المرسلات تكررت فيها اللازمة ﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾ عشر مرات، لنذارة الغافلين، وتشديد الوعيد عليهم:

﴿ ويل يومئذ للمكذبين ۞ ألم نهلك الأولين ۞ ثم نتبعهم الآخرين ۞ كذلك نفعل بالمجرمين

ويل يومئذ للمكذبين ۞ ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين ۞ إلى قدر معلوم۞ فقدرنا فنعم القادرون

ويل يومئذ للمكذبين ۞ ألم نجعل الأرض كفاتاً ۞ أحياءً وأمواتاً ۞ وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقيناكم ماء فراتا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويل يومئذ للمكذبين ✿ انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون ✿ انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب ✿ إنها ترمي بشرر كالقصر ✿ كأنه جمالت صفر

ويل يومئذ للمكذبين ✿ هذا يوم لا ينطقون ✿ ولا يؤذن لهم فيعتذرون

ويل يومئذ للمكذبين ✿ هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين ✿ فإن كان لكم كيد فكيدون

ويل يومئذ للمكذبين ✿ إن المتقين في ظلال وعيون ✿ وفواكه مما يشتهون ✿ كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون ✿ إنا كذلك نجزي المحسنين

ويل يومئذ للمكذبين ✿ كلوا وتمتعوا قليلاً إنكم مجرمون

ويل يومئذ للمكذبين ✿ وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون

ويل يومئذ للمكذبين ✿ فبأي حديث بعده يؤمنون ﴾ المرسلات ١٥-٥٠

" هذه السورة حادة الملامح، عنيفة المشاهد، شديدة الإيقاع، كأنها سياط لاذعة من نار "ويل يومئذ للمكذبين" يتكرر هذا التعقيب عشر مرات في السورة، وهو لازمة الإيقاع فيها، وهو أنسب تعقيب لملامحها الحادة، ومشاهدها العنيفة، وإيقاعها الشديد.

وتكرارها هنا على هذا النحو يعطي السورة سمة خاصة وطعماً مميزاً ... حاداً" [1]

٣- وفي سورة القمر، السورة ذات الإيقاع الخاص المميز، نرى أن ترداد التركيب ذاته قد وظف أكثر من مرة:

فلازمة ﴿ *فكيف كان عذابي ونذر* ﴾ وردت في الآيات ١٦،١٨،٢١،٣٠

ولازمة ﴿ *ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر* ﴾ وردت في الآيات ١٧،٢٢،٣٢.

ولازمة ﴿ *فذوقوا عذابي ونذر* ﴾ وردت في الآيتين ٣٧،٣٩.

فكانت الأولى تذكيراً بعذاب الله المقتدر، والثانية تأكيداً على تيسير القرآن الكريم للذكر، والثالثة عذاباً نفسياً فوق العذاب المادي.

٤- ومن أمثلة تكرار التركيب ذاته ما ورد في سورة الشرح، حيث أعيد التركيب لمزيد من التوكيد

﴿ *فإن مع العسر يسراً*

إن مع العسر يسراً ﴾ الشرح ٥-٦.

فأكد أن العسر المعرّف والمعهود يأتي مع تيسير من الله ، والتكرار هنا ثنى اليسر، حيث ورد في الأثر "لا يغلب عسر يسرين"، "وهذا التكرار يشي بأن -الرسول صلى الله عليه وسلم-

---

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن، ٣٧٨٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كان في عسرة وضيق ومشقة، اقتضت هـذه الملاحظة، وهـذا التذكير، وهـذا الاستحضار لمظاهر العناية، وهذا الاستعراض لمواقع الرعاية، وهذا التوكيد بكل ضروب التوكيد"[1]

ونضيف ثلاثة أمثلة أخرى لبيان الظاهرة جلية في السور المكية.

٥- في سورة النبأ ﴿ *كلا سيعلمون*

ثم كلا سيعلمون ﴾ النبأ ٤-٥.

"كلا " الرادعة، إنه تأكيد الحزم والشدة.

٦- وفي سورة القيامة ﴿ *أولى لك فأولى*

ثم أولى لك فأولى ﴾ القيامة ٣٤ -٣٥.

تأكيد لمعنى " وليك الويل، وأصلـه: أولاك الله مـا تكرهـه، يتكرر عليـك ذلـك مـرة بعـد مرة"[2]

٧- وفي سورة التكاثر ﴿ *كلا سوف تعلمون*

ثـم كلا سوف تعلمون ﴾ التكاثر ٣-٤.

ومن أمثلة تكرار التركيب ذاته أن ترد الآية نفسـها في أكـثر مـن سـورة مـن سـور القرآن الكريم، فقد وردت الآية ﴿ *ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين* ﴾ في ست مواضع في السور المكية: يونس ٤٨، الأنبياء ٣٨، النمل ٧١، سبأ ٢٩، يس ٤٨، الملك ٢٥، كما وردت الآية ﴿ *ويقولون متـى هذا الفتح إن كنتم صادقين*﴾ في سورة السجدة ٢٨. وذلك حتى يتجاوب الصدى بـين جنبـات هـذا الكتاب العزيز، وتكون معالم لمن يحفظ كتاب الله -تعالى-.

- وردت الآية ﴿ *إن الأبرار لفي نعيم* ﴾ في موضعين الانفطار ١٣، المطففين ٢٢. وهمـا سـورتان متتابعتان في المصحف.
- والتركيب ﴿ *فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون* ﴾ في موضعين النحل ٤٣، الأنبياء ٧.
- وهناك آيتان متقاربتان جداً ﴿ *بل الذين كفروا يكذبون* ﴾ الانشقاق ٢٢

﴿ *بل الذين كفروا في تكذيب* ﴾ البروج ١٩

---

(١) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ٣٩٣٠ .

(٢) محمد سليمان الأشقر، زبدة التفسير، ٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المحور الثاني: ترداد نوع التركيب

وهذا مظهر جديد من مظاهر الإيقاع على مستوى التركيب، حيث يتكرر هنا نوع التركيب لا ذاته، فقد يكون الترداد لتركيب الجمل الشرطية، أو جمل التوكيد، أو الجمل الظرفية المصدرة بـ "إذا"، أو جمل الفعل يتبعه المصدر، أو جمل الاستفهام، وغير ذلك من أنواع التراكيب، فيكون الترداد هنا مظهراً لنوع التركيب المقصود، وهو كثير في السور المكية، ومن أمثلته :

١- ﴿ *من يشأ الله يضلله ، ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم* ﴾ الأنعام ٣٩ ، حيث تكررت جملتان شرطيتان، مع اختلاف في بعض المفردات، محدثة تناظراً جميلاً بين شقي الآية.

٢- ﴿ *ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ۞ ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون* ﴾ يونس ٤٢-٤٣.

فتكررت جملتان خبريتان بعدهما جملتان إستفهاميتان، مما يحقق تناظراً جميلاً وإيقاعاً خاصاً.

٣- وبالنظر إلى الآيتين التاليتين:

﴿ *ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ، إن ربك من بعدها لغفور رحيم* ﴾ النحل ١١٠.

﴿ *ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا، إن ربك من بعدها لغفور رحيم* ﴾ النحل ١١٩، حيث نلاحظ الجمال والتناسق بين ﴿ *إن ربك للذين هاجروا* ﴾ و ﴿ *إن ربك للذين عملو السوء* ﴾ في مطلع الآيتين، وتكرار الجملة التوكيدية نفسها في خاتمة الآيتين ﴿ *إن ربك من بعدها لغفور رحيم* ﴾ لإحداث الصورة الإيقاعية بين الآيتين الكريمتين.

٤- التقارب اللطيف بين الآيتين ﴿ *وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوما يبعث حياً* ﴾ مريم ١٥، و ﴿ *والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً* ﴾ مريم ٣٣.

٥- ﴿ *إذا السماء انشقت ۞ وأذنت لربها وحقت*

وإذا الأرض مدت ۞ وألقت ما فيها وتخلت ۞ وأذنت لربها وحقت ﴾ الإنشقاق ١-٥.

جاء التشابه بين التراكيب لبيان المصير المتشابه للسماوات والأرض.

٦- ﴿ *أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت*

وإلى السماء كيف رفعت

وإلى الجبال كيف نصبت

وإلى الأرض كيف سطحت ﴾ الغاشية ١٧-٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فتشترك التراكيب الأربعة في دعوة الإنسان للنظر في مضمونها، والتفكير في عجيب خلقها.

ونزيد بعض الأمثلة التي يتردد فيها نوع التركيب :

٧ - ﴿ *فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن*
وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن ﴾ الفجر ١٥-١٦.

٨ - ﴿ *فيومئذ لا يعذب عذابه أحد*
ولا يوثق وثاقه أحد ﴾ الفجر ٢٥-٢٦.

٩ - ﴿ *فأما اليتيم فلا تقهر*
وأما السائل فلا تنهر ﴾ الضحى ٩-١٠.

١٠ - ﴿ *أرأيت الذي ينهى ۞ عبدًا إذا صلى*
أرأيت إن كان على الهدى ۞ أو أمر بالتقوى
أرأيت إن كذب وتولى ۞ ألم يعلم بأن الله يرى ﴾ العلق ٩-١٤.

١١ - ومن التناظرات اللطيفة في التركيب، توزيع سورة الكافرون:

(١)	قل يا أيها الكافرون					
(٢)		لا		أعبد	ما	تعبدون
(٣)	و	لا	أنتم	عابدون	ما	أعبد
(٤)	و	لا	أنا	عابد	ما	عبدتم
(٥)	و	لا	أنتم	عابدون	ما	أعبد
(٦)		لكم				دينكم
	و	لي				دين

وهو تناظر جميل بين التراكيب ولا شك. ويقول البدراوي زهران الذي قام بالتوزيع الآنف لسورة الكافرون: "أمامنا عنصر التكرار أو التجانس كما يسمى، وتطالعنا الواو التي يتكرر ورودها أربع مرات، وهي تمثل (فونيماً أصلياً) ومورفيماً معاً لها وظيفة، وأمامنا ضمير المخاطب الذي يتكرر وروده مرتين بينهما ضمير المتكلم، هذه الضمائر معاً تعتمد في بنيتها على أصوات أساسية متحدة يحدث تكرارها نوعاً من التجانس الذي يسمى تجانساً صوتياً بحتاً، أما مادة (عبد) فيتكرر ورودها ثماني مرات في صيغ مختلفة ... وهنا تجانس صوتي أيضاً من أنواع مختلفة، وهناك تجانس صوتي في تكرار لام الجر مع لفظ (دين) مضافاً إلى ضميرين" [١] .

---

[١] البدراوي زهران، ظواهر قرآنية في ضوء الدراسات اللغوية، ٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المحور الثالث : ترداد طول التركيب

يسير الإيقاع القرآني أحياناً بطريقة متساوقة، حيث تتكرر عدة تراكيب لها طول متقارب، لتعطي تزاوجاً بين الفقرات، وتناسباً بين الآيات، ويقول فراي: "ينحو الخطاب إلى أن يسوده نوع من الوزن المنتظم نسبياً، وحتى النثر الخطابي تظهر فيه عدة علائم وزنية، سواءً في تركيبه النحوي، أو في علامات وقفه" [1]، وهذا ما يسمّى السجع " وهو في اللغة الكلام المقفى، أو موالاة الكلام على روي واحد، وجمعه أسجاع وأساجيع، وفي الاصطلاح: تواطؤ الفواصل في النثر على حرف واحد" [2]، ولكنه بشكل أوضح تناسُب الفِقَر، الذي يرافقه غالباً تشابه المقطع الأخير في الجملة.

وقد يعترض البعض على تسمية التعادل بين الآيات بالسجع، وذلك للحديث الشريف "اسجعاً كسجع الكهان"، ولكن " الذين أثبتوا السجع رأوا فيه أن الإعجاز واقع في سمو السجع في القرآن عما هو عليه في سجع البشر، وأن الحديث الشريف لم ينه عن جنس السجع، بل نهى عن سجع الكهان، أو اتخاذ السجع وسيلة للتأثير الباطل "[3].

وهذا التوجه هو الأصح، إذ لو كان الأمر على النهي العام عن السجع، ما استخدمه الخطباء وأهل الأدب طيلة التاريخ الإسلامي، حتى " أفاض بعضهم في بيان أثر السجع في التعبير الفني بما يحدثه من إيقاع موسيقي تطرب له النفس، وتنشط لسماعه، مما يؤكد إدراكهم الجيد لقيمته الفنية. ولقد استخدم القرآن الكريم في بيانه الأعلى هذه الوسيلة البلاغية وأكثر منها بخاصة في السور المكية، ولا نكاد نجد سورة مكية تخلو منه " [4].

ولنأخذ مجموعة من النصوص الكريمة، التي تتعادل فيها التراكيب:

١- يحتوي النص الكريم التالي على أربعة تراكيب متوازنة، وكل تركيب يتكون من ثلاث كلمات متناظرة، تجعل التراكيب غاية في الإيقاعية والجمال.

﴿ *فإذا النجوم طمست*

وإذا السماء فرجت

وإذا الجبال نسفت

وإذا الرسل أقتت ﴾ المرسلات ٨-١١ .

---

(١) نورثروب فراي، تشريح النقد، ترجمة محمد عصفور، ٣٢٣.

(٢) عبد الفتاح لاشين، البديع في ضوء أساليب القرآن، ١٢٥.

(٣) محمد الحسناوي، الفاصلة في القرآن، ٣٨٢.

(٤) محمد أحمد خلة، دراسات قرآنية في جزء عم، ١١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- في المثال الثاني نطلع على شوط طويل من سورة التكوير، حيث تشكل مثالاً واضحاً على السجع القرآني، إذ يمتد التركيب المتساوق أربع عشرة آية، ثم في الآيات الأربع التالية يتشكل بشخصية أخرى، ثم في الآيات اللاحقة يأخذ صورة جديدة وهكذا، فنرى أن طول الآيات، يؤدي دوراً كبيراً في إحداث الإيقاع الجميل في أجواء السورة الكريمة، إضافة إلى تناظر حرف الروي بين كل مجموعة من الآيات المتتابعة:

﴿ *إذا الشمس كورت*
وإذا النجوم انكدرت
وإذا الجبال سيرت
وإذا العشار عطلت
وإذا الوحوش حشرت
وإذا البحار سجرت
وإذا النفوس زوجت
وإذا الموءودة سئلت
بأي ذنب قتلت
وإذا الصحف نشرت
وإذا السماء كشطت
وإذا الجحيم سعرت
وإذا الجنة أزلفت
علمت نفس ما أحضرت
فلا أقسم بالخنس
الجوار الكنس
والليل إذا عسعس
والصبح إذا تنفس ﴾ التكوير ١-٢٥.

٣- وهذا مثال آخر يبين اختلاف الإيقاعات في السورة الواحدة، متأثرة بطول التراكيب، واختلافه بين مقطع وآخر، حيث يمكن النظر إلى سورة العاديات ضمن أربعة أنساق تركيبية:

﴿ *والعاديات ضبحاً*
فالموريات قدحاً
فالمغيرات صبحاً

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فأثرن به نقعاً

فوسطن به جمعاً

إن الإنسان لربه لكنود

وإنه على ذلك لشهيد

وإنه لحب الخير لشديد

أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور

وحصل ما في الصدور

إن ربهم بهم يومئذ لخبير ﴾ سورة العاديات.

ونضيف أمثلة أخرى يظهر فيها واضحاً إيقاع التراكيب المتساوية :

٤- ﴿ إذا السماء انفطرت

وإذا الكواكب انتثرت

وإذا البحار فجرت

وإذا القبور بعثرت

علمت نفس ما قدمت وأخرت ﴾ الانفطار ١-٥.

٥- ﴿ في سدر مخضود

وطلح منضود

وظل ممدود

وماء مسكوب

وفاكهة كثيرة

لا مقطوعة ولا ممنوعة

وفرش مرفوعة ﴾ الواقعة ٢٨-٣٤.

٦- ﴿ والسماء ذات الرجع

والأرض ذات الصدع

إنه لقول فصل

وما هو بالهزل ﴾ الطارق ١١-١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المحور الرابع : التدرج في طول التركيب

إن القارئ لكتاب الله العزيز يطالعه النمو التدريجي الذي يأخذ بالازدياد، فتبدأ من التركيب القصير إلى الطويل، وكأنه رفع تدريجي لدرجة الإيقاع، ويتكرر هذا كثيراً في مطالع السور، وبصورة أقل في ثناياها، حيث يتناسب إلى حد كبير مع تهيئة ذهن المتلقي، وتهيئة جهازه التنفسي وجهاز النطق عنده. والأمثلة التالية خير شاهد على هذا الإيقاع المتنامي.

١- ﴿ *والعصر*

إن الإنسان لفي خسر

إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ سورة العصر.

٢- ﴿ *والفجر*

وليال عشر

والشفع والوتر

والليل إذا يسر

هل في ذلك قسم لذي حجر ﴾ الفجر ١-٥.

٣- ﴿ *إن للمتقين مفازا*

حدائق وأعنابا

وكواعب أترابا

وكاسا دهاقا

لايسمعون فيها لغوا ولا كذابا

جزاء من ربك عطاء حسابا

رب السماوات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا

يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا ﴾

النبأ ٣١-٣٨.

٤- ﴿ *فاين تذهبون*

إن هو إلا ذكر للعالمين

لمن شاء منكم أن يستقيم

وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين ﴾ التكوير ٢٦-٢٩.

٥- ﴿ *وقيل من راق*

وظن أنه الفراق

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والتفت الساق بالساق

إلى ربك يومئذ المساق ﴾ القيامة ٢٧-٣٠.

٦- ﴿ حم

والكتاب المبين

إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون

وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم

أفنضرب عنكم الذكر صفحاً أن كنتم قوماً مسرفين ﴾ الزخرف ١-٥.

٧- ﴿ ص والقرآن ذي الذكر

بل الذين كفروا في عزة وشقاق

كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص

وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب ﴾ ص ١-٤.

٨- ﴿ الحاقة

ما الحاقة

وما أدراك ما الحاقة

كذبت ثمود وعاد بالقارعة

فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية ﴾ الحاقة ١-٥.

وفي أحايين أقل تنتقل التراكيب من الطويل إلى القصير، مهدئة من درجة الإيقاع، وموطئة لنهاية الموضوع الذي تتناوله الآيات :

١- ﴿ قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذاباً ضعفاً في النار

وقالوا ما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم من الأشرار

أتخذناهم سخرياً أم زاغت عنهم الأبصار

إن ذلك لحق تخاصم أهل النار ﴾ ص ٦١-٦٤.

٢- ﴿ يا أيتها النفس المطمئنة

أرجعي إلى ربك راضية مرضية

فادخلي في عبادي

وادخلي جنتي ﴾ الفجر ٢٧-٣٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣- ﴿ وما لأحد عنده من نعمة تجزى
إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى
ولسوف يرضى ﴾ الليل ١٩-٢١.

٤- ﴿ إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون
هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون
لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون
سلام قولاً من رب رحيم ﴾ يس ٥٥-٥٨.

وفي أحيان أخرى تبرز آية بطولها الواضح بين مجموعة من الآيات القصار، إبرازاً لأهمية الموضوع الذي تتناوله، وتغييراً لنمط الإيقاع السائد، ونضرب مثالين على ذلك :

١- ﴿ فكيف تتقون إن كفرتم يوماً يجعل الولدان شيباً
السماء منفطر به كان وعده مفعولاً
إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً
إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك، والله يقدر الليل والنهار، علم أن لن تحصوه فتاب عليكم، فاقرءوا ما تيسر من القرآن، علم أن سيكون منكم مرضى، وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله، وآخرون يقاتلون في سبيل الله، فاقرءوا ما تيسر منه، وأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأقرضوا الله قرضاً حسناً وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً واستغفروا الله إن الله غفور رحيم ﴾ المزمل ١٧-٢٠.

٢- ﴿ ساصليه سقر
وما أدراك ما سقر
لا تبقي ولا تذر
لواحة للبشر
عليها تسعة عشر
وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة، وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا، ليستيقن الذي أوتوا الكتاب، ويزداد الذين آمنوا إيماناً، ولا يرتاب الذي أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلاً، كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء، وما يعلم جنود ربك إلا هو، وما هي إلا ذكرى للبشر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كلا والقمر

والليل إذ أدبر

والصبح إذا أسفر

إنها لإحدى الكبر

نذيراً للبشر ﴾ المدثر ٢٦-٣٦.

فإضافة إلى إبراز الفكرة المتضمنة في الآية المميزة، هناك مظهر صوتي مقصود، " فالقرآن الكريم حين يكسر هذه الرتابة يثري التعبير بأنغام موسيقية متنوعة، تنحدر فيها موجات النغم، وتتنوع أصداؤه "[1].

[1] محمد أحمد لحلة، دراسات قرآنية في جزء عم، ١١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثامن

إيقـاع السيـــاق

عندما تتتابع مجموعة من التراكيب النحوية تنتظم في سلك واحد لتؤدي معنىً عاماً كبيراً ضمن صياغة أكثر تعقيداً تسمى السياق. وتختلف السياقات القرآنية وتتلون ما بين سياق قصصي او سياق فكرة مقصودة، أو سياق استهلالي في مطالع السور ، أو سياق عرض النعيم أو الجحيم، أو تعداد نعم المولى –عز وجل–.

ونلاحظ هنا أنه يوجد في القرآن الكريم إيقاع ممتد، يتجاوز الحرف والمقطع والكلمة والتركيب البسيط، إلى إيقاع السياق فنرى أن السياق يتردد في السورة الواحدة، أو بين عدد من سور القرآن الكريم، سواءً على مستوى السياق القصصي، أو سياق الموضوعات، وقد يطول التقابل بين السياقات وقد يقصر، لكنه بلا شك يؤدي دوراً جمالياً، يبعث الصدى بين أقسام السورة نفسها أو بين السور المكية، أو بين المكية والمدنية.

وهذا الإيقاع ، فضلاً عن دوره الجمالي ، يأتي لتثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم، وتركيز الفكرة في ذهن المخاطبين، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا التشابه بين أطراف هذا الكتاب العظيم: ﴿*الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد*﴾ الزمر ٢٣.

فتزداد السياق يبعث الخشية في النفس المؤمنة، فتخبت إلى ربها، وتزداد هدى.

وسنتناول إيقاع السياق على اربعة محاور:

١– إيقاع الموضوع في السورة الواحدة.

٢– إيقاع القصص في السورة الواحدة.

٣– إيقاع الموضوع في أكثر من سورة.

٤– إيقاع القصص في أكثر من سورة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المحور الأول : إيقاع الموضوع في السورة الواحدة

ونعرض هنا مجموعة من النماذج:

١- ﴿ *ومن آياته أن خلقكم من تراب*

ثم إذا أنتم بشر تنتشرون

ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة

إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون

ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم

إن في ذلك لآيات للعالمين

ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله

إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون

ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها

إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون

ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره

ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون ﴾ الروم ٢٠-٢٥.

نلاحظ هذا التناظر الجميل في سورة الروم، حيث يعدد الله تعالى نعمه على عباده في الأنفس والآفاق، ويثني بالتأثر الإيماني الذي ينبغي أن يرسخ في النفس المؤمنة.

" دلالة التلازم في النموذج :

١- اطراد الكثرة في النعم التي أنعم الله تعالى بها على عباده، من خلال اطراد التلازم في سياق التعبير.

٢- الإيحاء بوحدة الخالق وبعظمته من خلال اطراد التلازم في تعداد النعم وآيات الخلق الكثيرة على نسق واحد.

٣- قضية الإقناع الفكرية الوجدانية بآن واحد. من خلال:

أ - عرض آيات الله في الخلق ثم الدعوة إلى التفكّر فيها، مرّة بعد مرة.

ب - تنوع الآيات المعروضة أمام الفكر والنظر، ثم وحدة الدعوة إلى التأمل مرة بعد مرة.

حـ - توافق الأسلوب في التعبير عن المعاني : قرينة فتعقيباً في المرة الواحدة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

د – اطراد هذا التوافق [1].

٢– ﴿أمّن خلق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماءً فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها

أإله مع الله بل هم قوم يعدلون

أمّن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً

أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون

أمّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض

أإله مع الله قليلاً ما تذكرون

أمّن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته

أإله مع الله تعالى الله عمّا يشركون

أمّن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض

أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ النمل ٦٠–٦٤.

هذا النموذج الموقع في سورة النمل يرسم صورة جميلة لسياق يتردد ويتزدد، فهو في كل مرة يلفت النظر إلى فعل من أفعال الله العظيمة، في السماء والأرض، في البر والبحر، في الإنسان وخلقه، مع سؤال استنكاري في كل مرحلة، ينكر على من يتخذ لله نداً وشريكاً، وكفى بهذا الإيقاع المؤثر تنبيهاً وإرشاداً لإفراد الله جل وعلا بالتوجه إليه في الرخاء والشدة، رجاءً وخوفاً.

٣– ﴿أفرأيتم ما تمنون ✿ أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون

نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين ✿ على أن نبدل أمثالكم

وننشئكم في ما لا تعلمون ✿ ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون

أفرأيتم ما تحرثون ✿ أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون

لو نشاء لجعلناه حطاماً فظلتم تفكهون ✿ إنا لمغرمون ✿ بل نحن محرومون

أفرأيتم الماء الذي تشربون ✿ أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون

لو نشاء جعلناه أجاجاً فلولا تشكرون

أفرأيتم النار التي تورون ✿ أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون

نحن جعلناها تذكرة ومتاعاً للمقوين ✿ فسبح باسم ربك العظيم﴾

الواقعة ٥٨–٧٤.

---

[1] محمد الحسناوي، الفاصلة في القرآن، ٢٥٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنه إيقاع يثير الفطرة للنظر في ما حولها، وإلى عظيم نعم الله تعالى، إذ هي مألوفة لديهم، لكنها سر القدرة المبدعة، وعلى هذا المنهج يسير في هذا الشوط من السورة، وهو يعرض عليهم آيات القدرة المبدعة في خلقهم هم أنفسهم، وفي زرعهم الذي تزاولة أيديهم، وفي الماء الذي يشربون، وفي النار التي يوقدون ... إن طريقة القرآن في مخاطبة الفطرة البشرية تدل بذاتها على مصدره ... إنه المصدر الذي صدر منه الكون .. فمن أبسط المواد الكونية تنشأ أعقد الأشكال، وأضخم الخلائق [1]

٤- ﴿ *وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً حتى إذا جاؤوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ۞ قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين.*

وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ۞ وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين ﴾ الزمر ٧١-٧٤.

إنه التقابل بين مصائر أهل الكفر وأهل التقوى، حيث يساق الجميع، ولكن شتان بين سوق وسوق، وبين استقبال واستقبال، إن طريقة القرآن الكريم في العرض تتيح هذه المقارنة الضرورية ليختار الإنسان دربه.

ونضيف أمثلة أربعة أخرى:

٥- ﴿ *فأما من طغى ۞ وآثر الحياة الدنيا ۞ فإن الجحيم هي المأوى*

وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ۞ فإن الجنة هي المأوى﴾ النازعات ٣٧-٤١.

مقابلة بين سياقين للسعي والجزاء، تصل إلى حد التشابه والتناظر في العرض .

٦- ﴿ *فأما من أوتي كتابه بيمينه۞ فسوف يحاسب حساباً يسيراً ۞ وينقلب إلى أهله مسروراً۞ وأما من أوتي كتابه وراء ظهره ۞ فسوف يدعو ثبوراً ۞ ويصلى سعيراً* ﴾الإنشقاق ٧-١٢.

مقابلة بين سياقين لحال العبد يوم القيامة عند أخذ الكتاب، والعرض على الحساب .

٧- ﴿ *وجوه يومئذ خاشعة ۞ عاملة ناصبة ۞ تصلى ناراً حامية ۞ تسقى من عين آنية*

ليس لهم طعام إلا من ضريع ۞ لا يسمن ولا يغني من جوع.

وجوه يومئذ ناعمة ۞ لسعيها راضية ۞ في جنة عالية ۞ لا تسمع فيها لاغية

---

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن، ٣٤٦٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فيها عين جارية ✿ فيها سرر مرفوعة ✿ وأكواب موضوعة ✿ ونمارق مصفوفة ✿ وزرابي مبثوثة ﴾ الغاشية ٢-١٦ .

مقابلة بين النعيم والجحيم.

٨- ﴿ *فأما من أعطى واتقى ✿ وصدق بالحسنى ✿ فسنيسره لليسرى*
وأما من بخل واستغنى ✿ وكذب بالحسنى ✿ فسنيسره للعسرى ﴾ الليل ٥-١٠.

تطابق أجزاء السياقين وتراكيبهما.

المحور الثاني: إيقاع القصص في السورة الواحدة

للقصص دور كبير في عرض العقيدة وحركة الإنسان بهذا الدين، إقبالاً وإدباراً، حملاً وتركاً والقصص محبب إلى النفس، إذ يعلي من شأن الشخوص الذين يمثلون الخير، ويكرّه النفس بأولئك الذين كانوا عنواناً للشر، وقد استخدم القرآن الكريم القصص ليظهر حركة هذا الدين في واقع الناس وحياتهم، وليثبّت النبي المبلّغ والصفوة المختارة ﴿ *وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك، وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين* ﴾ هود ١٢٠.

وسنتناول عدة نماذج من السور المكية تظهر بجلاء إيقاع القصص في السورة الواحدة:

١- نعرض هنا سياق ثلاث قصص وردت في سورة هود، لنلاحظ الإيقاعية السائدة:

- بداية قصة هود عليه السلام:

﴿ *وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون* ﴾ هود ٥٠.

- بداية قصة صالح عليه السلام :

﴿*وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدو الله مالكم من إله غيره هو أنشاكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب*﴾ هود ٦١.

- بداية قصة شعيب عليه السلام :

﴿ *وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدو الله ما لكم من إله غيره، ولا تنقصوا المكيال والميزان إني اراكم بخير، وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط* ﴾ هود ٨٤.

- ختام قصة هود عليه السلام :

﴿ *ولما جاء أمرنا نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ*﴾ هود ٥٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ختام قصة صالح عليه السلام

﴿ *فلما جاء أمرنا نجينا صالحاً والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ إن ربك هو القوي العزيز* ﴾ هود ٦٦.

- ختام قصة شعيب عليه السلام:

﴿ *ولما جاء أمرنا نجينا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين* ﴾ هود ٩٤.

نعم إنها وحدة الرسالة، ووحدة المصير، فالأنبياء يصدرون عن النبع ذاته، ويحملون العقيدة الناصعة، فتتشابه دعوتهم : ﴿ *يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره* ﴾، وإنها المصائر تتكرر دوماً كلما كان التكذيب، وكان الإعراض، إنها السنة الثابتة: ﴿ سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلاً ﴾ الإسراء ٧٧.

٢- وفي سورة الكهف يمر موسى عليه السلام بثلاثة مواقف صعبة، تختبر التزامه بالوعد الذي قطعه للرجل الصالح بأن لا يسأله عما يفعله، ونلاحظ إيقاع الحوار وردود الفعل:

﴿ *فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها*

قال أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمراً،

قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً،

قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً،

فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً فقتله

قال أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئاً نكراً،

قال ألم اقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً،

قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً،

فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه

قال لو شئت لاتخذت عليه أجراً،

قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً ﴾

الكهف ٧١-١٨.

ونضيف مثالين تعلو فيهما مستويات الإيقاع القصصي إلى حد كبير حيث تتشابه التعقيبات في كل مرة إلى حد التطابق:

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣- المثال الأول ، بعض قصص الأنبياء الكرام في سورة الصافات :

﴿ ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون ۞ ونجيناه وأهله من الكرب العظيم

وتركنا عليه في الآخرين ۞ سلام على نوح في العالمين ۞ إنا كذلك نجزي المحسنين ۞ إنه من عبادنا المؤمنين

وإن من شيعته لإبراهيم ۞ إذ جاء ربه بقلب سليم، ...

وتركنا عليه في الآخرين ۞ سلام على إبراهيم ۞ كذلك نجزي المحسنين ۞ إنه من عبادنا المؤمنين، ...

ولقد منا على موسى وهارون ۞ ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم، ....

وتركنا عليهما في الآخرين ۞ سلام على موسى وهارون ۞ إنا كذلك نجزي المحسنين ۞ إنهما من عبادنا المؤمنين،

وإن إلياس لمن المرسلين ۞ إذ قال لقومه ألا تتقون، . . .

وتركنا عليه في الآخرين ۞ سلام على إل ياسين ۞ إنا كذلك نجزي المحسنين ۞ إنه من عبادنا المؤمنين﴾ الصافات ٧٥ - ١٣٢.

٤- المثال الثاني ، بعض قصص الأنبياء الكرام في سورة الشعراء

﴿ إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ۞ وإن ربك لهو العزيز الرحيم،

وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين ۞ قوم فرعون ألا يتقون، ..

إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ۞ وإن ربك لهو العزيز الرحيم،

واتل عليهم نبأ إبراهيم ۞ إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون، ...

إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ۞ وإن ربك لهو العزيز الرحيم،

كذبت قوم نوح المرسلين ۞ إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون ۞ أني لكم رسول أمين ۞ فاتقوا الله وأطيعون ۞ وما أسالكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين، ..

إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ۞ وإن ربك لهو العزيز الرحيم،

كذبت عاد المرسلين ۞ إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون ۞ إني لكم رسول أمين ۞ فاتقوا الله وأطيعون ۞ وما أسالكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين، ...

فكذبوه فأهلكناهم إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ۞ وإن ربك لهو العزيز الرحيم،

كذبت ثمود المرسلين ۞ إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون ۞ إني لكم رسول أمين ۞ فاتقوا الله وأطيعون ۞ وما أسالكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين، ...

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فأخذهم العذاب إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ۞ وإن ربك لهو العزيز الرحيم،
كذبت قوم لوط المرسلين ۞ إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون ۞ إني لكم رسول
أمين ۞ فاتقوا الله وأطيعون ۞ وما أسالكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب
العالمين، ...

إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ۞ وإن ربك لهو العزيز الرحيم،
كذبت أصحاب الأيكة المرسلين ۞ إذ قال لهم شعيب ألا تتقون ۞ إني لكم رسول
أمين ۞ فاتقوا الله وأطيعون ۞ وما أسالكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب
العالمين، ...

إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ۞ وإن ربك لهو العزيز الرحيم ﴾ الشعراء ٨-١٩١.

وهذا المثال بلغ الذروة في الإيقاع القصصي في القرآن الكريم، فسبحان منزل الكتاب.

وقال ضياء الدين ابن الأثير في مثل هذا النمط: " مما ورد في القرآن الكريم مكرراً قوله تعالى : ﴿*فاتقوا الله وأطيعون* ﴾[1] ليؤكده عندهم، ويقرره في نفوسهم، مع تعليق كل واحد منهما بعلة، فجعل علة الأول كونه أميناً فيما بينهم، وجعل عله الثاني حسم طمعه فيهم، وخلوّه من الأغراض في ما يدعوهم إليه" [2].

المحور الثالث: إيقاع الموضوع في أكثر من سورة

طرق القرآن الكريم بعض الموضوعات في أكثر من سورة من السور المكية، وبعض السياقات ترد في سورتين وتصلان في بعض أجزائهما إلى حد التطابق، ونعرض هنا عدة نماذج.

١- وردت صفات الفئة المؤمنة في سياقين متشابهين إلى حد كبير في مطلع سورة "المؤمنون"، وفي ثنايا سورة "المعارج".

- صفات الفئة المؤمنة في مطلع سورة المؤمنون :

﴿ *قد أفلح المؤمنون ۞ الذين هم في صلاتهم خاشعون ۞ والذين هم عن اللغو معرضون ۞ والذين هم للزكاة فاعلون ۞ والذين هم لفروجهم حافظون ۞ إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين ۞ فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ۞ والذين هم*

---

(١) الذي ورد مكرراً في قصة نوح (الشعراء ، ١٠٨ ، ١١٠) .

(٢) ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر، ٣/٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لأماناتهم وعهدهم راعون ۞ والذين هم على صلواتهم يحافظون ۞ أولئك هم الوارثون ۞ الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ﴾ المؤمنون ١-١١.

- صفات الفئة المؤمنة في ثنايا سورة المعارج :

﴿ *إلا المصلين ۞ الذين هم على صلاتهم دائمون ۞ والذين في أموالهم حق معلوم ۞ للسائل والمحروم ۞ والذين يصدقون بيوم الدين ۞ والذين هم من عذاب ربهم مشفقون ۞ إن عذاب ربهم غير مأمون ۞ والذين هم لفروجهم حافظون ۞ إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين ۞ فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ۞ والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ۞ والذين هم بشهاداتهم قائمون ۞ والذين هم على صلاتهم يحافظون ۞ أولئك في جنات مكرمون* ﴾ المعارج ٢٢-٣٥.

٢- وُصفت أطوار تخليق الإنسان في الرحم في سياقين متقاربين في سورتي "الحج" و"المؤمنون"، وهما سورتان متتابعتان في ترتيب المصحف.

- في سورة "الحج" : ﴿ ... *فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ...* ﴾ الحج ٥.

- في سورة "المؤمنون" : ﴿ *ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ۞ ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ۞ ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر* ﴾ المؤمنون ١٢-١٤.

وسورة "الحج" مدنية، وسورة "المؤمنون" مكية، فكان هذا التشابه بين السياقين رابطاً بين المكي والمدني.

٣- تشابه سياق المطلع بين سورتي "الانفطار" و"الانشقاق"، حيث يبدأ السياق بمجموعة من الجمل الظرفية، ثم يخاطب الإنسان.

﴿ *إذا السماء انفطرت ۞ وإذا الكواكب انتثرت ۞ وإذا البحار فجرت ۞ وإذا القبور بعثرت ۞ علمت نفس ما قدمت وأخرت*

يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم ﴾ الانفطار ١-٦ .

﴿ *إذا السماء انشقت ۞ وأذنت لربها وحقت ۞ وإذا الأرض مدت ۞ وألقت ما فيها وتخلت ۞ وأذنت لربها وحقت*

يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه ﴾ الانشقاق ١-٦ .

- All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤- تناظر بين سياقين وردا في سورتي "النازعات" و"عبس"، حيث يعرض كل سياق في البداية مجموعة من نعم المولى -عز وجل- ويبين فضل الله تعالى فيها ﴿ *متاعاً لكم ولأنعامكم* ﴾ ثم يخوف من يوم القيامة، ونلاحظ التشابه في الصيغة بين اسمي يوم القيامة (الطامة) و (الصاخة). ثم يصف موقف الإنسان في ذلك اليوم.

- السياق في سورة النازعات : ﴿ *أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها ۞ رفع سمكها فسواها ۞ وأغطش ليلها وأخرج ضحاها ۞ والأرض بعد ذلك دحاها ۞ أخرج منها ماءها ومرعاها ۞ والجبال أرساها،*

متاعا لكم ولأنعامكم ۞ فإذا جاءت الطامة الكبرى

يوم يتذكر الإنسان ما سعى ﴾ النازعات ٢٧-٣٥.

- السياق في سورة عبس :

﴿ *فلينظر الإنسان إلى طعامه ۞ أنا صببنا الماء صباً ۞ ثم شققنا الأرض شقاً ۞ فأنبتنا فيها حباً ۞ وعنباً وقضباً ۞ وزيتوناً ونخلاً ۞ وحدائق غلباً ۞ وفاكهة وأباً،*

متاعاً لكم ولأنعامكم ۞ فإذا جاءت الصاخة

يوم يفر المرء من أخيه . . . ﴾ عبس ٢٤-٣٤.

٥- تشابه في عرض موقف من مواقف يوم القيامة بين سورتي "المعارج" و"عبس" حيث يعرض السياقان فعل الإنسان في شدة ذلك اليوم، حيث يتخلّى عن الأقارب:

- السّياق في سورة المعارج ﴿ *يبصرونهم يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه ۞ وصاحبته وأخيه ۞ وفصيلته التي تئويه ۞ ومن الأرض جميعاً ثم ينجيه* ﴾ المعارج ١١-١٤.
- السياق في سورة "عبس" ﴿ *يوم يفر المرء من أخيه ۞ وأمه وأبيه ۞ وصاحبته وبنيه ۞ لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه*﴾ عبس ٣٤-٣٧.

٦- التشابه بين مطالع خمس سور مكية، حيث يبدأ السياق بالقسم المتعدد، ثم التوكيد.

- مطلع سورة "الصافات" ﴿ *والصافات صفاً ۞ فالزاجرات زجراً ۞ فالتاليات ذكراً ۞ إن إلهكم لواحد* ﴾ الصافات ١-٤.
- مطلع سورة "الذاريات" ﴿ *والذاريات ذروا ۞ فالحاملات وقراً ۞ فالجاريات يسراً ۞ فالمقسمات أمراً ۞ إنما توعدون لصادق* ﴾ الذاريات ١-٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- مطلع سورة "المرسلات" ﴿ *والمرسلات عرفاً ۞ فالعاصفات عصفاً ۞ والناشرات نشراً ۞ فالفارقات فرقاً ۞ فالملقيات ذكراً ۞ عذراً أو نذراً ۞ إنما توعدون لواقع* ﴾ المرسلات ١-٧.
- مطلع سورة "النازعات" ﴿ *والنازعات غرقاً ۞ والناشطات نشطاً ۞ والسابحات سبحاً ۞ فالسابقات سبقاً ۞ فالمدبرات أمراً ۞ يوم ترجف الراجفة* ﴾ النازعات ١-٦.
- مطلع سورة "العاديات" ﴿ *والعاديات ضبحاً ۞ فالموريات قدحاً ۞ فالمغيرات صبحاً ۞ فأثرن به نقعاً ۞ فوسطن به جمعاً ۞ إن الإنسان لربه لكنود* ﴾ العاديات١-٦.

المحور الرابع : إيقاع القصص في أكثر من سورة

يقع التشابه كثيراً بين السور المكية في بعض مقاطع القصص القرآني، ونكتفي هنا بمثالين واضحين:

١ - وردت قصة آدم عليه السلام في سياقات متقاربة كثيراً في سور "الأعراف" و"الحجر" و"ص".

- قصة آدم في سورة الأعراف : ﴿ *ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين ۞ قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ۞ قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين ۞ قال أنظرني إلى يوم يبعثون ۞ قال إنك من المنظرين ۞ قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ۞ ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين ۞ قال اخرج منها مذؤوماً مدحوراً لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين* ﴾الأعراف ١١-١٨.
- قصة آدم في سوة الحجر : ﴿ *وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من صلصال من حما مسنون ۞ فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ۞ فسجد الملائكة كلهم أجمعون ۞ إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين ۞ قال يا إبليس مالك ألا تكون مع الساجدين ۞ قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حما مسنون ۞ قال فاخرج منها فإنك رجيم ۞ وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين ۞ قال رب فانظرني إلى يوم يبعثون ۞ قال فإنك من المنظرين ۞ إلى يوم الوقت المعلوم ۞ قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين ۞ إلا عبادك منهم المخلصين ۞ قال هذا صراط علي*

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مستقيم ۞ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين ۞ وإن جهنم لموعدهم أجمعين ﴾ الحجر ٢٨-٤٣.

- قصة آدم في سورة ص : ﴿ إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين ۞ فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ۞ فسجد الملائكة كلهم أجمعون ۞ إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين ۞ قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين ۞ قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ۞ قال فاخرج منها فإنك رجيم ۞ وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين ۞ قال رب فانظرني إلى يوم يبعثون ۞ قال فإنك من المنظرين ۞ إلى يوم الوقت المعلوم ۞ قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين ۞ إلا عبادك منهم المخلصين ۞ قال فالحق والحق أقول ۞ لأملأن جهنم منك ممن تبعك منهم أجمعين ﴾ ص٧١-٨٥. إن قصة آدم عليه السلام تمثل أصل الصراع القائم بين الشيطان وبين ذرية آدم، لذا احتفى القرآن الكريم بهذه القصة وأوردها في العديد من سوره، ونلاحظ التشابه والإيقاع المتناظر بين مواطن القصة التي أوردناها .

٢- تكررت قصة موسى عليه السلام كثيراً في القرآن الكريم، وقد اخترنا هنا على سبيل المثال، تشابه السياق الذي يعرض مشهد الوحي الأول لموسى عليه السلام، من سورتي النمل والقصص.

- المشهد من سورة النمل : ﴿ إذ قال موسى لأهله إني آنست ناراً سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون ۞ فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين ۞ يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم ۞ وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جآن ولى مدبراً ولم يعقب يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون ۞ إلا من ظلم ثم بدل حسناً بعد سوء فإني غفور رحيم ۞ وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات إلى فرعون وقومه إنهم كانوا قوماً فاسقين، فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين ۞ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ﴾ النمل ٧-١٤.

- المشهد من سورة القصص : ﴿ فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور ناراً قال لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون ۞ فلما أتاها نودي من شاطيء الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين ۞ وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبراً

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يعقب يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين ۞ اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم إليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك إلى فرعون وملإه إنهم كانوا قوماً فاسقين ۞ قال رب إني قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون ۞ وأخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردءاً يصدقني إني أخاف أن يكذبون ۞ قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون ۞ فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا إلا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين ﴾ القصص ٢٩-٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الباب الثالث

وظائف الإيقاع في القرآن الكريم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الباب الثالث

وظائف الإيقاع

عرض الباحث في الباب الثاني مظاهر الإيقاع المتعددة في القرآن الكريم، وهذه المظاهر الإيقاعية تتضافر لتؤدي مجموعة من الوظائف، تميز القرآن الكريم مما سواه من كلام البشر. وقد حاول أهل التفسير وعلماء البلاغة والأسلوبية تبيان الوظائف التي يؤديها الإيقاع في القرآن الكريم، وكان لكل حظه من المساهمة في هذا التبيان بحسب علمه وتذوقه للنص الكريم، وقد كان للعقيدة والمذهب أثر في الاتجاهات الأدبية، " ويمكننا أن نجد أصداء الإحساس بالتعدد الدلالي في بعض الآثار الأولى التي وصلتنا عن الفكر اللغوي العربي الإسلامي، وذلك في ارتباط بالخلافات العقائدية، وبتحليل النص القرآني خاصة " [1].

وقد تطورت النظرة إلى وظائف الإيقاع في العصر الحديث، إذ استفاد المحدثون من مساهمات القدماء التي رأوها منطقية، وتخضع للدرس والتحليل، وتقوم على أسس صحيحة، ذات بعد علمي لا انطباعي فقط. وهذا التطور في التحليل شمل الميدان الأدبي بعامة، إذ " إن النقد الأدبي يقوم اليوم على قواعد وأصول موضوعية، وهو وإن بدا على شكل تفاعل بين العمل الأدبي وشعور المتلقي – وهو ما يسمى بالذاتية الانطباعية – لا يمكن أن يعتمد على هذه الذاتية وحدها، أو يتخذ منها أساساً موضوعياً في الحكم، بل لا بد أن يكون لدى الناقد أصول تنبهه إلى ضرورة الخروج من تأثره الشعوري المبهم، وإلى ضرورة إشراك الآخرين معه في الأسباب التي حملته على استحسان ما استحسن، أو استقباح ما استقبح، وبذلك يخرج النقد من دائرة الذاتية المغلقة، إلى أفق الموضوعية الرحب، معتمداً في الحكم على عناصر كامنة في العمل الأدبي " [2].

على أنه قد ينكر منكرٌ علينا أن نتحدث عن الإيقاع أو وظائفه في القرآن الكريم، متعللاً أن القرآن الكريم نص مقدس، لا يجوز أن نعامله بأسلوب يبحث عن مظاهر تأثيره وتميزه، وعن وظائف هذا السحر البياني، بل نقف عند فهم معناه وحسب، طالبين فيه مواطن الأمر والنهي، لنطبق تعاليم السماء، ونسير على السبيل القويم، وهؤلاء المنكرون يحرموننا بذلك من المتعة النفسية التي تنشأ من سماع القرآن الكريم، ويغضون أبصارهم عن الموسيقى المنسابة في هذا الكتاب العزيز،

---

(1) محمد غاليم، التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم، ١٢.

(2) وليد قصاب، حكم الذوق في النقد الأدبي، ٥٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في ألفاظه وتراكيبه وفواصله، " هذه الموسيقى في القرآن تأخذ مجراها، وتفعل فعلها، تهز القلوب والنفوس والأرض والسماء، تصور، توحي، تؤثر، تميز، تحكم ... فهل لنا أن نضيق بها ذرعاً ولها هذا الدور؟.على أولئك الذين يرفضونها، أو يحرجهم الحديث عنها، عن مكانتها ووظيفتها وطبيعتها أن يتذكروا أن هذا الكتاب قد نزل على قلب محمد صلى الله عليه وسلم بلسان عربي، بيانه غناء، وآياته حكم وأمثال، ولغته موسيقى وإيقاع، وترتيل قرآنه عبادة، وهتاف يملأ الآفاق: " ليس منا من لم يتغنّ بالقرآن ". ومعناه كما يذكر الشراح: ليس من العاملين بسنتنا الجارين على طريقتنا من لم يحسن صوته به لأن التطريب به أوقع في النفوس، وأدعى للاستماع والإصغاء "[1].

ولقد كان المقصد الذي ينشده القرآن الكريم من خلال إعجازه البياني الصوتي هو إرساء عقيدة التوحيد في نفوس المتلقين، وهذا الهدف الجليل نراه في كل موضع في القرآن الكريم، وفي كل مظهر من مظاهر الإيقاع القرآني بل في كل وظيفة من وظائف الإيقاع القرآني، ويتناول الباحث وظائف الإيقاع في القرآن الكريم من خلال الفصول التالية :

الفصل الأول : توحيد النسيج القرآني.

الفصل الثاني : الترنم والإحساس بجمال النص القرآني.

الفصل الثالث : تيسير الحفظ .

الفصل الرابع : تكوين الجو العام للسورة.

الفصل الخامس : تنويع المعنى.

الفصل السادس : التأكيـــد.

الفصل السابع : إشاعة التقابـــل .

الفصل الثامن : إيجاد التوقـــع .

---

(1) نعيم اليافي، عودة إلى موسيقى القرآن، ٦٣.

-All Rights Reserved- Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

توحيد النسيج القرآني

لئن كانت هذه الدراسة عن الإيقاع في القرآن المكي، قد تخصصت بهذا الجانب لأغراض الدرس والتحليل، فإنها تدرك النسق الموحد الذي ينتظم هذا الكتاب العزيز. كيف لا ومنزله واحد، ﴿ *الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير* ﴾ هود ١، ﴿ *وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم* ﴾ النمل ٦. بل هو يأمر بأن نتدبر القرآن: ﴿ *أفلا يتدبرون القرآن، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً* ﴾ النساء ٨٢، والإيقاع الموسيقي منتشر في القرآن جميعه، "فحيثما تلاه المؤمن أحس بالإيقاع الداخلي في سياقه. ولكنه يبرز بروزاً واضحاً في السور القصار، والفواصل السريعة، ومواضع التصوير والتشخيص بصفة عامة، ويتوارى قليلاً أو كثيراً في السور الطوال "[1]

ولقد وردت عدة سياقات متشابهة بين القرآن المكي والمدني، تؤكد وحدة النسيج القرآني، ولننظر إلى هذه الآيات التي وردت في سورة مكية، هي سورة الأعراف تسرد أطرافاً من قصة موسى عليه السلام وقومه بني إسرائيل لنقارنها بسرد آخر ورد في سورة مدنية هي البقرة، ولنبدأ بسورة الأعراف :

أ – ﴿ *وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم ۞ وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة،وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين* ﴾ الأعراف ١٤١-١٤٢.

﴿ *وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطاً أمماً وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عيناً قد علم كل أناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى، كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون۞ وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجداً نغفر لكم خطيآتكم سنزيد المحسنين ۞ فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزاً من*

---

(1) سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ١٠٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السماء بما كانوا يظلمون ۞ واسالهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت ...﴾ الأعراف ١٦٠-١٦٣.

﴿ وإذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ﴾ الأعراف ١٧١.

ب – والآن لننظر إلى آيات تتحدث عن الموضوع ذاته في سورة البقرة، لنرى مقدار التشابه في إيقاع الآيات في السورتين إذ يصل إلى حد التطابق في بعض المقاطع، مما يجعل القرآن ذا نسيج واحد متداخل بين مكيه ومدنيه، وبين سوره جميعاً، فلننظر إلى آيات سورة البقرة: *﴿ وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم ۞ وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون ۞ وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون ﴾* البقرة ٤٩-٥١.

﴿ وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ۞ وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيثم شئتم رغداً وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين ۞ فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون، وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين ﴾ البقرة ٥٧-٦٠.

﴿ وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ۞ ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين ۞ ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾ البقرة ٦٣-٦٥.

ومثل هذا كثير في كتاب الله.

وقد مر معنا في الباب الثاني بعض من مظاهر الإيقاع الموجودة بين السور المكية أيضاً، والتي تؤدي دورها في توحيد النسيج القرآني، " ذلك الإيقاع الموسيقي الناشيء من تخير الألفاظ ونظمها في نسق خاص، ومع أن هذه الظاهرة واضحة جد الوضوح في القرآن، وعميقة كل العمق في بنائه الفني، فإن حديثهم عنها لم يتجاوز ذلك الإيقاع الظاهري، ولم يرتق إلى إدراك التعدد في الأساليب الموسيقية "[1].

والبسملة التي تقرأ في بداية كل سورة من سور القرآن الكريم "بسم الله الرحمن الرحيم" بإيقاعها المهيب توحد بين سور الكتاب الكريم،والحروف المقطعة في فواتح السور مشتركة بين سور

---

(1) سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكتاب مدنية ومكية، ففاتحة البقرة مثلاً وآل عمران هي " ألم "، وهي كذلك فاتحة سور مكية هي "العنكبوت" و"الروم" و"لقمان" و"السجدة".

وهذا القرآن الكريم نزل منجماً على قلب النبي -صلى الله عليه وسلم- في ثلاثة وعشرين عاماً، وهي فترة مديدة، فكان النجم ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم فيأمر الصحابة أن يلحقوه بعد آية كذا، من سورة كذا، حتى اكتمل القرآن الكريم بهذا الوضع المتناسق ، وقد حوت بعض سوره المكية آيات مدنية، والعكس كذلك، وأنت لا تستشعر تنافراً بين نجم ونجم، أو بين آية وآية، فجاء محكم البناء، عجيب النظم والترتيب،."فإذا سمع أحد آيات الله تتلى في بيت من بيوت الله أو في منتدى قوم، أو على قارعة طريق أحس من أعماقه أن هذا الكلام الذي يسمعه ما هو إلا قرآن عظيم، ومن خواص نظمه أن تذكر منه الكلمة في تضاعيف كلام أو تقذف ما بين شعر فتأخذها الأسماع، وتتشوف إليها النفوس، ويرى وجه رونقها بادياً غامراً سائر ما تقرن به " [1] . ولم يرتب القرآن الكريم حسب نزوله، وإنما ترتيبه بأمر النبي صلى الله عليه وسلم، إذ كان يتدارس القرآن الكريم مع جبريل عليه السلام، فيعلمه هذا الترتيب.

وقد ألف بعض العلماء كتباً في تناسب آيات الكتاب العزيز بعضها مع بعض، وكذلك التناسب بين نهاية كل سورة بداية وما بعدها، وأشهرهم عمر البقاعي، الذي وضع مصنفاً ضخماً بعنوان " نظم الدرر في تناسب الآيات والسور".

يقول أحد النقاد الغربيين في صفة العمل الكامل: إن " استمرار إيقاع معين يؤدي إلى تحقيق التماسك لقصيدة أو لقطعة موسيقية، وعندما تعرض العناصر كل مقابل الآخر عن طريق توازن التقابل أو التضاد، نستطيع التعرف عليها وفهمها بسهولة. وعندما يتخذ عمل فني نمط التطور، لا تكون العناصر الجديدة عند دخولها لأول مرة غريبة تماماً ذلك لأنها تحتل مكانها في سلسلة الحوادث التي خلقت من قبل، ونرى كيف تنشأ مما حدث من قبل. وفضلاً عن ذلك فإن التطور يثير في المدرك توقعات تتطلع إلى الذروة الختامية التي ستظهر في العمل فيما بعد. ويؤدي تحقيق هذه التوقعات إلى توحيد التجربة الجمالية" [2].

ومن أدلة وحدة النسيج القرآني، الناشيء عن إيقاعه العام الذي ينتظمه، أن اختلف العلماء في بعض السور، أمكية هي أم مدنية، أو في بعض الآيات أمكية هي أم مدنية، كسور الرعد، والحج والرحمن وغيرها. إنها الوحدة التي تنتظم القرآن الكريم، فيظل سامي المنزلة، عجيب التعبير، " فالتعبير القرآني يظل جارياً على نسق واحد رفيع، معبراً عن مدلولات ضخمة في حيز يستحيل على

---

(1) محمد بن سعيد الدبل، النظم القرآني في سورة الرعد، ١٩٦.

(2) جيروم ستولنيتز، النقد الفني، ٣٥٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البشر أن يعبروا عن مثل هذه الأغراض، وذلك بأوسع مدلول، وأدق تعبير، وأجمله وأحياه أيضاً، مع التناسق العجيب بين المدلول والعبارة والإيقاع" [1]

إن الذي يتلو كتاب الله حق تلاوته، ينسكب في نفسه شعور عجيب من الرضى والسكينة، من أي موضع قرأ من هذا الكتاب، من طوال السور أم قصارها، من مكيه أو مدنيه، من قصصه أو آيات أحكامه، يبقى هذا الشعور مطردا غالباً، فيزيد من إيمان القارئ وأجره ﴿ *الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به* ﴾ البقرة ١٢١، فإعطاء التلاوة حقها يظهر بهجة القرآن

ويلاحظ " أن موسيقى القرآن لا يمكن حصرها بحركات وسكنات، أو مقاطع طويلة وقصيرة، لا يمكن ضبطها بنوى ونبرات أو أوتاد ونقرات، لأنها موسيقى النفس والروح، إيقاع الترسل والاتساق، حالات التنغيم والترقيق والغنة، إنها أصوات الحروف في تآلفها وتجاورها لا أصوات النطق في طريقة تصريفه وتوقيعه، إنها لحن النسق بكل ما يستدعيه هذا اللحن ويتطلبه من نغمات راعشة بالحياة " [2].

---

(١) حامد صدقي قنيبي، المشاهد، ٢٨٣.

(٢) نعيم اليافي، ثلاث قضايا حول الموسيقى في القرآن، ٩٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

الترنم والإحساس بجمال النص القرآني

تميل الفطر البشرية إلى الترنم والتغني، فما من أحد من الناس إلا ورد عبارات موسقة، يرفه بها عن نفسه، أو يهدهد بها طفله، أو يقضي بها عمله، وقد سادت في المجتمعات منذ القدم أغاريد وترانيم، وكلمات موزونه، يرددها المحاربون فتهيج نفوسهم للقاء العدو، ويرددها العاملون فتنشط نفوسهم ويذهب عنها الكسل. حتى إن النبي صلى ا لله عليه وسلم رأى الصحابة يرددون في بناء المسجد:

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فلترحم الأنصار والمهاجرة

فلم ينكر عليهم، كذا حينما استقبله أهل المدينة بالدفوف ينشدون " طلع البدر علينا"، وطلب في أحد الأسفار من مرافقه أنجشه أن يغني لهم بقوله " حرك بنا يا أنجشه"، أي أنشد لنا حتى تسلو القافلة عن وعثاء السفر.

لقد احتفى القرآن الكريم بالجمال الصوتي في تراكيبه وفواصله، حتى يشبع الرغبة الفطرية بالتغني، " وليس يخفى أن مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي، وأن هذا الانفعال بطبيعته إنما هو سبب في تنويع الصوت، بما يخرجه فيه مداً أو غنه أو ليناً أو شدة، وبما يهيىء له من الحركات المختلفة في اضطرابه وتتابعه على مقادير تناسب ما في النفس من أصولها، ثم هو يجعل الصوت أقرب إلى الإيجاز والاجتماع، أو الإطناب والبسط، بمقدار ما يكسبه من الحدة والارتفاع والاهتزاز وبعد المدى ونحوها، مما هو بلاغة الصوت في لغة الموسيقى.

فلو اعتبرنا ذلك في تلاوة القرآن الكريم على طرق الأداء الصحيحة لرأيناه أبلغ ما تبلغ إليه اللغات كلها في هز الشعور واستثارته من أعماق النفس ... لأن تتابع الأصوات على نسب معينة بين مخارج الأحرف المختلفة، هو بلاغة اللغة الطبيعية التي خلقت في نفس الإنسان " [1].

وقد علّم النبي صلى ا لله عليه وسلم الصحابة القرآن مجوداً بأحسن صوت، " فعن البراء ابن عازب رضي ا لله عنهما قال : سمعت النبي صلى ا لله عليه وسلم قرأ في العشاء بالتين والزيتون، فما سمعت أحداً أحسن صوتاً منه " رواه البخاري ومسلم [1]. بل كان يحض أصحابه على التغني

---

[1] الرافعي، تاريخ آداب العرب، ٢/٢١٥.

[1] النووي، رياض الصالحين، ٢٩٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالقرآن، فعن أبي لبابة بشير بن عبد المنذر رضي الله عنه، أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:"من لم يتغن بالقرآن فليس منا" [٢]، وجاء الأمر بذلك في الكتاب العزيز ﴿ *ورتل القرآن ترتيلاً* ﴾ المزمل ٤.

وقد وضع العلماء قواعد لتجويد القرآن، ليسهل تعليمه للجميع، وألفت في ذلك المصنفات، ونظمت الأراجيز التعليمية، وقد عرّفوا التجويد بأنه في " اللغة : التحسين، وفي الاصطلاح: علم يعرف به إعطاء كل حرف حقه ومستحقه مخرجاً وصفة، وقفاً وابتداءً، من غير تكلف ولا تعسف" [٣].

ويُقرأ القرآن بالتحقيق مع حدرٍ وتدوير وكل متّبع
مع حسن صوت بلحون العرب مرتلاً مسجوداً بالعربي [٤]

فعندما تعطي الحرف حقه من المخرج والصفة، وتتجلى مظاهر الإيقاع على مستوى الحروف والمقاطع والكلمات والترتيل، تدرك سحر القرآن ولو قرئ عن بعد فتحس له لذة خاصة، " فإذا اقتربت بإذنك قليلاً قليلاً فطرقت سمعك جواهر حروفه ، خارجة من مخارجها الصحيحة، فاجأتك منه لذة أخرى في نظم تلك الحروف ورصفها وترتيب أوضاعها فيما بينها : هذا ينقر ، وذاك يصفر وثالث يهمس، ورابع يجهر، وآخر ينزلق عليه النفس، وآخر يحتبس معه النفس، وهلم جرا، فتتألف القشرة السطحية للجمال القرآني، وليس الشأن في هذا الغلاف إلا كشأن الأصداف مما تحويه من اللآلئ النفسية" [٥].

ومع مرور السنوات والقرون صار لعلم التجويد حذّاقة، واشتهر مقرئون في العالم الإسلامي، تغنوا بالقرآن بعد تحصيل وعلم ودربه، حيث تلقوا القرآن مشافهة فأجادوا نطقه ومنحهم الله تعالى أصواتاً جميلة، فمتعوا الناس بكتاب الله تعالى، " ويبدو أن التغني مثله مثل الغناء والموسيقى يتطور خلال العصور ويتأثر بهما في هذا التطور، وإذا وازنا مثلاً بين طبيعة التغني في الصدر الأول وبين طبيعته في العصرين الأموي والعباسي فسنجد الفارق كبيراً، في العصر الأول كان التغني فطرياً وبسيطاً، كان مد الصوت وترقية ورفع طبقته يتم دون درجة صوتية ولا معرفة موسيقية، فلما اتسعت علوم الغناء والموسيقى بعد ذلك اتسع معها التغني بالقرآن وتنوع، وحلت

---

(٢) المرجع السابق، ٢٩١.

(٣) محمد القضاة، الواضح في أحكام التجويد، ٧.

(٤) ابن الجزري، طيبة النشر، ٣٦.

(٥) محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، ٩٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أصوات مدربة مصقولة مثقفة محل الأصوات الفطرية ذات النغمات المتقاربة، وامتدت الدائرة التي تتحرك فيها أوتار الحناجر، فظهرت كيفيات من الأداء تتغنى بإحكام ، وتعرف مواقع النغم"[1].

ولننظر إلى نص قرآني، ونحاول أن نتلمس فيه اللذة النفسية، نتغنى بتلاوته على النحو الصحيح:

﴿ *كهيعص ۞ ذكر رحمت ربك عبده زكريا ۞ إذ نادى ربه نداءً خفياً ۞ قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً ۞ ولم أكن بدعائك رب شقياً ۞ وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امراتي عاقراً فهب من لدنك ولياً ۞ يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضياً ۞ يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سمياً ۞ قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امراتي عاقراً وقد بلغت من الكبر عتياً ۞ قال كذلك هو عليّ هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً ۞ قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سوياً ۞ فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشياً ۞ يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبياً ۞ وحناناً من لدنا وزكاة وكان تقياً ۞ وبراً بوالديه ولم يكن جباراً عصياً ۞ وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً* ﴾ مريم ١-١٥.

لقد اشتمل النص على مستوى إيقاعي عال، يحق لنا أن نتغنى به، ونستلذ بسياقه وفواصله الأثيرة، هذه الفواصل التي حوت في آخرها حرف الألف المطلقة، مسبوقة بالياء المشددة فشكلت مظهراً موسيقاً رائعاً، " وما هذه الفواصل التي تنتهي بها آيات القرآن إلا صور تامة للأبعاد التي تنتهي بها جمل الموسيقى، وهي متفقة مع آياتها في قرار الصوت اتفاقاً عجيباً، يلائم نوع الصوت، والوجه الذي يساق عليه، بما ليس وراءه في العجب مذهب" [2] .

ولنأخذ مثالاً آخر :

﴿ *ق والقرآن المجيد ۞ بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب ۞ أإذا متنا وكنا تراباً ذلك رجع بعيد ۞ قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ ۞ بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج ۞ أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج ۞ والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج ۞ تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ۞ ونزلنا من السماء ماء مباركاً فأنبتنا به جنات وحب الحصيد ۞ والنخل باسقات لها طلع نضيد ۞ رزقاً للعباد وأحيينا به بلدة ميتاً كذلك الخروج* ﴾ ق ١-١١.

---

[1] نعيم اليافي، عودة إلى موسيقى القرآن، ٦٧.

[2] الرافعي، تاريخ آداب العرب، ٢/٢٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نلاحظ جمال النص من خلال الاستهلال الذي يتحداهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن من خلال الحروف العربية التي يعرفون، ويمضي السياق يناقشهم ويخاطبهم بأسلوب رشيق، يتبدى جماله في حسن توافق حروفه، وحسن ألفاظه، وتألق فواصله، وتناسب الآيات فيما بينهما، فترتاح النفس وهي تمضي مع الآيات الكريمة، تتلقى هذه الموسيقى الصوتية.

" إن العبارة الموسيقية يكتمل بها تأثير الصورة في الوجدان، بما تحدثه من روعة الإيقاع والجرس بجانب ما يحدثه التخييل في النفس، هذا بجانب أن الإيقاع الموسيقي ينشط النفس، ويبعث الإحساس بالسمو والفخار والقوة " [1]

والمثال الثالث، يمثل نموذجاً قرآنياً ذا إيقاع عال، يبعث اللذة في النفس، ويدفعها للترنم بهذه الآيات مرة بعد مرة.

﴿ *والنجم إذا هوى ۞ ما ضل صاحبكم وما غوى ۞ وما ينطق عن الهوى ۞ إن هو إلا وحي يوحى ۞ علمه شديد القوى ۞ ذو مرة فاستوى ۞ وهو بالأفق الأعلى ۞ ثم دنا فتدلى ۞ فكان قاب قوسين أو أدنى ۞ فأوحى إلى عبده ما أوحى ۞ ما كذب الفؤاد ما رأى ۞ أفتمارونه على ما يرى ۞ ولقد رآه نزلة أخرى ۞ عند سدرة المنتهى ۞ عندها جنة المأوى ۞ إذ يغشى السدرة ما يغشى ۞ ما زاغ البصر وما طغى ۞ لقد رأى من آيات ربه الكبرى* ﴾ النجم ١-١٨.

ومن الجميل أن ننقل ما يقوله ذواقة النص القرآني سيد قطب رحمه الله عن سورة النجم: " هذه السورة في عمومها كأنها منظومة موسيقية علوية، منغمة يسري التنغيم في بنائها اللفظي كما يسري في إيقاع فواصلها الموزونة المقفاة، ويلحظ هذا التنغيم في السورة بصفة عامة، ويبدو القصد فيه واضحاً في بعض المواضع، وقد زيدت لفظة أو اختيرت قافية، لتضمن سلامة التنغيم ودقة الإيقاع ... ذلك الإيقاع ذو لون موسيقي خاص يتناسق بتموجه وانسيابه مع الصور والظلال الطليقة المرفرفة" [2].

ويشير نعيم اليافي إلى أن الحروف الثلاثة التي تحمل أكبر قدرة للترنم " هي ألف الإطلاق، ونون الترنم، وهاء السكت " [3] حيث استخدمها الشعر العربي لهذه الغاية.

وقد استخدم القرآن الكريم هذه الحروف بشكل كبير في فواصل الآيات، فمن المواضع التي استخدمت فيها ألف الإطلاق: ﴿ *يا أيها المزمل ۞ قم الليل إلا قليلاً ۞ نصفه أو انقص منه قليلاً ۞ أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلاً ۞ إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً* ﴾ المزمل ١-٥.

---

[1] الرافعي، تاريخ آداب العرب، ٢/٢٤٠.

[2] سيد قطب، في ظلال القرآن، ٣٤٠٤.

[3] نعيم اليافي، قواعد تشكل النغم في موسيقى القرآن، ١٤٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن المواضع التي استخدمت فيها نون الترنم : ﴿ *ن والقلم وما يسطرون ۞ ما أنت بنعمة ربك بمجنون ۞ وإن لك لأجراً غير ممنون ۞ وإنك لعلى خلق عظيم ۞ فستبصر ويبصرون ۞ بأيكم المفتون ۞ إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين* ﴾ القلم ١-٧.

ومن المواضع التي استخدمت فيها الهاء: ﴿ *فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرأوا كتابيه ۞ إني ظننت أني ملاق حسابيه ۞ فهو في عيشة راضية ۞ في جنة عالية ۞ قطوفها دانية ۞ كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية ۞ وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه ۞ ولم أدر ما حسابيه ۞ يا ليتها كانت القاضية ۞ ما أغنى عني ماليه ۞ هلك عني سلطانيه* ﴾ الحاقة ١٩-٢٠. حيث زيدت هاء السكت بعد ياء المتكلم لتناظر بقية الفواصل، وليتحقق الترنم المطلوب، ويشيع البهجة عند أهل الجنة، والندامة والفجيعة عند أهل النار.

ويعلق الدكتور تمام حسان على دور الفاصلة في الترنم فيقول : " تأتي الفاصلة في نهاية الآية لتحقق للنص جانباً جمالياً لا يخطئة الذوق السليم، نحس أنها تضفي على النص قيمة صوتية منظمة ينقسم سياق النص بها إلى وحدات أدائية تعد معالم للوقف والابتداء، وتتضافر مع الإيقاع الذي سبق شرحه فينشأ من تضافرهما أثر جمالي " [1].

هذه اللذة المتحصلة في الفؤاد، والترنم والتغني باللسان، سمتان انفرد بهما القرآن، فهو "لا يخلق على كثرة الرد"، بل يبقى متألقاً محبباً إلى النفس، وهذا وجه من الإعجاز في نظر الخطابي : "قلت في إعجاز القرآن وجهاً آخر ذهب عنه الناس، فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم. وذلك: صنيعه بالقلوب، وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن، منظوماً ولا منثوراً، إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة بحال، ومن الروعة والمهابة في أخرى، ما يخلص منه إليه، تستبشر به النفوس، وتنشرح له الصدور" [2]

---

(١) تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ٢٧٩.

(٢) الخطابي، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم، ٢٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

تيسير الحفظ

وهب الله تعالى الإنسان القدرة على الحفظ والتذكر، وتختلف قدرات الناس من فرد إلى آخر في هذه الموهبة، والإنسان يتذكر الأشياء التي يحب ويرددها، وترسخ في ذهنه، والقدرة على الحفظ والتذكر تتناسب عكسياً وعمر الإنسان بشكل عام، فالذي يحصّله في صغره يكون أدعى للدوام من ذاك الذي يمر معه عند تقدمه في العمر، لانشغال البال وكثرة البلبال.

ويميل الإنسان إلى حفظ النصوص الموقعة، من حيث الوزن والقافية، أو من حيث الازدواج والسجع، وقد تناقل العرب أشعارهم وخطبهم وأراجيزهم لأنها تتبع نظاماً في تسلسلها، و " يحدثنا من كتبوا في علم النفس الموسيقي عن كيفية شعور المرء بنغم الكلام، فيقولون : إن هنالك ميلاً غرزياً لكل كتلة من عدة مقاطع تشبه الفقرات القصار، أو العبارات الصغيرة. فقد نسمع في عشر من الثواني ما يكاد يبلغ خمسين مقطعاً صوتياً، تسمعها الأذن فتلتقطها كتلاً من المقاطع تطول أو تقصر، فإذا ترددت في أواخر هذه الكتل الصوتية مقاطع بعينها شعرنا بسهولة ترديدها، وأحسسنا بغبطة وسرور حين سماعها، وبعث هذا فينا الرضى والاطمئنان إليها " [1].

ولقد تميز القرآن الكريم بإيقاعه الدقيق والظاهر، وازدواج آياته في السور القصار خاصة، وتناسق فواصله في السياق الواحد، حيث تميز العهد المكي بكثرة السور القصار من ناحية، وقصر آيات تلك السور من ناحية أخرى، مع احتفاء بتوقيع فواصل الآيات. والناظر في الجزء التاسع والعشرين والثلاثين – وعمومه مكي – يرى هذا الإيقاع العالي الذي يعين على الحفظ، حتى عند الأطفال، حيث يشعرون بالمتعة والسهولة عند ترديد هذه السور.

ولنأخذ أمثلة على بعض النصوص القرآنية التي يحفظها الجميع كباراً وصغاراً، إذ إن الإيقاع الساري فيها سهلها للحفظ:

١ – ﴿ *بسم الله الرحمن الرحيم*

الحمد لله رب العالمين

الرحمن الرحيم

---

[1] إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ١٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مالك يوم الدين

اياك نعبد واياك نستعين

إهدنا الصراط المستقيم

صراط الذين أنعمت عليهم

غير المغضوب عليهم

ولا الضالين ﴾ سورة الفاتحة.

هذه فاتحة الكتاب والسبع المثاني والقرآن العظيم ﴿ *ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم* ﴾ الحجر ٨٧. فعن رافع بن المعلى رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد؟ فأخذ بيدي، فلما أردنا أن نخرج قلت: يا رسول الله إنك قلت " لأعلمنك أعظم سورة في القرآن ؟ قال : " الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته " رواه البخاري [1].

تنساب هذه السورة الجليلة، بإيقاعها الرخيم، وفواصلها المهيبة، متضمنة حمد الله وإجلاله والاستعانة به، وطلب الهداية منه، ويرددها المسلم في صلواته كلها، ويحفظها الصغار والكبار، حتى حديثو السن يحفظونها لنغمها الساجي، وإيقاعها الهادي، وموسيقاها العلوية. "

"ولقد أحس القدماء والمحدثون بالقدرة على تذكر الكلام الموزون وترديده دون إرهاق للذاكرة، والكلام الموزون ذو النغم الموسيقي يثير فينا انتباهاً عجيباً، وذلك لما فيه من توقع مقاطع خاصة، تنسجم مع ما نسمع من مقاطع، لتتكون منها جميعاً تلك السلسلة... وكل هذا يبعث على الاعجاب والاهتمام" [2]

٢- وهذا مثال آخر على دور الإيقاع القرآني في تيسير الحفظ، من خلال طول الآيات، وحسن مقاطعها، وجمال فواصلها:

﴿ *والضحى ۞ والليل إذا سجى ۞ ما ودعك ربك وما قلى ۞ وللآخرة خير لك من الأولى ۞ ولسوف يعطيك ربك فترضى ۞ ألم يجدك يتيماً فآوى ۞ ووجدك ضالاً فهدى ۞ ووجدك عائلاً فاغنى ۞ فاما اليتيم فلا تقهر ۞ وأما السائل فلا تنهر ۞ وأما بنعمة ربك فحدث* ﴾ سورة الضحى.

" هذه السورة بموضوعها وتعبيرها، ومشاهدها، وظلالها وإيقاعها، لمسة من حنان، ونسمة من رحمة، وطائف من ود. هذه الأنسام اللطيفة في العبارة والإيقاع، ذلك الحنان، وتلك الرحمة،

---

[1] النووي،، رياض الصالحين، ٢٩٣.

[2] إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ٢٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وذاك الرضى وهذا الشجى: تنسرب كلها من خلال النظم اللطيف العبارة، الرقيق اللفظ، ومن هذه الموسيقى السارية في التعبير، الموسيقى الرتيبة الحركات، الوئيدة الخطوات، الرقيقة الأصداء، الشجية الإيقاع"[1].

وقل مثل هذا في عامة القرآن المكي، فهو عالي الإيقاع، سهل الحفظ، على أن الإيقاع يتوارى قليلاً في السور الطوال، ذات الآيات الطويلة، والسياق المتهادي، فيجعل حفظها أصعب لأمرين: لطولها، وانخفاض درجة الإيقاع فيها مقارنة بالسور القصار، ومن أمثلة هذه السور الأنعام والنحل. ولكن يبقى القرآن كله ميسراً للحفظ إذا ما قورن بكلام الناس، يقول منزله جل وعلا ﴿ *ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر* ﴾ القمر ١٧، حيث تكررت هذه الآية أربع مرات في سورة القمر، مؤكدة تيسير تلاوة هذا الكتاب وحفظه، وقال تعالى ﴿ *فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لُدّا* ﴾ مريم ٩٧.

فإذا أخذنا بعين الاعتبار الحض على تلاوة القرآن الكريم، وترديده آناء الليل وأطراف النهار، أدركنا كيف نُقل إلينا هذا القرآن الكريم مشافهة عبر الصدور، ومن خلال السطور، فنقله جمع عن جمع وكلهم متصف بالضبط والمهارة، فلم يتغير منه شيء، بل إننا إذا سمعنا أي خطأ في قراءة هذا الكتاب الكريم تنبهنا إليه مباشرة دون عناء، من خلال انضباطه بالنحو العربي، واتساق آياته الإيقاعي. وهذا القرآن الكريم على الرغم من سهولة حفظه سهل التفلت لمن غفل عنه، ولم يتعاهده، ولم يهيء قلبه بالتقوى والعمل الصالح لأنوار هذا النص العلوي، فعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " تعاهدوا هذا القرآن فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتاً من الإبل في عقلها " رواه البخاري ومسلم[2].

لذا جاء الحض على التلاوة والمدارسة، والقراءة الدائمة، قال تعالى ﴿ *إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين ۞ وأن أتلو القرآن* ﴾ النمل ٩١-٩٢، ﴿ *ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً* ﴾ الإسراء ٧٩، ﴿ *إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذي معك والله يقدر الليل والنهار علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرأوا ما تيسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرأوا ما تيسر منه* ﴾ المزمل ٢٠.

---

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن، ٣٩٢٦.

[2] النووي، رياض الصالحين، ٢٩٢. وقد أخرجه مسلم في صلاة المسافرين (٥٤٥/١) من حديث أبي موسى الأشعري مرفوعاً.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي الحديث الشريف : عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ﴿ *اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه* ﴾ رواه مسلم [1] . وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها لا أقول " ألم " حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف" رواه الترمذي [2] .

ومن خلال التطبيق العملي لتحفيظ القرآن الكريم، نجد أن طلبة دور القرآن الكريم وجمعيات التحفيظ يحققون إنجازات طيبة في عمليات الحفظ، حيث يتفاوت مقدار الحفظ من طالب لآخر، إلا أن عامتهم حفظ ثلاثة أجزاء أو أكثر من كتاب الله تعالى، وبعض منهم حفظ عشرة أجزاء وآخرون أكثر من ذلك، وأتم عدد منهم حفظ كتاب الله تعالى كاملاً وهو في المرحلة المدرسية، أي أنه استظهر ما يزيد على ستمائة صفحة، وهذا لا يكون إلا مع نص خاص جداً، فقد أعانه نسق القرآن الجميل، وقدسية فحواه، وموسيقى الإيقاع السازية فيه، " فالإيقاع ذو هدف ديني من جانبين جانب الراغب في الحفظ وجانب المستمع، الأول يساعده على حفظ القرآن وتذكره وتلاوته، والثاني يجعله ينفعل له ويتأثر به ويهتز، ويحدثنا اليوم علماء اللغة وعلم النفس الموسيقي أن إدراك الطفل لنغم الكلام وجرسه يسبق إدراكه لمعناه وأخيلته، ويقررون أن لدى الإنسان ميلاً غريزياً أو استعداداً فكرياً لالتقاط وتذكر جملة من المقاطع الصوتية المنغمة والمترددة أكثر بكثير من استعداده لالتقاط بعض المقاطع العادية غير الموسقة من الكلام، وكل من شاهد حفظة القرآن من الولدان يعرف أنهم يجدون سهولة واضحة في حفظه وتذكره أكثر مما يجدون في حفظ غيره من النصوص وتذكرها لأن الإيقاع يساعدهم على هذا" [3] .

---

(1) النووي، رياض الصالحين، ٢٩٠.

(2) المرجع السابق، ٢٩١

(3) نعيم اليافي، عودة إلى موسيقى القرآن، ٦٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الرابع

تكوين الجو العام للسورة

يتكون هذا الكتاب الكريم من مائة سورة وأربع عشرة سورة، ويمكن ملاحظة الشخصية المتميزة لكل سورة، من خلال موضوعها وإيقاعها العام، الذي ينتظم آيات تلك السورة، وتؤدي مظاهر الإيقاع دورها في رسم الجو العام للسورة مشكلة ما يمكن تسميته " بوحدة السورة ".

وأسلوب دراسة سور القرآن في ضوء " نظرية وحدة السور " يمكن النظر إليه من علاقة استهلال السورة بموضوعاتها حيث تذكر علامة في مطالع السور" والعلامة هي الرباط الرئيسي للسورة، وتتكون من لفظ واحد أو عدة ألفاظ، ومكانها دائماً مطلع السورة، أي في الآيات الأولى منها. ويتردد ذكر لفظ أو ألفاظ العلامة الخاصة بكل سورة بين آياتها، أكثر من ذكر اللفظ ذاته – أو الألفاظ – في أي سورة أخرى من سور القرآن الكريم. فالرباط الداخلي يعتبر علامة داخلية في السورة، وكأنه يجيء كل مقدار من الآيات ليذكرنا بوحدةٍ تجمع آيات السورة"[1].

ويمكن تمييز الجو العام للسورة بسهولة عندما تكون وتائر الإيقاع عالية، ومن خلال الأمثلة التالية نتبين ذلك :

١ – ﴿ *اقتربت الساعة وانشق القمر ۞ وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ۞ وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر ۞ ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر ۞ حكمة بالغة فما تغن النذر ۞ فتول عنهم يوم يدع الداع إلى شيء نكر ۞ خشعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر ۞ مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر ۞*

كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر ۞ فدعا ربه أني مغلوب فانتصر ۞ ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر ۞ وفجرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قدر ۞ وحملناه على ذات ألواح ودسر ۞ تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر ۞ ولقد تركناها آية فهل من مدكر ۞ فكيف كان عذابي ونذر ۞ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر،..... ﴾ القمر ١-١٧.

---

(١) أحمد عبد الوهاب، إعجاز النظام القرآني، ٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا نحتاج إلى وقفة طويلة حتى نشعر بالجو السائد في هذه السورة، ذلك أن حروفها ومقاطعها وفواصلها تنبيء عن شعور خاص، الشعور بالجد والجبروت، فالسرعة في العرض، جرس الحروف والألفاظ، يرسمان هذا الجو.

لننظر إلى الفواصل وجرسها المتميز: " القمر، مستمر، مستقر، مزدجر، النذر، نكر، منتشر، عسر، ازدجر، فانتصر، منهمر، قدر، دسر ، كفر، مدكر، نذر " إنها فواصل فريده بهذه الراء المسبوقة بصائت قصير، من خلال مقطع خاص، هو القصير المغلق، إن النهايات الصامتة تثير الذهن وتحفزه.

والسرعة في العرض هي السائدة، فالآيات الثماني الأولى تعرض لتكذيب القوم، والنذارات التي وصلتهم، والتهديد بمصيرهم يوم القيامة، وحالهم عند العرض. والسرعة بعد ذلك في عرض قصة سيدنا نوح عليه السلام والصورة الرعيبة التي ترسمها الآيات لأخذ المكذبين.

والسرعة تتبدى في الحذف الذي جرى على بعض الألفاظ، فقد حذفت الياء عدة مرات، لتسريع الإيقاع، لننظر إلى الألفاظ التالية التي حذفت منها الياء لغير علة نحوية، وإنما للتوافق مع إيقاع السياق: " تغن "، " يدع" ، " الداع"، " نذر"، واستخدام عسر بدل عسير.

" هذه السورة من مطلعها إلى ختامها جملة رعيبة مفزعة عنيفة على قلوب المكذبين بالنذر، بقدر ما هي عميقة وثيقة للقلوب المؤمنة المصدقة، ومحتويات السورة الموضوعية واردة في سور مكية شتى. ولكن هذه الموضوعات ذاتها تعرض في هذه السورة عرضاً خاصاً، يحيلها جديدة كل الجدة، فهي تعرض عنيفة عاصفة، وحاسمة قاصمة، يفيض منها الهول، ويتناثر حولها الرعب، ويظللها الدمار والفزع والانبهار" [1].

وسبحان الله العظيم، حتى جزاء المتقين الأبرار، يعرض في هذه السورة عرضاً عجيباً خاصاً جداً، لعلنا لا نجده في القرآن كله بهذه السرعة وبهذا الإيقاع الذي يتناسب وجو السورة: ﴿ *إن المتقين في جنات ونهر ۞ في مقعد صدق عند مليك مقتدر* ﴾ القمر ٥٤-٥٥.

٢- ﴿ *والليل إذا يغشى ۞ والنهار إذا تجلى ۞ وما خلق الذكر والأنثى ۞ إن سعيكم لشتى ۞ فأما من أعطى واتقى ۞ وصدق بالحسنى ۞ فسنيسره لليسرى ۞ وأما من بخل واستغنى ۞ وكذب بالحسنى ۞ فسنيسره للعسرى ۞ وما يغني عنه ماله إذا تردى ۞ إن علينا للهدى ۞ وإن لنا للآخرة والأولى ۞ فأنذرتكم ناراً تلظى ۞ لا يصلاها إلا الأشقى ۞ الذي*

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ٣٤٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كذب وتولى ۞ وسيجنبها الأتقى ۞ الذي يؤتي ماله يتزكى ۞ وما لأحد عنده من نعمة تجزى ۞ إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ۞ ولسوف يرضى ﴾ سورة الليل.

تتميز هذه السورة الكريمة بايقاع خاص، يرتسم من خلال تعادل الفقر، وتجانس الفواصل، واختيار المقطع المفتوح في نهايات الفواصل، وهو الألف، فيوحد بذلك السورة كلها في نظام واحد، فالمطلع قَسَم ببعض مخلوقات الله، ومظاهر الطبيعة التي طبعها جل وعلا، ثم يمضي الإيقاع ذاته لتأكيد اختلاف سعي الناس بين مؤمن وكافر، وعقد المقارنة بين الفريقين مرتين، مرة من خلال معادلة العمل والجزاء، والأخرى من خلال النذارة من النار وحال الفريقين إزاءها. ويختم السياق بحال الأتقى الذي يعمل ابتغاء وجه ربه الأعلى، بتوكيد الرضى الذي سيحوزه، فكان الرضى متساوقاً مع هذا الإيقاع المتهادي الذي جمع السورة ووحدها، ونشر السكينة في جوها.

٣- ومن الأمثلة التي تبين بوضوح الجو الخاص لكل سورة، أن القصة تعرض مشاهدها في سورة بطريقة، وتعرض في سورة أخرى بطريقة مختلفة، حيث تتناسق كل طريقة مع الإيقاع السائد في كل سورة.

فمن ذلك مشهد موسى عليه السلام عند بدء الوحي، وتكليم الله جل وعلا لهذا النبي الكريم، حيث عرض هذا المشهد في سورة طه بأسلوب يختلف عن الأسلوب الذي عرض فيه المشهد ذاته في سورة النمل ففي سورة طه كان العرض على هذا النحو:

﴿ *وهل أتاك حديث موسى ۞ إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى ۞ فلما أتاها نودي يا موسى ۞ إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى ۞ وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى ۞ إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري ۞ إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزي كل نفس بما تسعى ۞ فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى ۞ وما تلك بيمينك يا موسى ۞ قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى ۞ قال ألقها يا موسى ۞ فألقاها فإذا هي حية تسعى ۞ قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى ۞ واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى ۞ لنريك من آياتنا الكبرى ۞ اذهب إلى فرعون إنه طغى* ﴾ طه ٩-٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي سورة النمل كان عرض المشهد على هذا النحو:

﴿ *إذ قال موسى لأهله إني آنست ناراً سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون ۞ فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين ۞ يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم ۞ وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبراً ولم يعقب يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون ۞ إلا من ظلم ثم بدل حسناً بعد سوء فإني غفور رحيم۞ وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات إلى فرعون وقومه إنهم كانوا قوماً فاسقين* ﴾ النمل ٧-١٢.

على الرغم من وحدة الموضوع، واشتراك النصين ببعض الألفاظ والتراكيب، إلا أن كل نص قد اتخذ إيقاعاً خاصاً ينسجم وسورته، وهذا يؤكد دور الإيقاع في تشكيل الجو العام للسورة.

بل إن الأمر يتعدى هذا، إلى دور الإيقاع في مساعدتنا على تلمس السمة المكية أو المدنية في السورة، حيث يقول الدكتور نعيم اليافي:

" وبالإيقاع أو بالموسيقى نستطيع أن نعرف المكي من المدني لا سيما في تلك السور التي وقع حولها خلاف فقيل: إنها مكية، كما قيل : إنها مدنية، ويمكن عن طريق فحص الموضوع والأسلوب وطريقة الأداء والوقوف عند نغم الآيات وإيقاعها أن نحدد – ونحن مطمئنون – مكية بعضها، مثل التكاثر والعاديات والزلزلة والرعد والرحمن، ومدنية بعضها الآخر، مثل الجمعة ومحمد والحج والنساء" [1]

---

[1] نعيم اليافي، عودة إلى موسيقى القرآن، ٦٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الخامس

تنويع المعنى

مر معنا في الفصل الأول أن الإيقاع يوحد النسيج القرآني، وهذا المستوى من الإيقاع يشترك فيه القرآن المكي والمدني، وتشترك فيه قصار السور وطوالها، وأول نجوم القرآن وآخرها.

وفي الفصل السابق مر بنا إيقاع دون ذاك الإيقاع، يختص بالسورة الواحدة، ليرسم شخصيتها ويحدد سمتها الغالبة، وقريباً من هذا الإيقاع توجد المعالم التي حاولنا تحديدها للإيقاع المكي دون المدني.

أما في هذا الفصل فإننا سنتناول إيقاعاً جديداً، وظيفته تنويع المعاني بتنويع الإيقاع، إذ يناسب كل فكرة إيقاع يساعد على التعبير عنها، " فإن لكل منحى إيقاعه، ولكل حديث نبرته وموسيقاه، وهذا ما يمكن ملاحظته من خلال الأسجاع نفسها في السورة الواحدة في بعض الأحيان، لأن اللحن لا يمضي على وتيرة واحدة إلا إذا اتحد الغرضان، فوافق الثوب الجسم موافقة تنطق بالتلاؤم والتجانس، وتقرن المثيل بالمثيل، كما يقول بعض النقاد " [1].

والقرآن الكريم ليس كلاماً عادياً، إنه يستخدم كل المؤثرات ليؤدي دوره في نفس المتلقي، لذا يسبغ على كل موضوع الإيقاع الأنسب له، فيطلق بذلك طاقة القدرة على التصوير والتخييل، " ويجب أن نتوسع في معنى التصوير، حتى ندرك آفاق التصوير الفني في القرآن. فهو تصوير باللون، وتصوير بالحركة، وتصوير بالتخييل، كما أنه تصوير بالنغمة تقوم مقام اللون في التمثيل. وكثيراً ما يشترك الوصف، والحوار، وجرس الكلمات، ونغم العبارات، وموسيقى السياق في إبراز صورة من الصور، تتملاها العين والأذن، والحس والخيال، والفكر والوجدان" [2].

والقرآن يحفل بالكثير من الموضوعات والمعاني، فمن القصص إلى الجدال، ومن الوعيد إلى الترغيب، ومن الحديث عن الرسالات إلى الحديث عن الالهيات، فلكل موضوع انفعاله الخاص به، " ولكن خصائص النظم لا تقف عند حد الجملة، بل إن للأساليب خصائص، فمنها ما يناسب الانفعال السريع، والحركة المتوثبة، ومنها ما يناسب العاطفة الهادئة، والحركة البطيئة" [1].

---

(1) عدنان محمد زرزور، علوم القرآن، ٢٩٥.

(2) سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ٣٧.

(1) احمد بدوي، من بلاغة القرآن، ٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ففي سورة مريم سنأخذ موضعين مختلفين في الموضوع، ونلاحظ الإيقاع الذي سرى في كل موضع:

أ – الموضع الأول ﴿ *فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً ۞ فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً ۞ فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً ۞ وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً ۞ فكلي واشربي وقري عيناً فإما ترين من البشر أحداً فقولي إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً ۞ فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً ۞ يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً ۞ فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً ۞ قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً ۞ وجعلني مباركاً أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً ۞ وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً ۞ والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً* ﴾ مريم ٢٢-٣٣.

ب– الموضع الثاني : ﴿ *واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً ۞ كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً ۞ ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً ۞ فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عداً ۞ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً ۞ ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا ۞ لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً ۞ وقالوا اتخذ الرحمن ولداً ۞ لقد جئتم شيئاً إداً ۞ تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً ۞ أن دعوا للرحمن ولداً ۞ وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً ۞ إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً ۞ لقد أحصاهم وعدهم عدا ۞ وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً* ﴾ مريم ٨١-٩٥.

الموضوع الأول كان يتحدث عن تحقق البشرى التي تلقتها مريم بأن يهب الله لها غلاماً زكياً، ورعاية الله لهذه الأمة البتول، ومواجهتها قومها بهذا المولود الآية، وحديث هذا النبي الكريم عن نفسه وهو في مهده، فالجو إذاً جو معجزات وغرائب وبشارات. فكان الإيقاع نديا رخياً عبر الفاصلة المنتهية بالف الإطلاق مردوفة بياء مشددة، ومن خلال طول الآيات المتهادية في سكينة ووقار.

أما الإيقاع في الموضع الثاني فله ميزة مختلفة، فهو يتحدث عن الذين أشركوا بالله فيرد عليهم الرد العنيف، ويهددهم بالويل والجحيم، ويحذرهم من تبرؤ شركائهم منهم، ويبين تسليط الشياطين عليهم، ويصور غضب الطبيعة على من أدعى للرحمن ولداً.

فناسب هذا الموضوع إيقاع سريع عنيف قوي، وفواصل كأنها الصواعق على رؤوس هؤلاء المشركين وشياطينهم، وفي هذا السياق يقول سيد قطب رحمه الله :" وأما تنوع أسلوب الموسيقى وإيقاعها بتنوع الأجواء التي تطلق فيها، فلدينا ما نعتمد عليه في الجزم بأنه يتبع نظاماً خاصاً،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وينسجم مع الجو العام باطراد لا يستثنى" [1] ويقول أحد الباحثين: " يلاحظ من حيث درجة الإيقاع – ميل الإيقاع غالباً إلى البطء مع مقامات الضراعة وذكر الفضائل، وميله غالباً إلى السرعة مع مقامات التهديد والتحذير " [2].

ومثال آخر يظهر لنا تغير المعنى بتغير الإيقاع، كما يمكن أن ننظر إلى الأمر على أنه تغير الإيقاع لتغير المعنى:

﴿ *خذوه فغلوه ۞ ثم الجحيم صلوه ۞ ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه ۞ إنه كان لا يؤمن بالله العظيم ۞ ولا يحض على طعام المسكين ۞ فليس له اليوم ها هنا حميم ۞ ولا طعام إلا من غسلين ۞ لا يأكله إلا الخاطئون* ﴾ الحاقة ٣٠ -٣٧.

فإيقاع الآيات الثلاث الأولى مختلف عن بقية الآيات، فالمقاطع والفواصل فيها متمايزة منها في الآيات اللاحقة، لأن " التشكل الموسيقي للعبارة يتلاءم التلاؤم كله مع المعنى " [3].

ولعل اختلاف الفاصلة لعب الدور الإيقاعي الأكبر في التعبير عن المعنى، " والفاصلة بقيمتها الإيقاعية والموسيقية تلعب في السور دور المفتاح في اللحن الموسيقي، ويمتاز القرآن من الموسيقى وفن القول عموماً بتنويع هذه المفاتيح، والانتقال فيما بينها في السورة الواحدة بيسر وسهولة " [4]

ويمكننا بنظرة سريعة إدراك الاختلاف الإيقاعي بين شقيّ الآيات، " واختلاف الإيقاع على هذا النحو راجع إلى اختلاف المضمون، فإذا كانت الآيات الأولى تصور خطوات تنفيذ الحكم، فإن الآيات اللاحقة تنطق بأسبابه " [5].

وفي سورة الغاشية نلحظ دور الإيقاع في التعبير عن الموضوعات المختلفة:

﴿ *وجوه يومئذ ناعمة ۞ لسعيها راضية ۞ في جنة عالية ۞ لا تسمع فيها لاغية ۞ فيها عين جارية ۞ فيها سرر مرفوعة ۞ وأكواب موضوعة ۞ ونمارق مصفوفة ۞ وزرابي مبثوثة.*

أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ۞ وإلى السماء كيف رفعت ۞ وإلى الجبال كيف نصبت ۞ وإلى الأرض كيف سطحت ﴾ الغاشية ٨-٢٠. فإضافة إلى اختلاف طول الآيات بين القسمين، لعبت الفاصلة دورها في المغايرة بين الموضوعين، فالموضوع الأول وصف للنعيم المادي الذي يلقاه أهل الجنة، والموضوع الثاني حض على النظر في عجيب صنع الله حولنا.

---

(١) سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ١١١.

(٢) محمد السيد سليمان، من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، ٨٢.

(٣) نعيم اليافي، قواعد تشكل النغم في موسيقى القرآن، ٣٤.

(٤) المصدر السابق، ١٥١.

(٥) محمد السيد سليمان، المصدر السابق، ٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" في كل سورة أو نص قرآني ينبع الإيقاع من اندماج عنصرين من نغمة خاصة تناسب الفكرة، وتقوم القافية (الفاصلة) فيها بدور المفتاح، ومن لحن ينتظم النغمات جميعاً على اختلاف درجاتها " [1].

وفي سورة عبس نلاحظ الدور الذي تقوم به الفواصل في تنويع المعنى، والتناسب القائم بين إيقاع الفاصلة والموضوع، إذ إن " من أسرار الفواصل القرآنية المغايرة النوعية الإيقاعية بين مجموعتين أو أكثر من الآيات، لجعل الكلام مطابقاً لمقتضى الحال بوسيلة إيقاعية هي آية في الإعجاز" [2]. قال تعالى : ﴿ *فإذا جاءت الصآخة ۞ يوم يفر المرء من أخيه ۞ وأمه وأبيه ۞ وصاحبته وبنيه ۞ لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه.*

وجوه يومئذ مسفرة ۞ ضاحكة مستبشرة ۞ ووجوه يومئذ عليها غبرة ۞ ترهقها قترة ۞ أولئك هم الكفرة الفجرة ﴾ عبس ٣٣-٤٢.

فالآية الأولى تفجؤنا بوقوع يوم القيامة، هذا اليوم الذي تكون فيه الصيحة الصاعقة، التي تصم الأذان، فجاءت الفاصلة تحوي المد الثقيل والتشديد، والهاء الساكنة لتصور لنا هول ذلك اليوم (الصآخة).

ثم جاءت الآيات التالية تصور حال العبد يوم القيامة، وهمه المديد الذي هو فيه، والمقطع الصوتي الأخير في هذه الفواصل معبر " إيه"، فهي الآهات والندم والتنهد. ثم تجيء آيتان تصفان حال الفئة الناجية، فكانت الفاصلة منبسطة لتعبر عن انبساط تلك الثلة، وأخيراً حينما صار الحديث عن الفئة الخاسرة صارت المقاطع سريعة والفواصل مقتضبة [3]. كما أن أصوات الحروف وطبيعة المقاطع أسهمت أيضاً في تشكيل الإيقاع الذي يخدم الموضوع، فناسب الإيقاع في كل مرة الموضوع الذي تحدثت عنه الآيات.

---

(١) نعيم اليافي، عودة إلى موسيقى القرآن، ٦٤.

(٢) محمد السيد سليمان، من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، ١٠٨.

(٣) انظر المرجع السابق، ١٠٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل السادس

التأكيد

يتصف الإنسان بالنسيان، وهذه الصفة وإن كانت نعمة من وجه، فهي ضارة من وجه آخر، فالنسيان نعمة في حال الأحداث المؤسفة المؤلمة ، وهو نعمة لتخفيف الضغط عن عقل الإنسان الواعي، لكنه ضار إذا كان بحق الطاعة والذكرى والعمل الصالح.

فهذا آدم أبو البشر، عصى ربه وغوى، وخرج من الجنة لسببين: ضعف الإرادة، والنسيان: ﴿ *ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً* ﴾ طه ١١٥. فكان لا بد من التذكير والتكرار، والتوكيد في هذا الكتاب الكريم جاء الأمر به في مواضع كثيرة:

﴿ *كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب* ﴾ ص ٢٩، ﴿ *إن هو إلا ذكر للعالمين* ﴾ ص ٨٧، ﴿ *قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون* ﴾ الأنعام ١٢٦، حتى إن القرآن الكريم سمّي ذكراً: ﴿ *وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون* ﴾ الحجر ٦، ﴿ *وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون* ﴾ الأنبياء ٥٠، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأنه لن ينسى كتاب ربه، وهذا من عظيم الفضل الرباني: ﴿ *سنقرئك فلا تنسى* ﴾ الأعلى ٦، و بيّن القرآن علة دخول النار لمن خالف وعصى: ﴿ *قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى* ﴾ طه ١٢٦.

لقد كان من أهم وظائف الإيقاع في القرآن الكريم الحث والتوكيد، وترداد الفكرة مراراً لتجديد سطوعها أمام عقل الإنسان وقلبه، فيندفع للطاعة ويطرد الكسل، وأشار القرآن إلى صفة من أهم صفاته وهي تثنية الأخبار وإعادتها، لإحداث الأثر الإيجابي في نفس المتلقي: ﴿ *الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد* ﴾ الزمر ٢٣. "متشابهاً: أي يشبه بعضه بعضاً في الحسن والإحكام وصحة المعاني، وقوة المباني، وبلوغه أعلى درجات البلاغة، ومعنى مثاني: أي تثنى فيه القصص، وتتكرر فيه المواعظ الأحكام، ويثنى في التلاوة فلا يمل سامعه ولا يسأم قارئه " [1]. " ومن هنا نرى أن التكرار لا في الأحاديث وحسب، وإنما في الموسيقى أيضاً هو عنصر هام من عناصر تركيز الفكرة في نطاق معين " [2].

ومن طرائق الإيقاع لإحداث التأكيد أساليب عديدة نذكر منها:

---

(1) محمد سليمان الأشقر، زبدة التفسير، ٦٠٩.

(2) فرج عبد الرزاق العنزي، هذه هي الموسيقى، ١٢٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١- التأكيد من خلال إيقاع القصص القرآني: وهذه سمة بارزة في القرآن الكريم، حيث يعرض القصة مراراً وفي سور عديدة، وأظهر مثال على ذلك قصة سيدنا موسى عليه السلام، حيث وردت في سور مكية كثيرة، فيضيف كل عرض لمسات جديدة تكمل أوجه القصة، وتبين العبر المقصودة من كل عرض، وترد القصة طويلة في بعض السور كما في سور الأعراف وطه والقصص، وترد متوسطة كما في يونس والشعراء وغافر، وترد مقتضبة كما في الدخان والذاريات والنازعات. فكان لهذا الإيقاع القصصي الممتد عبر السور المكية دور كبير في تأكيد العبرة المقصودة وهي نصرة الرسول وأخذ المعاندين. وسنشير هنا إلى قصة موسى في الصورة المقتضبة، حيث عرضت في كثير من السور المكية، مع الإشارة المستمرة إلى العبرة في ثنايا القصة وفي آخرها :

أ- القصة في سورة الدخان ﴿ *ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم ۞ أن أدوا إليّ عباد الله إني لكم رسول أمين ۞ وأن لا تعلوا على الله إني آتيكم بسلطان مبين ۞ وإني عذت بربي وربكم أن ترجمون ۞ وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون ۞ فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون ۞ فأسر بعبادي ليلاً إنكم متبعون ۞ واترك البحر رهواً إنهم جند مغرقون ۞ كم تركوا من جنات وعيون ۞ وزروع ومقام كريم ۞ ونعمة كانوا فيها فاكهين ۞ كذلك وأورثناها قوماً آخرين ۞ فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين ۞ ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين ۞ من فرعون إنه كان عالياً من المسرفين ۞ ولقد اخترناهم على علمٍ على العالمين ۞ وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين* ﴾ الدخان ١٧-٣٣.

ب- القصة في سورة الذّاريات ﴿ وفي موسى إذ ارسلناه إلى فرعون بسلطان مبنين ۞ فتولى بركنه وقال ساحر أو مجنون ۞ فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم ﴾ الذاريات ٣٨-٤٠.

جـ- القصة في سورة النازعات: ﴿ *هل أتاك حديث موسى ۞ إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى ۞ اذهب إلى فرعون إنه طغى ۞ فقل هل لك إلى أن تزكى ۞ وأهديك إلى ربك فتخشى ۞ فأراه الآية الكبرى ۞ فكذب وعصى ۞ ثم أدبر يسعى ۞ فحشر فنادى ۞ فقال أنا ربكم الأعلى ۞ فأخذه الله نكال الآخرة والأولى ۞ إن في ذلك لعبرة لمن يخشى* ﴾ النازعات ١٥-٢٦.

وقس على هذا قصص الأنبياء التي ترددت في جنبات هذا الكتاب الكريم كقصة آدم، ونوح، وهود، وصالح، وعيسى، وشعيب، وإبراهيم، ولوط عليهم السلام، مبسوطة مرة، ومقتضبة اخرى، إلا أن قصة موسى عليه السلام هي القصة الأكثر توقيعاً في الكتاب العزيز، وذلك لتوكيد العبر العظيمة التي تضمنتها حياة موسى عليه السلام المديدة والمتنوعة الأحوال، من المولد حتى النشأة، ثم الهروب والعودة والوحي، ولقاء فرعون ثم السحرة، والآيات المرسلة معه، حتى كان خروج بني إسرائيل من مصر، فتبدأ مرحلة جديدة مع بني إسرائيل أنفسهم ومعالجة اعوجاجهم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وسوء طويتهم، وهناك أمر آخر يفسر إفراد قصة موسى وبني إسرائيل بهذا الاهتمام الكبير، وهو "أن اليهود هم أول من اصطدم بالدعوة في المدينة، وكان لهذا الاصطدام أسبابه الكثيرة ... فقد كان لهم في يثرب مركز ممتاز بسبب أنهم أهل كتاب بين الأميين من العرب، ثم كان هنالك ظرف مواتٍ لليهود لما بين الأوس والخزرج من فرقة وخصام، وهي البيئة التي يجد اليهود دائماً لهم فيها عملاً، فلما أن جاء الإسلام سلبهم هذه المزايا" [1]، فكثر كيدهم، وألبوا العداوات على النبي صلى الله عليه وسلم، وخططوا لإضعاف الصف، فكان هذا التأهيل من العهد المكي، ليكشف للمسلمين تاريخ بني إسرائيل وصفاتهم.

" ويهدف القرآن الكريم من التوكيد والتكرير في أسلوبه إلى تحقيق غرضين:

الأول : بيان حقائق هذا الدين وتثبيت معنى الوعد والوعيد لتقريرها في النفوس.

والآخر: هو إخراج المعنى الواحد في صور بيانية متعددة، والتصريف فيه، حتى يتجلى إعجاز القرآن، ويستبين قصور الطاقة البشرية عن تقليده أو اللحاق بشأنه" [2].

٢- التأكيد عن طريق اللازمات : واللازمة هي آية أو تركيب يتكرر بشكل مكثف بغية تحقيق التأثير المطلوب، وهذا كثير في القرآن الكريم، وسنأخذ مثالاً عليه من سورة المرسلات :

﴿ *وإذا الرسل أقتت ✿ لأي يوم أجلت ✿ ليوم الفصل ✿ وما أدراك ما يوم الفصل✿*

ويل يومئذ للمكذبين

ألم نهلك الأولين✿ ثم نتبعهم الآخرين ✿ كذلك نفعل بالمجرمين،

ويل يومئذ للمكذبين

ألم نخلقكم من ماء مهين✿ فجعلناه في قرار مكين ✿ إلى قدر معلوم ✿ فقدرنا فنعم القادرون

ويل يومئذ للمكذبين

ألم نجعل الأرض كفاتاً ✿ أحياءً وأمواتاً ✿ وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقيناكم ماءً فراتاً

ويل يومئذ للمكذبين

انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون ✿ انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب ✿ لا ظليل ولا يغني من اللهب ✿ إنها ترمي بشرر كالقصر ✿ كأنه جمالة صفر

---

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن، ٣١.

[2] حامد صدقي قنيبي، المشاهد في القرآن الكريم، ٢٩٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويل يومئذ للمكذبين

هذا يوم لا ينطقون ۞ ولا يؤذن لهم فيعتذرون

ويل يومئذ للمكذبين

هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين ۞ فإن كان لكم كيد فكيدون

ويل يومئذ للمكذبين

إن المتقين في ظلال وعيون ۞ وفواكه مما يشتهون ۞ كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون

إنا كذلك نجزي المحسنين

ويل يومئذ للمكذبين

كلوا وتمتعوا قليلاً إنكم مجرمون

ويل يومئذ للمكذبين

وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون

ويل يومئذ للمكذبين

فبأي حديث بعده يؤمنون ﴾ المرسلات ١١-٥٠.

إن ربع عدد الآيات الكريمة عبارة عن لازمة واحدة لم تتغير ﴿ *ويل يومئذ للمكذبين* ﴾ إنها إيقاع شديد ملح على القلب، إنه التهديد الرهيب، والوعيد الرعيب بعاقبة المكذبين، " ويرى الزمخشري في آيات الوعيد والتهديد متابعة للنفس وتجديد التذكير لها" [1]، " وهذا التكرير مما يوحي بالرهبة،ويملأ القلب رعباً من التكذيب بهذا اليوم الواقع بلا ريب " [2].

ويمكن ملاحظة هذه الظاهرة في العديد من السور المكية، مثل اللازمة في سورة الشعراء ﴿ *إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ۞ وإن ربك لهو العزيز الرحيم* ﴾ الشعراء ٨-٩، واللازمة في سورة الرحمن (على أنها مكية) ﴿ *فبأي آلاء ربكما تكذبان* ﴾ الرحمن ١٣. واللازمة في سورة القمر ﴿ *فكيف كان عذابي ونذر ۞ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر* ﴾ القمر ١٦-١٧، واللازمة في سورة الصافات ﴿ *سلام على نوح في العالمين ۞ إنا كذلك نجزي المحسنين ۞ إنه من عبادنا المؤمنين*﴾ الصافات ٧٩-٨١.

وقد استخدم بعض العرب هذا في شعرهم فاعاد شطراً في مجموعة من الأبيات دون تغيرعلى هذا الشطر بقصد تعميق المعنى:

على أن ليس عدلاً من كليب إذا خاف المغار من المغير

---

(١) حامد صدقي قنيبي، المشاهد في القرآن الكريم، ٩٤.

(٢) أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، ١٥٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على أن ليس عدلاً من كليب إذا طـــرد اليتيم عـن الجدور
على أن ليس عدلاً من كليب إذا ما ضيم جـــار المستجير
على أن ليس عدلاً من كليب إذا ضاقت رحيبات الصدور

فههنا تعمد الشاعر إعادة قوله (على أن ليـس عـدلاً مـن كليـب) لتقويـة الرنـة اللفظيـة، ليصل الشاعر بها الكلام ويبالغ في جرسه، وكان القارئ يقف أمام تيار إيقاعي عميـق، تتوافـق فيـه الإيقاعات الموسيقية مـن خـلال هـذا التكـرار المعبر مـع الإيقـاع المعنـوي الـذي يحملـه الشـاعر في صدره[1].

٣- التأكيد من خلال إيقاع الفواصل: إن الاطراد في الفاصلـة القرآنيـة يـؤدي دوره في تـأكيد المعنى، من خلال إعادة الفاصلة نفسها أو إعادة وزنها أو مادة جذرها، كما أن الحروف المستخدمة في الفاصلة تشي بالمعنى من خلال تكثيف النمط، ومثل هـذا شـائع في القـرآن الكريـم، وفي السـور المكية منه على وجه الخصوص، حيث الإيقاع السريع، والفواصل المعبرة.

فمن ذلك الفاصلة الواردة في سورة الناس، حيث حرف السين الصفـيري المهمـوس، الـذي تردد كثيراً في هذه السورة، والنون المشددة التي تحمل غنـة جميلـة، وتـأكيد صفـات الـرب المهيمـن على عبادة ﴿ *قل أعوذ برب الناس ۞ ملك الناس ۞ إله الناس ۞ من شر الوسواس الخناس ۞ الذي يوسوس في صدور الناس ۞ من الجنة والناس* ﴾ سورة الناس، وفي سورة المدثر تكررت الفاصلة ﴿ *إنه فكر وقدر ۞ فقتل كيف قدر ۞ ثم قتل كيف قدر* ﴾ المدثر ١٨-٢٠، تـأكيداً علـى خطـأ التصرف الذي قام به الوليد بن المغيرة، وفي سورة القدر توكيد لشأن هذه الليلة ﴿ *إنـا أنزلناه في ليلة القدر ۞ وما أدراك ما ليلة القدر* ﴾ القدر ١-٢. وفي سورة الحاقة، تهويل وتخويف: ﴿ *الحاقـة ۞ ما الحاقة ۞ وما أدراك ما الحاقة* ﴾ "ويشارك إيقاع الفاصلة في السورة، برنته الخاصة، وتنـوع هـذه الرنة، وفق المشاهد والمواقف في تحقيق التأثـير الحـي العميـق ... فمنـه المـدّ والتشـديد والسـكت في فواصل مطلع السورة ... والألفاظ في السورة بجرسها ومعانيها وباجتماعهـا في الـتركيب، وبدلالـة الترتيب كله ... تشترك في إطلاق هذا الجو وتصويره"[2].

وفي سورة القارعة تؤدي الفاصلة أيضاً دورها: ﴿ *القارعة ۞ ما القارعـة ۞ ومـا أدراك مـا القارعة* ﴾ القارعة ١-٣.ولننظر في أداء الفاصلة لتأكيد المعنى مـن خـلال التوافـق في الـروي، وإيحـاء تشكيل الفاصلة ﴿ *كلا إنها لظى ۞ نزاعة للشوى ۞ تدعو من أدبر وتولى ۞ وجمع فأوعى*

---

(١) أيمن دراوشة، التكرار وأثره في الموسيقى الشعرية، ٤٨.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، ٣٦٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

﴿ إن الإنسان خلق هلوعاً ۞ إذا مسه الشر جزوعاً ۞ وإذا مسه الخير منوعاً ﴾ المعارج ١٥-٢١ وصيغة المبالغة " فعول" تؤكد شطط الإنسان، ومبالغته في التلون بين حالي الشر والخير.

وقد يكون التأكيد بإعادة الجذر في الفاصلة وهو كثير في القرآن الكريم، ومما ورد في سورة الإسراء على سبيل المثال ﴿ وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبّروا ما علوا تتبيراً ﴾ الإسراء ٧.

﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً ﴾ الإسراء ١٦.

﴿ وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً ﴾ الإسراء ٢٦.

﴿ أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً ﴾ الإسراء ٩١.

﴿ وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً ﴾ الإسراء ١٠٦.

﴿ وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي ومن الذل وكبره تكبيراً ﴾ الإسراء ١١١.

وفي مواضع أخرى ﴿ والصافات صفاً ۞ فالزاجرات زجراً ﴾ الصافات ١-٢، ﴿ والمرسلات عرفاً ۞ فالعاصفات عصفاً ۞ والناشرات نشراً ۞ فالفارقات فرقاً ﴾ المرسلات ١-٤. ﴿ والنازعات غرقاً ۞ والناشطات نشطاً ۞ والسابحات سبحاً ۞ فالسابقات سبقاً ﴾ النازعات ١-٤، ومثل هذا كثير في السور المكية.

٤ – التأكيد من خلال إيقاع المعنى : وأكثر ما يبدو هذا في ثلاث صور، هي القسم باستخدام الواو، الجمل المصدرة بـ " إذا" الظرفية، وجمل التوكيد باستخدام " إنّ":

فمن إيقاع القسم :

﴿ والشمس وضحاها ۞ والقمر إذا تلاها ۞ والنهار إذا جلاها ۞ والليل إذا يغشاها ۞ والسماء وما بناها ۞ والأرض وما طحاها ۞ونفس وما سواها ۞ فألهمها فجورها وتقواها ﴾ الشمس ١-٨ .

﴿ والتين والزيتون ۞ وطور سينين ۞ وهذا البلد الأمين ۞ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ﴾ التين١-٤ .

﴿ والليل إذا يغشى ۞ والنهار إذا تجلى ۞ وما خلق الذكر والأنثى ۞ إن سعيكم لشتى ﴾ الليل ١-٤.

﴿ والفجر ۞ وليالٍ عشر۞ والشفع والوتر ۞ والليل إذا يسر ۞ هل في ذلك قسم لذي حجر ﴾ الفجر ١-٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

﴿ والسماء ذات البروج ۞ واليوم الموعود ۞ وشاهد ومشهود ۞ قتل اصحاب الأخدود ﴾ البروج ١-٤.

فهذه الأقسام كلها جاءت لتؤكد الحقائق المذكورة عقب كل منها .

أما التوكيد بإذا الظرفية فهو كثير، ومنه :

﴿ إذا السماء انشقت ۞ وأذنت لربها وحقت ۞ وإذا الأرض مدت ۞ وألقت ما فيها وتخلت ۞ وأذنت لربها وحقت ﴾ الانشقاق ١-٥ .

﴿ إذا السماء انفطرت ۞ وإذا الكواكب انتثرت ۞ وإذا البحار فجرت ۞ وإذا القبور بعثرت ﴾ الانفطار ١-٤ .

﴿ إذا الشمس كورت ۞ وإذا النجوم انكدرت ۞ وإذا الجبال سيرت ۞ وإذا العشار عطلت ۞ وإذا الوحوش حشرت ۞ وإذا البحار سجرت ۞ وإذا النفوس زوجت ۞ وإذا الموءودة سئلت ۞ بأي ذنب قتلت ۞ وإذا الصحف نشرت ۞ وإذا السماء كشطت ۞ وإذا الجحيم سعرت ۞ وإذا الجنة أزلفت ۞ علمت نفس ما أحضرت ﴾ التكوير ١-١٤ .

يقول سيد قطب معلقاً على سورة التكوير : " والإيقاع العام للسورة أشبه بحركة جانحة . تنطلق من عقالها ، فتقلب كل شيء، وتنثر كل شيء، وتهيج الساكن وتروع الآمن هذا هو مشهد الانقلاب التام لكل معهود، والثورة الشاملة لكل موجود ... يشير إلى أن هذا الكون سينفرط عقد نظامه، وتتناثر أجزاؤه، وهذا ما تستهدف السورة إقراره في المشاعر والقلوب" [1].

وأما التوكيد بإنّ فهو كثير أيضاً في القرآن الكريم :

﴿ وإنه لتذكرة للمتقين ۞ وإنا لنعلم أن منكم مكذبين ۞ وإنه لحسرة على الكافرين ۞ وإنه لحق اليقين ۞ فسبّح باسم ربك العظيم ﴾ الحاقة ٤٨- ٥٢ .

﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ۞ وأن سعيه سوف يرى ۞ ثم يجزاه الجزاء الأوفى ۞ وأن إلى ربك المنتهى ۞ وأنه هو أضحك وأبكى ۞ وأنه هو أمات وأحيا ۞ وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى ۞ من نطفة إذا تمنى ۞ وأن عليه النشأة الأخرى ۞ وأنه هو أغنى وأقنى ۞ وأنه هو رب الشعرى ۞ وأنه أهلك عاداً الأولى ۞ وثمودَ فما أبقى ﴾ النجم ٣٩-٥١ .

ومثال آخر أكثر وضوحاً في استخدام التوكيد بشكل كثيف جداً:

﴿ وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولداً ۞ وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططاً ۞ وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذباً ۞ وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً ۞ وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً ۞ وأنا لمسنا السماء فوجدناها

---

(1) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ٣٨٣٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملئت حرساً شديداً وشهباً ۞ وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً ۞ وأنا لا ندري أشرٌ أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً ۞ وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قدداً ۞ وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هرباً ۞ وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً ۞ وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحرّوا رشداً ﴾ الجن ٣ -١٤ .

" إنها قطعة موسيقية مطردة الايقاع، قوية التنغيم ، ظاهرة الرنين، مع سبغة من الحزن في إيقاعها، ومسحة من الأسى في تنغيمها، وطائف من الشجى في رنينها، وذلك كله إلى جانب الإيقاع النفسي للحقائق التي وردت في حكاية قول الجن، وبيانهم الطويل المديد . وهي حقائق ذات ثقل ووزن في الحس والتصور، والاستجابة لها تغشى الحس بحالة من التدبر والتفكر، تناسب سمة الحزن ورنة الشجى المتمشية في إيقاع السورة الموسيقي، وقراءة هذه السورة بشيء من الترتيل الهادئ توقع في الحس هذا الذي وصفناه من المسحة الغالبة عليها".[1]

٥ – التأكيد من خلال إيقاع الصور : فإيقاع وصف الجنة والنار مثلاً وترداد صورهما في السور المكية أدى إلى تأكيد حقيقة كل منهما نعيماً او جحيماً، ولنأخذ صورة النار كما وردت في أكثر من موطن لتأكيد التخويف منها :

﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقاً ﴾ الكهف ٢٩ .

﴿ فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثياً ۞ ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتياً ۞ ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صلياً ۞ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً ۞ ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً ﴾ مريم ٦٨ - ٧٢ .

﴿ إن شجرة الزقوم ۞ طعام الأثيم ۞ كالمهل يغلي في البطون ۞ كغلي الحميم ۞ خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم ۞ ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ۞ ذق إنك أنت العزيز الكريم ۞ هذا ما كنتم به تمترون ﴾ الدخان ٤٣ -٥٠ .

٥٠٨٣١٧

﴿ يوم يُدَعّون إلى نار جهنم دعّاً ۞ هذه النار التي كنتم بها تكذبون ۞ أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون ۞ اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم إنما تجزون ما كنتم تعملون﴾ الطور ١٣-١٦. ﴿ *وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال ۞ في سموم وحميم ۞ وظل من يحموم ۞ لا بارد ولا كريم ۞...، ثم إنكم أيها الضالون المكذبون ۞ لآكلون من شجر من زقوم ۞*

---

(١) سيد قطب ، في ظلال القرآن، ٣٧٢٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فمالئون منها البطون ۞ فشاربون عليه من الحميم، فشاربون شرب الهيم ۞ هذا نزلهم يوم الدين ﴾ الواقعة ٤١ -٥٦ .

﴿ وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير ۞ إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهي تفور ۞ تكاد تميز من الغيظ كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير ۞ قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير ۞ وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير ۞ فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لأصحاب السعير ﴾ الملك ٦ - ١١ .

﴿ إن جهنم كانت مرصاداً ۞ للطاغين مآباً ۞ لابثين فيها أحقاباً ۞ لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً ۞ إلا حميماً وغساقاً ۞ جزاءً وفاقاً ۞ إنهم كانوا لا يرجون حساباً ۞ وكذبوا بآياتنا كذاباً ۞ وكل شيء أحصيناه كتاباً ۞ فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً ﴾ النبأ ٢١ - ٣٠ .

﴿ وأما من خفت موازينه ۞ فأمه هاوية ۞ وما أدراك ما هيه ۞ نار حامية ﴾ القارعة ٨ - ١١ .

لقد جاءت هذه الصور وكثير غيرها لتؤكد حقيقة العقاب لمن خالف وعصى، وإذا نظرنا إلى إيقاع الصور التي تتحدث عن الجنة وجدناها كذلك تؤدي دور التأكيد على حقيقة الجزاء الحسن لمن أحسن واتقى .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل السابع

إشـــاعـة التقابـــل

إن المرء أقدر على تمييز الأشياء ومعرفة حدودها حينما تعرض بإزاء أضدادهـا، وكمـا قيـل (وبضدها تتميز الأشياء)، فيتضح الأبيض إذا جاور الأسود، ونعرف الليل مقـابل النهـار، ويستبين الخير في مواجهة الشر وهكذا.

وقد حرص القـرآن الكريـم علـى إجـراء هـذه المقـابلات، وترادهـا بصـور شـتى ليعـرف الإنسان مساحة الهدى من مساحة الضلال، ويفرق طريق الخير من طريق الشر، ومـن الأمثلة علـى ذلك:

١- سورة الكافرون، حيث التقابل بين العبادة الحقة والعبادة الباطلة:

﴿ *قل يا أيها الكافرون، لا أعبد ما تعبـــدون، ولا أنتم عابدون ما أعبد*
ولا أنا عابد ما عبدتم ، ولا أنتم عابدون ما أعبد
لكـم دينكم ، ولي دين ﴾

إنها المفاصلة، وإنه الطريق القويم في مقابل الطريق المعوج، إنه الثبات على المبدأ، لا المداهنة والزيف كل هذا أداه إيقاع التقابل بين الدينين، والمقارنة بين العبادتين.

٢- وفي القرآن الكريم إيقاع تقابلي بين مصير المؤمن ومصير الكافر في الآخرة ففي سورة هـود ﴿ *يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد ۞ فأما الذين شـقوا ففـي النـار لهـم فيها زفير وشهيق ۞ خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا مـا شـاء ربـك إن ربـك فعال لما يريد،*
وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامـت السـماوات والأرض إلا مـا شـاء ربـك عطاءً غير مجذوذ ﴾ هود ١٠٥-١٠٨.

مقابلة بين أهل الشقاوة وأهل السعادة، ومستقر كل منهم، وهذا يتكرر في القرآن الكريم، حيث يقترن الحديث عن الجنة بالحديث عن النار، ومن ذلك أيضاً:

- ﴿ *إن شجرة الزقوم ۞ طعام الأثيم ۞ كالمهل يغلي في البطون ۞ كغلـي الحميـم ۞ خـذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم ۞ ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ۞ ذق إنك أنت العزيـز الكريم ۞ إن هذا ما كنتم به تمترون*

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن المتقين في مقام أمين ۞ في جنات وعيون ۞ يلبسون من سندس واستبرق متقابلين ۞ كذلك وزوجناهم بحور عين ۞ يدعون فيها بكل فاكهة آمنين ۞ لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم ۞ فضلاً من ربك ذلك هو الفوز العظيم ﴾ الدخان ٤٣-٥٧.

- ﴿ وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقاً، إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً ۞ أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضراً من سندس واستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقاً ﴾ الكهف ٢٩-٣١.

وهنا نرى أن المقابلة تصل ذروتها في التعقيب على كل فريق حيث نرى الطباق بين بئس ونعم، وبين ساءت وحسنت.

- ﴿ ألقيا في جهنم كل كفار عنيد ۞ مناع للخير معتد مريب ۞ الذي جعل مع الله إلهاً آخر فألقياه في العذاب الشديد ۞ قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد ۞ قال لا تختصموا لدي وقد قدمت إليكم بالوعيد ۞ ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد ۞ يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد۞ وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد ۞ هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ ۞ من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ۞ ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود ۞ لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد ﴾ ق ٢٤-٣٥.

٣- ومن إيقاعات التقابل في القرآن الكريم ، ثنائية الخير والشر، والهدى والضلال، حيث تتردد صور الخير بإزاء الشر, حتى يميز العبد بينهم بوضوح، فمن ذلك:

- ﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون، ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار، يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ﴾ إبراهيم ٢٤-٢٧.

فالمقابلة واضحة بين الكلمة الطيبة وهي قول (لا إله إلا الله) والكلمة الخبيثة وهي كلمة الكفر، والمقابلة بين " طيبة " و " خبيثة "، وبين " أصلها ثابت " و " اجتثت من فوق الأرض "، وبين " يثبت " و " يضل "، حقاً إن الهداية ليست كالضلال.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونمضي مع الأمثلة الكثيرة على إيقاع التقابل بين الهدى والضلال :

- ﴿ أفمن يمشي مكبّاً على وجهه أهدى أمّن يمشي سوياً على صراط مستقيم ﴾ الملك ٢٢.

﴿ وانا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحرّوا رشداً،
وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً ﴾ الجن ١٤-١٥.

﴿ فأما من طغى ✿ وآثر الحياة الدنيا ✿ فإن الجحيم هي المأوى
وأمـــا من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ✿ فـإن الجنـة هـي المأوى ﴾ النازعات ٣٧-٤١.

- ﴿ من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً،
ومن أراد الآخرة وسعى له سعيها وهو مؤمن فأولئك كـان سعيهـم مشكوراً ﴾ الإسراء ١٨-١٩.

- ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام
ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصّعّد في السماء ﴾ الأنعام ١٢٥.

- ﴿ والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه
والذي خبث لا يخرج إلا نكداً ﴾ الأعراف ٥٨.

- ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هـم فيها خالدون،
والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلـة مـا لهـم مـن الله من عـاصم كأنما أغشيت وجوههـم قطعـاً من الليل مظلماً أولئك أصحاب النار هـم فيها خالدون ﴾ يونس ٢٦-٢٧.

- ﴿ مثل الفريقين كالأعمى والأصم، والبصير والسميع، هل يستويان مثلاً أفلا تذكرون ﴾ هود ٢٤.

- ﴿ وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد ✿ يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار ✿ من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ✿ ويا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار ✿ تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار ﴾ غافر ٣٨-٤٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ﴿ فأما من أعطى واتقى ✿ وصدق بالحسنى ✿ فسنيسره لليسرى
وأما من بخل واستغنى ✿ وكذب بالحسنى ✿ فسنيسره للعسرى ﴾ الليل ٥-١٠.
- ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره
ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ الزلزلة ٧-٨.

٤- ثنائية الموت والحياة، اليباب والخضرة، البدء والخاتمة، حيث يرسم لنا القرآن الكريم مقابلة بين النقيضين، وتتردد هذه الصورة المزدوجة في السورة المكية، فتعمق بإيقاعها الوعي بهذه الثنائية، حيث نعمة الله تعالى، وقدرته الغلابة:

- ﴿ وهو الذي يرسل الرياح بُشراً بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقناه لبلدٍ ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون ﴾ الأعراف ٥٧.
- ﴿ إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون ﴾ يونس ٢٤.
- ﴿ واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا ﴾ الكهف ٤٥.
- ﴿ والله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفاً فترى الودق يخرج من خلاله ✿ فإذا أصاب به من يشاء من عبادة إذا هم يستبشرون ✿ وإن كانوا من قبل أن ينزل عليه من قبله لمبلسين ✿ فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير ﴾ الروم ٤٨ - ٥٠.
- ﴿ والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور ﴾ فاطر ٩.
- ﴿ أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون ﴾ السجدة ٢٧.
- ﴿ والله أنزل من السماء ماءً فأحيا به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآية لقوم يسمعون ﴾ النحل ٦٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ﴿ *ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يجعله حطاماً إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب* ﴾ الزمر ٢١.
- ﴿ *الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور* ﴾ الملك ٢.

وهكذا يؤدي إيقاع الصور المزدوجة إلى تحقيق التقابل بين الأشياء المتضادة، وصدق الله العظيم : ﴿ وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين ﴾ الأنعام ٥٥.

" والتقابل طريقة من طرق الأداء في الموسيقى وفي الرسم وفي الأدب أيضاً، والقرآن يكثر من استعمالها في تنسيق إيقاعاته التي ينقلها بالألفاظ على نحو دقيق، فهناك تقابل بين الخير والشر، بين الموت والحياة، بين النعيم والجحيم، بين الماضي والمستقبل، بين المادة والروح، بين الكفر والإيمان، بين السواد والبياض، بين السماء والأرض، بين الخفة والثقل، بين البسط والقبض، بين البث والجمع" [1] فتتضح في الذهن كل هذه الحقائق، ونميز الشيء من نقيضه بفضل هذا الإيقاع التقابلي المؤثر.

---

(١) نعيم اليافي، قواعد تشكل النغم في موسيقى القرآن، ١٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثامن

إيجـــاد التوقـــع

يؤدي تكرار النمط إلى تمكين المتلقي من توقع الآتـي، وتحقق هـذا التوقـع يـترك البهجـة في نفسه من ناحية، ويعينه على الحفظ والتذكر من ناحية أخرى.

وإيقاع القرآن الكريم له وظيفة هامة وهي إنشاء التوقـع عنـد القـارئ، وذلـك من خـلال إيقاع الفاصلة وإيقاع التراكيب وإيقاع السياق، وهذه الإيقاعات الثلاثة ظاهرة جليـة، فهـي تـؤدي إلى التوقع بطبيعة الحال. وحينما يتغير الإيقاع يكسر التوقع، وهذا له دوره، فإن كسر التوقع يلفت نظر المتلقي إلى الفكـرة الجديـدة ضمـن الإيقـاع المميز الجديـد. " إن التكـرار ممـا يقـوي الوحـدة والتمـركز في العمل الفني، وجماله قائم على لذة التوقع لما نستبق حدوثه" [1].

والمتلقي يتفاعل والإيقاع فتتهيأ نفسه لاستقبال مظـاهر الإيقـاع المطّـرده، ويصبـح في حالـة ترقب، " والترقب مصطلح شعري كما هو مصطلـح موسيقي، لأن الأداء هنـا وهنـاك يقـوم علـى افتراض أن السامع يتوقع بعد وقت معين إشارة إيقاعية في الوزن أو النقر، ولذلـك يقـال: إن الزمـن في الموسيقى وفي الشعر زمن توقع" [2]، ونفس المتلقـي تكـون في حالـة توتـر وانتبـاه بسـبب التوقـع الناشيء عن الإيقاع، وهذا يندرج على كل شيء إيقـاعي حولنـا، فـأقواس البنـاء، وتتـابع النوافـذ، وتراكب الطوابق، كل هذه مظاهر في إيقاع البنـاء، يـود النـاظر أن يسـتقصيها عنـد النظـر بسـبب الاستدراج الإيقاعي، وقل مثل هذا في الفنون الجميلة بعامة.

"إن العلاقة بين الفنون الجميلة من جهة والموسيقى من جهة أخرى علاقة متلازمة وضرورية فكلاهما يلتقي بعناصر العمـل الفـني وأسسـه، وهمـا بحاجـة إلى الانسـجام والتناغم أو التكـرار أو التضاد أو غير ذلك، للتأكيد على تكوين الجمال المبني على أساس الإيقاع الكـامل، الإيقـاع الـذي يعتمد على التكرار والتوقع" [3].

---

(1) محمد الحسناوي، الفاصلة في القرآن، ٢٧٢.

(2) نعيم اليافي، قواعد تشكل النغم في القرآن، ١٤.

(3) إنصاف جميل الرضي، علم الجمال بين الفلسفة والإبداع، ٢٣٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكما قدمنا فإن الإيقاع عند تحقق مفرداته بعد الترقب، يؤدي دوره، وإذا تغيرت مفرداته، فكسر التوقع، أدى دوراً أيضاً.

" وكان كولردج في القرن التاسع عشر قد أرجع الإيقاع إلى عاملين،

أولهما : التوقع الناشيء عن تكرار وحدة موسيقية معينة، فيعمل على تشويق المتلقي.

ثانيهما : المفاجأة أو خيبة الظن التي تنشأ عن النغمة غير المتوقعة، والتي تولد الدهشة لدى المتلقي"[1].

وسوف نعرض في هذا الفصل للأسلوبين: تحقق التوقع، وكسر التوقع.

أ – تحقق التوقع : ويتم تحقق التوقع في العديد من التشكلات الإيقاعية :

١– إيقاع الروي : إذا اتفقت مجموعة من الفواصل في حرف الروي، فإن القارئ سيترقب الفواصل اللاحقة على الروي ذاته، فسورة الكهف مثلاً تنتهي فواصلها بألف المد، فتتهيأ نفسية القارئ وذهنه لفواصل مشابهة:

﴿ *أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً*

إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا : ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً

فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً

ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً

نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى ﴾ الكهف ٩-١٣.

فالفواصل: عجباً، رشداً، عدداً، أمداً، هدى، كانت تحقق التوقع، فتترك راحة عند القارئ.

و " ليس هناك عالم من علماء الأدب، أو ناقد من نقاده إلا وقف عند أجراس الحروف التي تنتهي بها الجمل والتراكيب، فإن هذه الأجراس والأصوات إذا اتفقت طربت لها الآذان، ووجدت طريقها إلى القلوب " [2]

٢– إيقاع وزن الفواصل : حيث تتابع مجموعة من الفواصل على الوزن نفسه، فترسم للسامع سبيلاً إلى توقع وزن الفواصل الآتية:

﴿ *والنازعات غرقا ۞ والناشطات نشطاً ۞ والسابحات سبحا ۞ فالسابقات سبقاً ۞ فالمدبرات أمراً* ﴾ النازعات ١-٥.

---

(١) ابتسام أحمد حمدان، الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي، ١٦.

(٢) محمد بن سعد الدبل، النظم القرآني في سورة الرعد، ٩٢.

- AllRights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفواصل: غرقاً، نشطاً، سبحاً، سبقاً، أمراً، جاءت كلها على وزن واحد (فَعْلاً) مما يحقق التوقع "، والسجع القصير أجمل صورة، وأحلى موقعاً، لقرب توارد الفاصلتين على السمع، ولاخفاء في أن تواليهما بسرعة في أزمنة متساوية – كما يقول جويو – يشعر أننا بانسجام حاضر دائماً، فتظل الأذن مهدهدة دون أن يفاجئها أي شيء غير منتظر "[1]

٣- إيقاع التراكيب: إذا تساوت التراكيب المتلاحقة، صار ذهن المتلقي مشكّلاً لسماع تراكيب مشابهة.

﴿ كلا بل لا تكرمون اليتيم
ولا تحاضون على طعام المسكين
وتأكلون التراث أكلاً لمّا
وتحبون المال حباً جمّا
كلا إذا دكت الأرض دكاً دكاً
وجاء ربك والملك صفاً صفاً ﴾ الفجر ١٧-٢٢.

فتقارُبُ الفقر يحقق التوقع ويريح النفس.

- إيقاع السياق: حيث تتكرر أنماط من السياقات، تتضمن مجموعة من التراكيب والمفردات، فيتوقع القارئ السياق اللاحق من السياق السابق، ففي سورة المؤمنون مثلاً:

﴿ قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون،
سيقولون لله قل أفلا تذكرون،
قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم،
سيقولون لله قل أفلا تتقون،
قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون،
سيقولون لله قل فأنى تسحرون ﴾ المؤمنون ٨٤-٨٩.

وفي سورة الواقعة :

﴿ أفرأيتم ما تمنون ✿ أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون،
نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين ✿ على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون ✿ ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون ✿ أفرأيتم ما تحرثون ✿ أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون،
لو نشاء لجعلناه حطاماً فظلتم تفكهون ✿ إنا لمغرمون ✿ بل نحن محرومون،

---

[1] عبد الفتاح لاشين، البديع في ضوء أساليب القرآن، ١٢٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أفرأيتم الماء الذي تشربون ۞ أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون،
لو نشاء جعلناه أجاجاً فلولا تشكرون،
أفرأيتم النار التي تورون ۞ أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون،
نحن جعلناها تذكرة ومتاعاً للمقوين ۞ فسبح باسم ربك العظيم ﴾ الواقعة ٥٨-٧٤.

نرى أن الإيقاع في كل مرة يحقق التوقع في الأمثلة السابقة.

ب - كسر التوقع : عند حدوث تغير في الإيقاع، يفاجأ المتلقي بهذا التغير ولا يتحقق توقعه، والغاية من كسر التوقع لفت الانتباه إلى الموضوع الجديد، وسننظر إلى هذا الأمر عبر التشكيلات الإيقاعة التي مرت في تحقق التوقع:

١- تغير إيقاع الروي : وهذا كثير في القرآن الكريم، ومن أمثلته:

﴿ *فذكر إنما أنت مذكر ۞ لست عليهم بمصيطر ۞ إلا من تولى وكفر ۞ فيعذبه الله العذاب الأكبر ۞ إن إلينا إيابهم ۞ ثم إن علينا حسابهم* ﴾ الغاشية ٢١-٢٦.

فقرار الفواصل الأولى " مذكر، بمصيطر، كفر، الأكبر " هو الراء، أما الآيتان الأخيرتان فرويهما الميم. فكسر التوقع هنا جاء لغاية، ليبرز الرجعة إلى الله جل وعلا، وحسابه عباده على ما أسلفوا.

وفي سورة الضحى يأتي القرار في الفاصلة الأخيرة مخالفاً للتوقع:

﴿ *فأما اليتيم فلا تقهر ۞ وأما السائل فلا تنهر ۞ وأما بنعمة ربك فحدث* ﴾ الضحى ٩-١١، فلفت الانتباه من خلال كسر التوقع في روي الفاصلة الأخيرة، ليركز الاهتمام على التحديث بالنعمة والشكران عليها.

٢- تغير إيقاع وزن الفواصل:

﴿ *هل أتاك حديث الغاشية ۞ وجوه يومئذ خاشعة ۞ عاملة ناصبة ۞ تصلى ناراً حامية ۞ تسقى من عين آنية*
ليس لهم طعام إلا من ضريع ۞ لا يسمن ولا يغني من جوع
وجوة يومئذ ناعمة ۞ لسعيها راضية ۞ في جنة عالية ﴾ الغاشية ١-١٠.

نلاحظ أن الفاصلة على وزن اسم الفاعل المؤنث من الثلاثي، إلا أن الآيتين السادسة والسابعة تكسران التوقع، فوزن الفاصلة في الآية السادسة: " فعيل " وفي الآية السابعة " فُعْل "، وذلك لإبراز هذا الصنف من العذاب، ثم تعود الفواصل إلى وزنها الأول ، " إن القرآن يلجأ إلى

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أسلوب التوقع والترقب بأن يلقي في النفس أولاً نغمة ما، ثم يوقع على أحاسيسها ومشاعرها توقيعات شتى يعود بعدها إلى نغمة البداية، حيث تنتظرها النفس في شوق ولهفة وحنين" [1].

٣- تغير إيقاع التراكيب: ويتجلى هذا في بروز آية طويلة في مجموعة من الآيات القصيرة، أو آية قصيرة في مجموعة من الآيات الأطول منها، ومن ذلك:

﴿ *سأصليه سقر*

وما أدراك ما سقر

لا تبقي ولا تذر

لواحة للبشر

عليها تسعة عشر

وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيماناً ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلاً كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر

كلا والقمر

والليل إذ أدبر

والصبح إذا أسفر

إنها لإحدى الكبر ﴾ المدثر ٢٦-٣٥.

إن بروز الآية الكبيرة وسط الآيات القصار جاء ليعالج قضية مهمة توجب الاعتبار، وتوجب البسط في الحديث، وكان هذا الإبراز عن طريق كسر التوقع في طول التراكيب.

ومثال على الأسلوب المغاير، بأن تأتي آية قصيرة في مجموعة من الآيات الأطول:

﴿ *ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكراً*

إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سبباً

فأتبع سبباً

حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوماً

قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسناً

قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكراً

وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاءً الحسنى وسنقول له من أمرنا يسراً ﴾ الكهف ٨٣-٨٨.

---

[1] نعيم اليافي، قواعد تشكل النغم في موسيقى القرآن، ١٤١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد كسرت الآية القصيرة التوقع، وذلك إيذاناً ببدء مرحلة من مراحل حركة ذي القرنين في الأرض، وهمته في السعي لطاعة الله.

٤- تغير إيقاع السياق: حيث يبدأ السياق يتردد في دورة معينة، ثم يتغير الإيقاع الدوري للسياق شيئاً فشيئاً، ففي سورة القمر مثلاً، أخذ التعقيب على القصص شكلاً معيناً، ثم ما لبث أن تغير التعقيب بشكل أو بآخر، كما تغير طول القصة من دورة في السياق إلى أخرى:

﴿ *كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر ۞ فدعا ربه أني مغلوب فانتصر ۞ ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر ۞ وفجرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قدر ۞ وحملناه على ذات ألواح ودسر ۞ تجري بأعيننا جزاءً لمن كان كُفر ۞ ولقد تركناها آية فهل من مدكر،*

فكيف كان عذابي ونذر ۞ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ۞

كذبت عادٌ فكيف كان عذابي ونذر، إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحس مستمر ۞ تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر،

فكيف كان عذابي ونذر، ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر،

كذبت ثمود بالنذر ۞ فقالوا أبشراً منا واحداً نتبعه إنا إذا لفي ضلال وسعر ۞ أألقى الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر ۞ سيعلمون غداً من الكذاب الأشر ۞ إنا مرسلو الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر ۞ ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر ۞ فنادوا صاحبهم فتعاطي فعقر،

فكيف كان عذابي ونذر ۞ إنا أرسلنا عليهم صيحة فكانوا كهشيم المحتظر ۞ لقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر،

كذبت قوم لوط بالنذر ۞ إنا أرسلنا عليهم حاصباً إلا آل لوط نجيناهم بسحر ۞ نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر ۞ ولقد أنذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر ۞ ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي ونذر ۞ ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر،

فذوقوا عذابي ونذر ۞ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴾ القمر ٩-٤٠.

إن تغير التعقيب، وتغير طول القصة، أعطى إيقاعاً سياقياً جميلاً يراوح حول النمط، لكن لا يعيده في كل مرة بتطابق كامل، ليعطي نمطاً جديداً في كل دورة من دورات الإيقاع، وينوع في العرض، ويبهج القارئ.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثبت المصادر والمراجع

المصادر المطبوعة

١ . القرآن الكريم .

٢ . ابن الأثير ، ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن محمد الجزري (ت٦٠٦هـ)- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، مجلدان، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٣٩م .

٣ . إخوان الصفا – رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، مجلدان، تحقيق خير الدين الزركلي، المكتبة التجارية، القاهرة، ١٩٢٨م .

٤ . الأرموي، صفي الدين عبد المؤمن بن أبي الفرج (ت ٦٩٣هـ) – كتاب الأدوار في الموسيقى، تحقيق غطاس عبد الملك خشبة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦م.

٥ . ابن أبي الأصبع المصري، أبو محمد زكي الدين عبد الحميد بن عبد الواحد (ت ٦٥٤هـ) – بديع القرآن، تحقيق حفني محمد شرف، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٥٧م.

٦ . الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر (ت ٣٧٠)- الموازنة بين الطائيين، مجلدان، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢م .

٧ . الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب (ت ٤٠٣هـ) – إعجاز القرآن، ط٣، مجلد واحد، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢م .

٨ . التوحيدي، أبو حيان علي بن محمد بن العباس (ت ٤٠٠هـ) – المقابسات، مجلد واحد، تحقيق حسن السندوبي، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٢٩م .

٩ . الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت ٤٧١هـ) – دلائل الإعجاز، مجلد واحد، تحقيق محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٥م .

١٠ . ابن الجزري، محمد بن محمد بن محمد بن علي (ت ٨٣٨هـ) – طيبة النشر في القراءات العشر، تحقيق محمد تميم الزعبي، ط١، مكتبة دار الهدى،جدة، ١٩٩٤م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١١. ابن جزي، محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، – التسهيل لعلوم التنزيل، ط٤ دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٣م .

١٢. ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت ٣٩٢هـ) – الخصائص، ٣ مجلدات، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦م.

١٣. الجوهري، أبو نصر اسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ) – الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية ٦مجلدات، تحقيق أحمد عبد الغفور، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤م.

١٤. الخطابي ، أبو سليمان حمد بن محمد البستي (ت٣٨٨هـ)– بيان إعجاز القرآن،تحقيق عبد الله الصديق، مطبعة دار التأليف، القاهرة، ١٩٥٣م .

١٥. الرازي، محمد بن أبي بكر (ت٦٦٦هـ) – مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٩م .

١٦. الرماني، أبو الحسين علي بن عيسى (ت ٣٧٤هـ) – ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول، دار المعارف، القاهرة .

١٧. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله (ت٧٩٤هـ) – البرهان في علوم القرآن، ٤مجلدات، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٧م .

١٨. ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله (ت ٤٢٨هـ) – الشفاء، راجعه إبراهيم مدكور، وحققه الأب قنواتي وآخرون، وزارة الثقافة والارشاد القومي، القاهرة، ١٩٩٠م .

١٩. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١ هـ) – الاتقان في علوم القرآن، مجلد واحد، المكتبة الثقافية، بيروت، ١٩٧٣م .

٢٠. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١ هـ) – معترك الأقران في إعجاز القرآن، مجلدان، محمد البجاوي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٩م .

٢١. الشرواني، فتح الله (ت ٨٥٧ هـ) – مجلة في الموسيقى، تحقيق فؤاد سيزكين، جامعة فرانكفورت، فرانكفورت، ١٩٨٦م.

٢٢. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت ٣٩٥) – كتاب الصناعتين، تحقيق علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، ١٩٨٦م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢٣. القرطاجني، أبو الحسن حازم بن محمد بن حسن (ت ٦٨٤هـ) – منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ط٣، تحقيق محمد الحبيب بن خوجه، دار الغرب الإسلامي، بيروت،١٩٨٦م .

٢٤. اللاذقي، محمد بن عبد الحميد (ت٨٨٨هـ) – الرسالة الفتحية (في الموسيقا)، ط١، تحقيق الحاج هاشم محمد الرجب، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٦م.

٢٥. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ) – لسان العرب، خمسة عشر مجلداً، دار صادر، بيروت، ١٩٥٦م.

٢٦. النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف (ت٦٧٦هـ) – رياض الصالحين، تحقيق حسان عبدالمنان، ط١، مكتبة برهومة، عمان، ١٩٩٧م .

المراجـــع الحديثـــة

٢٧. إبراهيم علي عمر
- القرآن الكريم : تاريخه وآدابه، ط ١، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٩٨٤م.

٢٨. أحمد أحمد بدوي
- من بلاغة القرآن، ط٣، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٥٠م.

٢٩. أحمد عبد الوهاب
- إعجاز النظام القرآني، ط١، مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٨٠م.

٣٠. أحمد مصطفى المراغي
- علوم البلاغة، ط٥، المكتبة المحمودية التجارية، القاهرة، دس.

٣١. أحمد مطلوب
- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، دط، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٦م.

٣٢. أدونيس (علي أحمد سعيد)
- مقدمة للشعر العربي، دار العودة ، بيروت، ١٩٧١م .

٣٣. أمير عبد العزيز
- دراسات في علوم القرآن، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م.

٣٤. إحسان عباس
- تاريخ النقد الأدبي عند العربي، دط، دار الشروق، عمان،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٩٨٦م.

٣٥. إنصاف الربضي
- علم الجمال بين الفلسفة والإبداع، دار الفكر، عمان، ١٩٩٥م.

٣٦. البدراوي زهران
- ظواهر قرآنية في ضوء الدراسات اللغوية بين القدماء والمحدثين، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٣م.

٣٧. السيد أحمد الهاشمي
- ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، دط، مكتبة النقاء، بغداد، ١٩٧٩م.

٣٨. بدوي طبانة
- البيان العربي، دط، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٦م.

٣٩. بسام عبد الوهاب الجابي
- معجم الأعلام، ط١، الجفان والجابي للطباعة والنشر، ليماسول/ قبرص، ١٩٨٧م.

٤٠. تمام حسان
- البيان في روائع القرآن، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٣م.

٤١. تمام حسان
- اللغة العربية : معناها ومبناها، دط، دار الثقافة، الدار البيضاء، دس.

٤٢. جبور عبد النور
- المعجم الأدبي، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م.

٤٣. جيروم ستولينتز
- النقد الفني: دراسة جمالية وفلسفية، ترجمة فؤاد زكريا، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨١م.

٤٤. حامد صدقي قنيبي
- المشاهد في القرآن الكريم، ط١، مكتبة المنار، الزرقاء، ١٩٨٤م.

٤٥. حسين قدوري
- الموسوعة الموسيقية الصغرى، دط، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، دس.

٤٦. خالد محمد خالد
- رجال حول الرسول، دط، دار الفكر، بيروت، دس.

٤٧. خضر عبد السلام حسن أبو طالب
- من فيض الرحمن في بلاغة النحو في القرآن، دط، دار عريب، القاهرة، دس.

٤٨. خليل أحمد عمايرة
- في نحو اللغة العربية وتراكيبها، ط١، عالم المعرفة، جدة، ١٩٨٤م.

٤٩. خير الدين الزركلي
- الأعلام، ط١٠، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٢م.

٥٠. ريجيس بلاشير
- تاريخ الأدب العربي، تحقيق إبراهيم الكيلاني، ط٢، دار

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفكر العربي، دمشق، ١٩٨٤م.

٥١. سيد قطب - التصوير الفني في القرآن، ط٦، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٢م.

٥٢. سيد قطب - في ظلال القرآن، ط١١، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٥م.

٥٣. سيد قطب النقد الأدبي: أصوله ومنهاجه، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٤٧م.

٥٤. شوقي ضيف - البلاغة : تطور وتاريخ، ط٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥م.

٥٥. صابر غانم المنكوت - لطائف البيان في أحكام وعلوم القرآن، دط، إدارة إحياء التراث، قطر، دس.

٥٦. صالح عبدون - الثقافة الموسيقية، دط، العالمية للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٥٦م.

٥٧. صبحي الصالح - مباحث في علوم القرآن، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٢م.

٥٨. صلاح الدين عبد التواب - الصورة الأدبية في القرآن الكريم، ط١، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٥م.

٥٩. صلاح عبد الفتاح الخالدي - البيان في إعجاز القرآن، دط، دار عمار، عمان، ١٩٨٩م.

٦٠. صلاح عبد الفتاح الخالدي - لطائف قرآنية، ط١، دار القلم، دمشق، ١٩٩٢م.

٦١. صلاح عبد الفتاح الخالدي - مفاتيح للتعامل مع القرآن، ط١، مكتبة المنار، الزرقاء، ١٩٨٥م.

٦٢. صلاح عبد الفتاح الخالدي - نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، ط١، دار الفرقان، عمان، ١٩٨٣م.

٦٣. عائشة صبري وآمال مختار - طرق تعليم الموسيقى، دط، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٣م.

٦٤. عائشة عبد الرحمن - الإعجاز البياني للقرآن، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١م.

٦٥. عبد الفتاح لاشين - البديع في ضوء أساليب القرآن، ط١، دار المعارف، القاهرة،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٩٧٩م.

٦٦. عبد الفتاح لاشين
- الفاصلة في القرآن، دط، دار المريخ، الرياض، ١٩٨٢م.

٦٧. عبد الكريم الخطيب
- الإعجاز في دراسات السابقين، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٥م.

٦٨. عبد الله إبراهيم جلغوم
- أسرار ترتيب القرآن، ط١، دار الفكر، عمان، ١٩٩٤م.

٦٩. عبد المتعال الصعيدي
- النظم الفني في القرآن، دط، مكتبة الآداب، القاهرة، دس.

٧٠. عثمان سليمان مراد
- السلسبيل الشافي في أحكام التجويد الوافي، ط٢، جمعية عمال المطابع، عمان، ١٩٨٢م.

٧١. عدنان محمد زرزور
- علوم القرآن: مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه، ط٣، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٩١م.

٧٢. عز الدين اسماعيل
- الأسس الجمالية في النقد العربي، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٥م.

٧٣. عمر عبد الرحمن الحمصي
- أصول الإيقاعات الشرقية، ط١، مكتبة الأسد، دمشق، ١٩٩٢م.

٧٤. فرج عبد الرزاق العنتري
- هذه هي الموسيقى، دط، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، دس.

٧٥. كمال أبو ديب
- في البنية الإيقاعية للشعر العربي القسم الثاني (إعجاز القرآن)، ط٣، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧م.

٧٦. ماهر مهدي هلال
- جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، دط، وزارة الثقافة، بغداد، ١٩٨٠م.

٧٧. محمد أحمد معبد
- الملخص المفيد في علم التجويد، ط٧، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، ١٩٩٥م.

٧٨. محمد الحسناوي
- الفاصلة في القرآن، ط٢، المكتب الإعلامي، بيروت، ١٩٨٦م.

٧٩. محمد سعد الدبل
- النظم القرآني في سورة الرعد، دط، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٨م.

٨٠. محمد سليمان الأشقر
- زبدة التفسير من فتح القدير، ط١، وزارة الأوقاف

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكويتية، الكويت، ١٩٨٥م.

٨١. محمد صالح يساوي
- البيان في إعجاز القرآن، ط١، دار الهجرة، بيروت، ١٩٨٥م.

٨٢. محمد عبد الله دراز
- النبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن، د ن ، القاهرة، ١٩٥٧م.

٨٣. محمد عصام القضاه
- الواضح في أحكام التجويد، ط١، دار النفائس، عمان، ١٩٩٥م.

٨٤. محمد علي الصابوني
- التبيان في علوم القرآن، ط٢، دن،دم، ١٩٨٠م.

٨٥. محمد غاليم
- التوليد الدلالي، دط، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ١٩٨٧م.

٨٦. محمد فؤاد عبد الباقي
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دط، مطابع الشعب، القاهرة، ١٣٧٨هـ.

٨٧. محمد فهد خاروف
- الميسّر في القراءات الأربعة عشر، ط١، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب، دمشق، ١٩٩٥م.

٨٨. محمد محمود فجال
- الأسرار البلاغية للحذف في سورة يوسف، ط١، أضواء السلف، الرياض، ١٩٩٨م.

٨٩. محمد مندور
- في الميزان الجديد، ط٢، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، د ت .

٩٠. محمود أحمد نحلة
- دراسات قرآنية في جزء عم، دط، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٨م.

٩١. محيي الدين رمضان
- وجوه من الإعجاز الموسيقي في القرآن الكريم، ط١، دار الفرقان، عمان ١٩٨٢م.

٩٢. مصطفى الدباغ
- وجوه من الإعجاز القرآني، ط١، مكتبة المنار، الزرقاء، ١٩٨٢م.

٩٣. مصطفى حركات
- الصوتيات والفونولوجيا، ط١، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ١٩٩٨م.

٩٤. مصطفى حركات
- اللسانيات العامة وقضايا العربية، ط١، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ١٩٩٨م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٩٥. مصطفى صادق الرافعي
- تاريخ آداب العرب، ط٤، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٤م.

٩٦. مناع القطان
- مباحث في علوم القرآن، ط٢٩، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٦م.

٩٧. منير البعلبكي
- المورد، ط١٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠م.

٩٨. منير سلطان
- بلاغة الكلمة والجملة والجمل، دط، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٨٨م.

٩٩. منير محمد الغضبان
- المنهج الحركي للسيرة النبوية، ط١، مكتبة المنار، الزرقاء، ١٩٨٤م.

١٠٠. نورثروب فراي
- تشريح النقد، ترجمة محمد عصفور، ط١، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٩١م.

الرسائل الجامعية

١٠١. ابتسام أحمد حمدان
الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي الأول، رسالة دكتوراة، جامعة تشرين، دمشق، ١٩٩٥م.

١٠٢. كمال بوخريص
خصائص الإيقاع في القرآن: جزء عم، رسالة ماجستير، جامعة تونس الأولى، منوبة/ تونس، ١٩٨٨م.

١٠٣. هايل محمد الفقرا
ظاهرة الانسجام الصوتي في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، الكرك/ الأردن، ١٩٩٦م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البحوث المنشورة في الدوريات

١٠٤. أيمن دراوشة
- التكرار وأثره في الموسيقى الشعرية، رسالة المعلم، مجلد ٣٨، عدد ٢، عمان، ١٩٩٧م، ص ٤٧-٤٨.

١٠٥. داود عبده
- ترتيب تطبيق القواعد الصوتية في اللغة العربية، المجلة العربية للدراسات اللغوية، مجلد ١، عدد١، الخرطوم، ١٩٨٢، ص ١٠٩ - ١٣٦.

١٠٦. عبد العزيز حليلي
- البنية المقطعية العربية، المجلة العربية للدراسات اللغوية، مجلد٤ ، عدد ٢، الخرطوم، ١٩٨٦م، ص ٤٣-٥٧.

١٠٧. عصام أبو سليم
- الأنماط المقطعية في اللغة العربية: دراسة كمية، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، مجلد ٩، عدد ٣٥، الكويت، ١٩٩٠م، ص١٨٦.

١٠٨. محمد السيد سليمان العبد
- من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، مجلد ٩، عدد ٣٦، الكويت، ١٩٨٩م، ص ٧٣- ١١١.

١٠٩. نعيم اليافي
- ثلاث قضايا حول الموسيقى في القرآن، مجلة التراث العربي، عدد ١٧، دمشق، ١٩٨٤م، ص ٥٩-١٠٥.

١١٠. نعيم اليافي
- حروف القرآن: دراسة دلالية في علمي الأصوات والنغمات، مجلة الفيصل، عدد ١٠٢، الرياض، ١٩٨٥م، ص١٠٢-١٠٧.

١١١. نعيم اليافي
- قواعد تشكل النغم في موسيقى القرآن، مجلة التراث العربي، عدد ١٥-١٦، دمشق، ١٩٨٤، ص ١٣٢-١٥٣.

١١٢. نعيم اليافي
- عودة إلى موسيقى القرآن، مجلة التراث العربي، عدد ٢٥-٢٦، دمشق، ١٩٨٦، ص ٥٧-٧١.

١١٣. وليد قصاب
- حكم الذوق في النقد الأدبي، المنهل، مجلد ٥٣، عدد ٥٧، جدة ١٩٩٦م، ص ٥٨-٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Abstract

Rhythm In The Holy Quran: Makki Suras
Preparation: Abdollah M.Y. AL-Shamaylah
Supervision: Dr. Abdollah Anbar.

The Holy Qur'an symbolizes the typical picture for any strong Arabic text. It astonished Arabs with the high standards it includes, the wonderful coherence,so that they couldn't alliterate it despite their cogercy and their enemity, it is "God miracle text".

The Holy Qur'an came parting in the two reigns "Al Makki" and "Al - Madani". Suras which came before "Al-Hijra" are called "Al-Makki" which occupy about 61% of the whole Qur'an.

Ancient and new researchers researched about those miracles of the Qur'an text. The ancient's argument was restricted in the eloquent lesson they used to. But the new researchers achieved a new important step in talking about the miracle of voice and style in the Holy Qur'an: They made use of the development of literature and criticism studies. So, many researchs and books about rhythm in the Holy Qur'an appeared, describing it as one of the most miracle characteristics of voice.

The most important characteristics of rhythm in "Makki Suras" are:

1- The rhythm of letters.
2- The rhythm of syllables
3- The rhythm of Stress (Al-Nabr)
4- The rhythm of Chanting "Tajweed"
5- The rhythm of Words.
6- The rhythm of the Final Ends " Al-Fasilah".
7- The rhythm of structure.
8- The rhythm of sequence

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* Rhythm in the Holy Qur'an serves many jobs, the most important are:

1- showing the united structure of Qur'an.
2- Enjoyment and humming.
3- Facility to be learnt by heart.
4- Drawing the general atmosphere of the Sura.
5- Variety of meaning.
6- Emphasis.
7- Oppositions.
8- Expectancy.

God may help us.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit